

محمد الخليلي

من أئمة

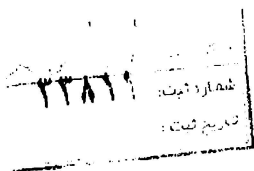
الإمام الصادق

وهو شرح ما أملاه الإمام عليه السلام  
الفضل بن محمد الجعفي

المجلد الأول

مؤسسة الوفاء

محمد الخليلي



مِنْ مَالِي

الْأَمْوَالِ الْمَسْلُوقِ

وَهُوَ شَرْحُ مَا أَمَلَهُ الْإِمَامُ عَ عَلَى تَلْمِيذِهِ  
الْفَضْلُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْجَعْفِيِّ

جمع داری اموال

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

۵۹۱۱۳

س- احوال:

الجزء الأول

مؤسسة الوفاء

بسنروت - لبنان

شبكة كتب الشيعة



shiabooks.net

رابطہ پیدیل < mktba.net

كتاب الجُود ٢ مخطوطة ومصحفة  
الطبعة الأولى  
١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَاللهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (١)  
 هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ  
 الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢) "

وَاللهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ  
 لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٣)

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي  
 شِقَاقٍ بَعِيدٍ ۝ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ  
 لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٤)

فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ  
 مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللهِ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ  
 الظَّالِمِينَ (٥)

صَدَقَ اللهُ الْعَظِيمُ

(٢) سورة آل عمران آية ٦

(١) سورة البقرة آية ١٦٣

٤ سورة فصلت آية ٥٢ - ٥٣

(٣) سورة النحل آية ٧٨

(٥) سورة القصص آية ٥٠



## مقدمة الكتاب

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي اودع في كل خلق من مخلوقاته من الحكمة والابداع لمن فكّر وتدير على توحيده شاهداً ودليلاً ، وجعل في صنع كل ممكن من وجوداته لذوي الالباب الى العبرة طريقاً لاجباً وسبيلاً ، والصلاة والسلام على خاتم رسله واكمل خلقه « محمد بن عبد الله » ( ص ) النبي العظيم ، الذي لم يدع بحكم نواميس شريعته الحكيمة للملحدين والمعاندين عن الحق مهرباً ، ولا لطالبي الحقيقة من المؤمنين الموحدين غير اتباعه وتصديقه مفسداً ومأرباً . وعلى آله الذين استقوا من ينوع علومه الالهامية ما اضاؤوا به للناس سبل الهداية والرشاد واوضحوا لهم طرق الحق والتوحيد ليمدلوا اليها عن حوة القلوب والالحاد . وعلى صحبه الكرام والتابعين له باحسان .

وبعد ؛ فإنه لما كان كتاب - توحيد المفضل - الذي أملاه الامام ﴿ جعفر ابن محمد الصادق ﴾ ( ع ) على تلميذه - المفضل بن عمر الجعفي الكوفي من اجل الكتب التوحيدية السامية ، واسمى الرسائل الحكيمه القيسية التي لم تنزل العلماء والفلاسفة والحكماء والادباء، ترشف من غير منهلها العذب ، وتروي قلوبها الصادية من زلال منبعها الفيض ، لما حوته تلك الرسالة من صادق دلائل التوحيد ومحكم براهين وجود الصانع الحكيم ، صادرة عن معدن الرسالة ومنبع العلم الالهي .

كان ذلك الكتاب ولم يزل مرجع فطاحل المحققين ومستند جهابذة المتكلمين وموئل اهل المناظرة من الموحدين ، ولذلك نجد اكثر العلماء والمؤلفين لم يفعلوا عن ذكره تخليداً ولم يتركوا الاطراء عليه اكبّاراً ومعجيداً ، فقد ذكره النجاشي المتوفي سنة ٤٥٠ في رحلته وعبر عنه بكتاب « فكر » لتكرار قوله ﴿ ع ﴾ - فكر يامفضل - في اجزاء الكتاب . والسيد ابن طاووس المتوفي سنة ٦٦٤ في كتابه « الامان من اخطار الاسفار والازمان » وكتابه الآخر « كشف المحجة » .

وذكره العلامة المجلسي الاول الشيخ محمد تقي المتوفي سنة ١٠٧٠ في شرحه لكتاب المشيخة . والعلامة المجلسي الثاني الشيخ محمد باقر بن الشيخ محمد تقي المذكور المتوفي سنة ١١١١ في بحار الانوار كما ذكره غيرهم من العلماء في ساير كتبهم ورسائلهم . وقد طبع مراراً وكرر طبعه تكراراً في اكثر البلدان الاسلامية وفي الازمنة المتتابعة المتتالية مثل طبعة مصر على الحجر وفي مطبعة الجواثب ، واستامبول وطهران وهندوبنداد والنجف وغيرها . هذاعدا المخطوطات الكثيرة المحفوظة في اغلب المكتبات العامة والخاصة . كما عمد جمع من الفضلاء وطالبي النفع العام الى شرحه وترجمته .

فن شرّاحه : الشيخ فخر الدين الركستائي المنبصر الماوراء النهرى نزيل  
قم سنة ١٠٦٥ ومنهم : المولى باقر بن المولى اسماعيل الواعظ الكجورى الطهرانى  
المتوفى سنة ١٣١٣ وقد ذكره اخوه العلامة الشيخ محمد فى كتابه ﴿ زبدة المآثر  
المطبوع فى آخر كتابه ﴾ (الخصائص القاطمية) : ان الشرح كبير مرتب على  
ثلاثين مجلداً يقرب من عشرين الف بيت .

ومن مترجميه الشيخ فخر الدين المذكور . والمولى محمد صالح بن محمد باقر القزوينى  
لروغنى المتوفى سنة ١٠٨٠ والعلامة المجلسى الثانى الشيخ محمد باقر الآف الذكر  
وهناك من نظمه بالفارسية كالشيخ اسماعيل بن الحاج حسين التبريزى نزيل طوس  
المتخلص فى شعره ﴿ بتائب ﴾ فى النى بيت ، وذلك عدا من اخصره وواضحه  
أو علق عليه تقريباً له الى الاذهان وارشاداً به للتائبين ، وتنسيهاً للفاظلين .

ولأجل ذلك فانى عندما رأيت اهتمام العلماء والفضلاء بهذا الكتاب الجليل  
وشاهدت فرط عناية ذوى الالباب من الحكماء والعقلاء بالاخذ عنه والرجوع  
اليه ، وشمرت باقبال اكثر المؤلفين والكتاب على ذكره والحث على اقتنائه  
ومطالعه وهو على سلاسة عباراته البليغة ، وسهولة اسلوبه المتين لم يكن البعض  
من مضامينه العالية ومطالبه الجليّة جلياً واضحاً لدى ذوى الادراك المتوسط  
فضلا عن عوام الناس ، ولم يظهر ما اودع فيه من الحكم والاسرار لكثير من  
مطالعيه الذين لم يستطعوا الغور فى بحر علمه العظمى لاستخراج مبعين لتاليه الغالية  
ومغازبه العالية .

احببت ان اقدم - مستعنياً بتوفيق الله تعالى - على شرحه حسب المستطاع  
ومستضيئاً بانوار قدسية صاحبه ومعلميه - الامام الصادق (ع) - لايضاحه وبيان



بعض اسراره وحكمه جهد الطاقة . معترفاً بانى لم أدرك كلاً حواء هذا الكتاب العظيم من الحكم ، ولم اصل الى كثير مما ضمنه هذا السفر الجليل من بليغ المعاني وعظيم القصد . وقد بما قيل - ما لا يدرك كله لا يترك اقله .

ولا بدع اذا ما خفي على مثلي الكثير من غامض مقاصده . وغاب عن فكري الواضح من مراميه . وفوق كل ذي علم عليم ، والله الهادي الى الصواب .

وها اني اضع بين يدي القاريء الكريم - شرح المجلس الاول من كتاب توحيد المفضل مستمداً من عونه تعالى ان بوقفني لشرح المجالس الثلاثة الاخرى في الوقت القريب ان شاء الله تعالى .

علي اكون قد خدمت بذلك نفسي خاصة والمجتمع الاسلامى عامة والله من وراء القصد .

محمد الخليلي

النجف الأشرف

## أُتُوِّحِدُ الْمُفَضَّلُ أَمْ تُوَحِّدُ الْجَاحِظُ .. ؟

هذا عنوان مقال لأحد الاساتذة الشهورين نشر في مجلة الوحدة الاسلامية النجفية يستبعد فيه نسبة كتاب توحيد المفضل الى الامام الصادق (ع) املاء على المفضل ثم يفر بنسبته الى الجاحظ ، مستدلا على ذلك بامور لم نكن لتصور صدورها عن مثل هذا المحقق البهائى الذي كنا نعرفه بالتسج والتدقيق ، ولكن ( الجواد ) قد يكبوا ، واليك ملخص ادلته :

١ - ان الطبعة النجفية التي رآها الاستاذ كانت مأخوذة عن بحار الانوار للعلامة المجلسي ( ره ) المتوفى سنة ١١١١ هـ ولكن كان قد رآها قبل ذلك منشورة في آخر كتاب - دمية القصر - وهي منسوبة هناك الى الجاحظ حسبما نشرها الشيخ محمد راغب الحلبي الطباخ سنة ١٣٤٨ هـ سنة ١٩٣٠ م مستنسخاً اياها على نسخة كان قد مر عليها الطباخ في مكتبة المدرسة العثمانية في حلب مخطوطة في سنة ١٠٢٣ هـ اي قبل نسخة المجلسي ( ره ) بما يزيد على خمسين عاماً فان الجزء الثاني من البحار وهو المشتمل على النسخة المذكورة كان تأليفه سنة ١٠٧٧ و من أجل ذلك اعتقد الدكتور انها للجاحظ بلا شك .

٢ - ان المفضل الذي اليه نسب هذا الكتاب كان حسبما تضمنه كتاب الكشي والنجاشي اسماعيلياً أو خطائياً لا امامياً وكان معاشراً للشطار واصحاب الحام وهذا مما يوجب القبح في روايته للكتاب ، فهو اذاً للجاحظ حتماً .

٣ - ان القيمة العلمية التي حواها الكتاب تدل على ان عصر كتابتها لم يكن

عصر الامام (ع) بل ما بعده لانها تمثل النهضة العلمية التي بدأت على عهد  
انأمون ، وانتمت في أيام الجاحظ ، ولان المكتاب فيه اسماؤه يونانية مثل قيموس  
وأشباوه ، وهي اسماؤه لم تكن معروفة في زمن الامام الصادق عليه السلام .

٤ - ان أول الكتاب ومنتهاه مختلف في المضمون مما يدل على ان الناشر  
للكتاب منسوباً الى المفضل ، أراد بذلك تغطية صرقته بذلك الاختلاف .

هذا كما استدلل به هذا البحاث الكبير على استبعاد نسبة الكتاب الى المفضل  
عن الامام (ع) وترجيح نسبه الى الجاحظ لا غير .

ونحن بعد تلخيصنا لادلته ، وانصاحنا لدى القاري . لانحال انا محتاج الى  
ردها والاجابة عنها ، لانها هي ترد نفسها بنفسها لدى المتأمل العارف ، واسكن  
رأينا من المستحسن ان نذكر لك زيادة في الايضاح ملخص ما رده به الكامل  
المذهب الصافي في مجلة الغري والكامل الكاتب المظفري في تعليقه على الطبعة  
النجفية الأخيرة للكتاب توحيد المفضل . ومن بعض المصادر الاخرى غيرها ،  
ومما وضع لدينا في الجواب عنها .

١ - نقول : كيف اكتفى هذا البحاث بمجرد ادعاء الطبايح نسبة الكتاب  
الى الجاحظ دون تحقيق صحة قوله . اذ من المحتمل أن يكون مفرصاً فيها او كاذباً  
لغاية من الغايات أو جاهلاً بما رآه في النسخة التي يحتمل في كتابتها نفس ما يحتمل  
من الناشر الى غير ذلك ، ثم لماذا لم يحتمل ان المجلسي (ره) كان هو الآخر  
قد استنسخ كتابه على مخطوط كسب قبل سنة ١٠٢٣ فرآه منسوباً الى غير  
الجاحظ بل الى المفضل . وعلى هذا يكون ترجيح الاستاذ لنسبة الكتاب الى  
الجاحظ دون المفضل بمجرد قول الطبايح وطرحه لقول المجلسي ترجيحاً بلا مرجح  
ولو كان الدكتور الاستاذ مطلقاً على رجال النجاشي حين عبر عن نفس هذا الكتاب  
« بكتاب فكر » وعلى قوله أيضاً وسماء بمض الفصلا . « بكنز الحقائق والمعارف »

وان وفاة النجاشي كانت في سنة ٤٥٠ هـ لعلم ان نسخة النجاشي كانت قبل نسخة الطبايع بستة قرون تقريباً . ولو كان مجازئنا هذا مطالعاً ايضاً على كتاب - كشف المحجة ، وكتاب الامان - للعلامة الحجة السيد علي بن طاووس حين اوصى ولده بزوم مصاحبته لكتاب توحيد المفضل والنظر والتفكير فيه قائلاً : انه بما املاه الصادق ( ع ) فيما خلفه جل جلاله من الآثار ، وهو في معرفة وجوه الحكمة في انشاء العالم السفلي واظهار اسرارها ، وانه عجيب في معناه . لما تردد في تكذيب الطبايع لاسيما بعد العلم بان وفاة ابن طاووس ( ده ) كانت في سنة ٦٦٤ هـ ويدهي ان تاريخ تأليف كتابه يكون قبل تاريخ نسخ الطبايع بما يناهز الخمسة قرون البتة . هذا على كثرة طبعااته القديمة المتتابعة المتتالية في اكثر البلدان الاسلامية مثل مصر والقسطنطينية والهند وبنفادوايران والنجف وغيرها من المدن والمواسم وكل هؤلاء ينسبون هذا الكتاب الى المفضل عن الامام الصادق ( ع ) سوى الشيخ الطبايع معتمد الاستاذ . اتري كل هؤلاء على اختلاف ادواقهم ومطالهم ونحلهم واماكنهم وعصورهم ، كانوا متواطين على هذه النسبة التي عدها الاستاذ سرقة احقادها السارق بان جعل اختلافاً في مضامين اول الكتاب ومنتهاه ؟ وبابي اشارة ظاهره او دليل واضح مقنع ، صار الطبايع وحده صادقاً في نسبه حين خالف الجمهور ، وجاء بدعوى فارغة دون دليل او تحقيق ؟ هذا مالا يمكننا توجيهه .

٢ - ان الاستاذ كان قد طعن بالمفضل وروايته حين رأى من يقول انه كان اسماعيلياً أو خطاياً ، وانه كان معاشراً للشطار « جمع شاطر وهو الرجل الخبيث الماكر المراوغ من السفلة » ولاصحاب الحام « وهم الذين يتعاطون بيع طير الحام واللوبه والانس بطيرانه » . مستنداً في ذلك على كتاب الكشي والنجاشي . ولو لم يتسرع الاستاذ في هذا الطعن كما تسرع في تصديق الطبايع وكان باحثاً عن ترجمة المفضل بن عمر بحث طالب للحقيقة لظهر لديه جلياً ما كان

يوقفه عن هذا التسرع والاستعجال في الحكم ، ولعرف مكانة هذا الرجل الثقة  
 للثبوت في نفوس آل البيت (ع) وحبهم له واعتمادهم على إيمانه وصدق عقيدته  
 تلك المكانة التي دعت أعداءه ان يصموه ويوقموا به ويرموه بالتهمة والباطيل  
 ولا غرابة . فان عصر الامام (ع) كان عصر تشدد الحاكين ووطأة جورهم  
 على آل البيت عليهم السلام ومن يلوذ بهم او ينتسب اليهم بنسب او صلة ومن  
 أجل ذلك كان الامام (ع) مضطرا لأن يعامل بالتيقن ، وان يجعلها سياسة  
 خاصة له ولابنائه وشيعته فيقول « التيقن ديني ودين آبائي » ابعاداً للشبه والتهمة  
 عن ذويه واصحابه ، وحفظاً لحياتهم من تهديد الساطلات لهم بالحبس والضرب  
 والتعذيب ، وحتى كان عليه السلام يعيب خاصة اصحابه وقاية لنفوسهم وحفظاً  
 لمقامهم . كما روى في رجال الكشي ، والوسائل ، عبد الله بن زرارة بن اعين :  
 ان الامام (ع) قال له : يا عبد الله اقرأ والدك عني السلام وقل له : أما اعيبك  
 دفاعاً مني عنك ، فان الناس والعدو يسارعون الى كل من قربناه وحدنا مكانه  
 لادخال الاذى فيمن نحبه وتقربه ، فيذمونه لمحبتنا له وقربه منا . وبرون ادخال  
 الاذى عليه وقتله . ويحمدون كل من عيبناه ولم نحمد امره . فانا أما اعيبك  
 ليحمدوا امرك . لأنك رجل اشتهرت بنا وبنيك الينا ، وانفت في ذلك مذموم  
 عند الناس غير محمود الاثر لمودتك لنا وميلك الينا ، فاحببت ان اعيبك ليحمدوا  
 امرك في الدين بمبيك ونفصك ويكون بذلك دفع شرهم عنك .

فاذا كان خاصة اصحاب الامام (ع) قد يعابون من قبل نفس الامام (ع)  
 تيقن كزرارة وغيره فكيف باعداء الامام (ع) واعداه اصحابه بالنسبة اليهم  
 فاذا عرفت ذلك ، فما هو المانع من ان يكون المفضل كزرارة ؟ ولماذا لم نحتمل  
 أو نحقق ان أعداء الامام (ع) واعداه قد الصفوا به هذه التهمة ، كنهته بانه  
 اسماعيلياً أو خطايا ليكذبوا روايته وليفضوه لدى الشيعة . وما يؤيد نفي كونه

اماعيليا أو خطايا ما يقوله الشهرستاني عنه في كتابه الملل والنحل ١ ص ٧٨ المطبوع سنة ١٢٨٨ ( الموسوية أو المفضلية فرقة واحدة قالت بامامة موسى بن جعفر نصاً عليه بالاسم حيث قال الصادق ( ع ) : سابقكم قاتدكم ، وقيل صاحبكم قائمكم ، الا وهو سمي صاحب التوراة . ولما رأَت الشيعة ان اولاد الصادق على تفرق ، فن ميت في حال حياة أبيه لم يعقب ، ومن مختلف في موته ، ومن قائم بعده مدة يسيره فمات غير معقب وكان موسى هو الذي تولى الامر وقام به بعد موت أبيه ، رجعوا اليه واجتمعوا عليه ، مثل الفضل بن عمر و زرارة بن اعين ، وعمار الساباطي وامثالهم .

أقول : ولعل السبب الذي أوقع الاستاذ البحائنة ومن استند الى اقوالهم في شبهة نسبة بن عمر الى الخطائية دون تحقيق منصف وتبع نزيه هو ان ؛ هناك فرقة من الخطائية تنسب الى المفضل المجلي الصيرفي وتعرف ايضا بالمفضلية كما قال الشهرستاني في الملل والنحل ج ١ ص ٣٠٢ : وزعمت طائفة ان الامام بمد أبي الخطاب مفضل الصيرفي ، وكان يقول بربوبية جعفر دون نبوته ورسالته وقد نبأ من هؤلاء كلهم جعفر بن محمد الصادق ( ع ) وطردهم ولعنهم فان القوم حيارى ضالون جاهلون بحال الأئمة تائهون ( انتهى ) .

وقال الدكتور محمد جابر عبد العال في كتابه - حركات الشيعة المتطرفين ص ٨١ : بعد موت أبي الخطاب وتبع عيسى بن موسى والي الكوفة لاتباعه . فر بعضهم الى السواد وبقي بعضهم الآخر في الكوفة ، وكون الذين فروا فرقة عرفت ( بالمفضلية ) وائل الذين بقوا فرقة عرفت ( بالمصرية ) . أما الطائفة الاولى وهي المفضلية فميزتها الوحيدة انها عرفت باسم منسبها المفضل المجلي الذي كان صيرفياً الخ . فانت ترى ان اتفاق هاتين الفرقتين بالاسم اعني الموسوية المفضلية والخطائية للمفضلية هو الذي سوغ لفتنهم وجعل المجال امامه واسماً لان يصم ابن عمر

بالخطابية كما ان المفضل ومنشي . المفضلية الخطابية ايضا اسمه مفضل ، من دون  
 نظر تحقيق أو كان تمعداً وعداوة وافتراء ، ثم أخذ ذلك المؤرخون اما اتباعاً  
 لهم او جهلاً ، وهذا هو الذي شبه الدكتور فلحقهم بهذه التهمة غير ملتفت الى  
 هذا الاختلاف ومنشأ هذا الافتراء . على ان الأخبار والأحاديث فتضافرت في  
 كونه امامياً جعفرياً موسوياً . ولذلك اتى عليه العلماء وأساطين رجال الدين واكثر  
 المحمدين والمؤرخين . فهل للاستاذ اذا اطلع على ما قدمناه بين يديه سيرجع عن  
 رأيه ام يبقى متمسكا بالطباخ ؟ لكني حسبما اعتقد انه لا يترك الحق اذا عرفه .  
 أما كونه معاشراً للشطار وأصحاب الحمام ، فذلك صحيح ومدكور غير  
 ان هذا غير ضائر . ولا مما ينقص قدره ، أو يجمله غير ثقة في روايته ذلك لان  
 مصاحبه لهؤلاء الزمر لم تكن عن ميل لاعمالهم ولا لمشاركتهم في افعالهم . بل  
 كانت لارشادهم وانتشالهم من هوة الجهل . ومداراتهم للاخذ بأيديهم الى الطريق  
 المستقيم ثم الاستعانة بهم على حفظ الآخرين من ضعفاء الشيعة الموالين لآل البيت  
 كما كان يستعين بهم على كثير من الاعمال الضرورية التي لم يمكن تنفيذها الا  
 بواسطةهم وهي اصلاح الامة أو لايجاز أو امر أمتهم عليهم السلام ، وهذا امر لا  
 يمكن تدبيره الا لرجل ذي كفاة وحكمة ، صلب المبدأ والعقيدة . ناصح في  
 امثال اوامر أئمة . واليك بعض ما ورد في رجال الجشي ورجال المامقاني  
 والمستدرک وغيرها اباناً لما نقول : قالوا : ان جماعة من اهل الكوفة كتبوا الى  
 الامام الصادق ( ع ) : ان المفضل بن عمر يجالس الشطار وأصحاب الحمام وقوماً  
 يشربون الشراب فيغيبون ان تكتب اليه وتأمره ان لا يجالسهم . فكتب  
 الامام ( ع ) الى المفضل كتاباً وختمه : ودفعه اليهم وأمرهم ان يدفعوا الكتاب  
 من ايديهم الى المفضل ، ولما جاؤا الى المفضل ودفعوا اليه الكتاب ( وكان قد علم  
 بما فعلوا ) فضه وقرأه واذا فيه . بسم الله الرحمن الرحيم اشتر كذا وكذا .

ولم يذكر فيه قليلا ولا كثيراً مما تحدثوا به مع الامام (ع) فدفعه الى كل واحد من الذين جاؤا بالكتاب ثم قال لهم ما تتولون ؟ فقالوا : هذا مال عظيم ، دعنا حتى ننظر فيه ونجمعه ونحمله اليك ، وأرادوا الانصراف . فقال المفضل تغذوا عندي وأجلسهم لغدائه . ثم وجه الى اصحابه الذين سموا بهم ، فلما جاؤا قرأ عليهم الكتاب ، فرجعوا من عنده . وحبس المفضل هؤلاء حتى رجع الفتيان وقد حمل كل واحد منهم حسب قدرته من المال الف الفين وأكثر ، فحضروا واخضروا الف دينار وعشرة آلاف درهم قبل أن يفرغ هؤلاء من صلاتهم ، فقال : لهم المفضل تأمروني ان اطرد هؤلاء من عندي ، وتظنون ان الله محتاج الى صلاتكم . فهذا الخبر وأمثاله الكثير لما يدلنا على ثقة الامام (ع) بالمفضل واعتماد على ديانته الثابتة ، وسياسة التي لا يخشى عليها الزلل والحلل بمشرفته لامثال هؤلاء الشطار واصحاب الحام ، طلبا للمصلحة العامة ، ولقضاء حوائج الناس .

٣ - انه من الامور الواضحة التي لا شك فيها ان الله تعالى انما ارسل الرسل وانزل عليهم الكتب ليس الا لارشاد هذا الانسان الجاهل الى ما يقوم اوده ويصلح شأنه في حياته الدنيوية والاخروية لانه لم يزل ولا يزال محتاجاً في كل عصر وفي كل ادوار حياته ، الى مرشد عالم بما يلزم الفرد والمجتمع ، والى مصلح عارف بما يحتاجون من الضروريات الحيوية في عصرهم ، لذلك ترى كل نبي او رسول يأتي بالمعجزة المناسبة لمدارك اهل عصره والموافقة لمعرفتهم حسب تدرج العقول والاحلام ، فلا غرابة اذن اذا ما حكم العقل بان الواجب عليه تعالى من باب اللطف أن ينصب في كل زمان رجلاً عالماً يرشد الناس نحو واجبهم ويهديهم الى صالحهم ، ويكلمهم على مقدار ما يفهمون ونحن بدورنا نعتقد بان رسول الله (ص) كان يقول وهو الصادق الأمين - انا مدينة العلم وعلي بابها - كما قال (ص) : اني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي اهل بيتي ما ان تمسكتم



بها لن تضلوا ، ومعنى هذا ان العترة وهم علي وابناؤه لاغيرم قرناً . القرآن  
 وعدل كتاب الله . ولما كان الكتاب فيه تبيان كل شيء ، كان قرناًؤه مثله  
 قد احصوا كل شيء . علماً ولم تخف عليهم صغيرة ولا كبيرة من المعارف والعلوم  
 بل وكلما يحتاج اليه الانسان في جميع أدواره لانهم قد اخذوا العلم عن مدينة العلم  
 ومن بابها . واستقوه من ينبوعه ، وورثوه من جدم عن جبرئيل عن الباري  
 تعالى . ولو كان علمهم مكتسباً لما جعلهم الرسول عدلاً للكتاب ، ولو كان  
 علمهم ماخوذاً عن اساتذة ومعلمين ، لعرف ذلك وظهر ولاشتر معلوم واساتذتهم  
 قبلهم . اذن فالأئمة عترة النبي ( ص ) عالمون بكل شيء . الهاماً لا اكتساباً ،  
 والالماً امتازوا على الناس . ولما امر جدم الحكيم بانباهم والافتداء والتمسك  
 بهم كالكتاب . فاذا ثبت ذلك فاي استبعاد يبقى لمعرفة الامام ( ع ) بطوم  
 عصره أو باسماء علماء عصره وفلاسفتهم ومصطلحاتهم واقوالهم . فكر في هذه  
 الجهة اولاً ثم انظر من جهة اخرى ، ان من تصفح التاريخ العربي ، واطلع على  
 علومه ورجاله عرف بلا ريب ان النهضة الثقافية العلمية العربية ليست كما قال  
 الاستاذ : قد بدأت منذ عصر المأمون وأثمرت في ايام الجاحظ فلقد خفي عليه  
 - اذ لم يشأ ان يتتبع ليطلع - ان العرب كان لهم اتصال وثيق ومعرفة واسمة  
 بالثقافة اليونانية وغيرها قبل النبي ( ص ) وبمده . فهذا الحارث بن كلدة الثقفى  
 طبيب العرب ، كان قد درس الطب والحكمة قبل النبي ( ص ) في مدرسة  
 جنديسابور التي أسسها النصارى النسطورية في خوزستان من ارض فارس حتى  
 تخرج منها وعالج هناك مدة ثم انتقل الى الطائف في الحجاز ، واشتهر بين العرب  
 في زمن النبي ( ص ) وكذلك ابنه - النضر بن الحارث - الذي كان طبيباً  
 مطلعاً على العلوم الفلسفية واجزاء الحكمة ، وهو ابن خلة النبي ( ص ) وهكذا  
 بقيت العرب متصلة بالثقافة اليونانية اتصالاً قليلاً في بدء بزوغ نجم الاسلام

حيث كانت الناس مقبلة على تعلم اصول الدين ونواميس القرآن وعلومه ، وهكذا كانوا حتى جاء خالد بن يزيد الأموي المعروف - بحكيم آل مروان - وقد كان احرف أهل زمانه بفن الفلسفة والطب ، كما كان له كلام في صنعة الكيمياء فكان هو اول من غنى بعلوم الفلسفة عنابة تسمية ، حتى أمر الراهب الحراني ( اصطنع ) ان يترجم له كتب الطب والفلسفة فترجمها له وانتشرت يومذاك ، ثم جاء بعده في عصر الامويين الفيلسوف يحيى النحوي وابو العلا سالم - كاتب هشام بن عبد الملك - ويعقوب الرهاوي السرياني - وغيرهم من الفلاسفة . وهكذا كانت العلوم الغربية من حكمة وفلسفة متصلة غير منفصلة منذ اواخر العصر الجاهلي حتى ابان الخلافة الأموية ، وقد امتزج العلماء السريانيون بالولاة الحاكين من الأمويين ، فكان لذلك الأثر الكبير في تراوج عقول المسلمين بمقول غير العرب وفي تفتحها على اطاق العلوم والفنون العالمية يونانية وغير يونانية ، ومن هنا يعلم ان الفلسفة واجزاء الحكمة الاخرى لم تكن تبدأ منذ عصر المأمون كما قال الاستاذ الدكتور . بل أن للامويين قسطاً وافراً من نشرها وتعلمها وتعليمها نعم لا ينكر ان الرغبة اليها اشثدت وتزايدت منذ دوله العباسيين لا سيما في عصر المنصور الذي ترجمت فيه كثير من الكتب الطبية والفلسفية بصورة واسعة وذلك لما كان يبذله المنصور من مال - وما ينفقه من العطايا على نقله العلوم والمترجمين من النساطرة بل وحتى مترجمي الفرس مثل ابن المقفع الذي ترجم كلية ودمنة ومثل آل نوبخت وغيرهم .

فاذا كانت ثقافة اليونانيين وفلسفتهم منتشرة لدى العرب منذ بدء الاسلام وفي مدة خلافة الأمويين وحتى اوائل العباسيين فلماذا يستبعد الاستاذ المحامد نسبة توحيد المفضل الى املاء الامام ( ع ) بمجرد ان رأى فيه ذكر اسماء بعض الفلاسفة اليونانيين أو بعض مصطلحات الحكمة . ألم يكن الامام ( ع ) معاصراً

لقدولتين؟ وهل يمنع ذلك من اطلاعه على الثقافتين . وقد اشرف على ابتداء تلك النهضة حتى كاد أن يشرف على نهايتها؟ بل كان له في تسيير دنفها اعظم الاثر . واليك ما قاله السير أمير علي في كتابه (مختصر تاريخ العرب) : ولا يوتنا أن نشير الى الذي تزعم تلك الحركة العلمية ، هو حفيد الامام علي بن ابي طالب المسمى بالامام جعفر والملقب بالصادق ، وهو رجل رحب افق التفكير بعيد اغوار العقل ، لم كل الامام بعلوم عصره . ويعتبر في الواقع أول مؤسس للمدارس المشهورة في الاسلام الى غير ذلك مما لا يسع هذا المختصر بيانه والاحاطة به . على ان ما ذكرناه من اتصال الثقافة اليونانية وغيرها منذ أواخر العصر الجاهلي الى ايام الامويين ثم نهضتها في ايام المنصور العباسي ، ثم بلوغها الاوج في عصر المأمون ليغنيانا عن اثبات ما عرف وانتشر من العلوم الحكمية والفلسفية في ايام الامام (ع) . - واذا ثبت ذلك فاي مانع من وجود اسماء يونانية أو غير يونانية في أي كتاب يؤلف في ذلك العصر ؟ وامي دليل يكون ضمينا باستبعاد صدور مثل كتاب توحيد المفضل عن املاء الامام (ع) بمجرد ذكر الاسماء اليونانية فيه ؟ وبأي مقياس ترجح نسبة الكتاب الى الجاحظ دون غيره بحض وجوده في عصر النهضة الكاملة . هذا ما لا يدركه الا الراسخون في البحث والتنقيب .

٤ - ان الاستاذ لما اعتقد بدلائله المقنعة لنفسه دون غيره حكم بان نسبة الكتاب الى الامام (ع) تعد سرقة ، بدليل اختلاف مضمون أوله ومنتهاه وان هذا الاختلاف اريد به اخفاء السرقة ونهطيتها على القاري . وانا لتعجب كل العجب من حكم كهذا ، ومن مثل هذا الاستاذ البجائنة بحيث يجعلنا نرتقب في قصده ومرماه من هذا القول . أهل يطلب نمويه الحقيقة حتى على نفسه ؟ أم ماذا ؟ والا فان المتأمل البصير عند تلاوته لهذا السفر الجليل ليجد من التناسق في البحوث ووحدة الموضوع ما يبعده كل البعد عن تصديق هذا الادعاء الفارغ . ولو لا

التطويل في اثبات ذلك انفصلنا لك ما غفل عنه هذا المحقق الجليل ، ولكن نحيله الى ذوق القارىء .

وبالحتام فان تقديرنا واكبارنا لهذا العالم البهامة الشهير يجعلنا في حيرة في توجيه مقاله وقبول أدلته التي لا تنهض بمدعاه، اذ ليس فيها ما يبرر قوله عقلا ولا قلا. اذن فالكتاب دون شك هو ﴿ توحيد المفضل ﴾ لا ﴿ توحيد الجاحظ ﴾ خصوصا اذا نظرنا الى الفرق الواضح بين اسلوب الكتاب واسلوب مؤلفات الجاحظ ، ثم قارنا بينهما بعين البصيرة والانصاف ، على انهما تتبعنا واستقرينا كتب التراجم لم نجد في ترجمة الجاحظ ذكراً لهذا الكتاب في مؤلفاته بل ولا اشارة اليه فتأمل .

## من هو المفضل ؟

هو أبو عبد الله أو أبو محمد المفضل بن عمر الجعفي الكوفي ، ولد في الكوفة في نهاية القرن الأول ايام الامام الباقر (ع) وتوفي في اواخر القرن الثاني اوائل الدولة العباسية في أيام الامام الرضا (ع) عن عمر يناهز العاشرين سنة .

أدرك المفضل أربعة من أئمة آل البيت وهم الباقر والصادق والكاظم والرضا عليهم السلام . وكان في عصر الباقر (ع) صغيراً ولذلك لم يتصل به اتصالاً كاملاً غير انه كان بحسب البيئته والبيئته عارفاً به متقرباً اليه ومن ثم اتصل بالامام الصادق (ع) اتصالاً وثيقاً ، اذ كان دانياً على الحضور في مدرسة الامام أكثر أوقاته وكان يستفي الكثير من العلوم والاحاديث عنه (ع) وبعده عن ولده الامام الكاظم (ع) وفي اواخر أيامه خدم الامام الرضا (ع) واتصل به اتصالاً قليلاً حتى اصبح بذاتك من اعيان الثقات وأكابر فقهاء الرواة ، وقد جمع الى لعلم الجهم والمفضل التميز والصلاح والورع شرف الوكالة عن الامامين الصادق

والكناظم (ع) في قبض أموالها وتسلمه الحقوق الزاجعة لها ، وفي تفويضها له  
سرف تلك الأموال بنظره لإصلاح ذات البين ، ومداراة الضعفاء والفقراء من  
شيعتها . وهي مهمة كبرى يحتاج القائم بها إلى سعة صدر وعلو همة وإيمان صادق  
وصبر وجهد في قضاء حوائج الناس ومداراتهم وملاحظتهم : وما هذا التفويض  
الإدليل على كفايته وشدة الاعتقاد عليه والوثوق به لدى الإمامين (ع) وناهيك  
إن الإمام الصادق (ع) كان قد جعله وكيلاً على أمواله بعد موت عبد الله بن  
أبي بصير وانت إذا اطلمت على مكانة عبد الله لدى الإمام (ع) علمت أنه لم  
يجل محله إلا مثله لما لهذه الوظيفة من الأهمية ، حيث تحتاج إلى أهلية كاملة  
وكفاة موثوق بها وكفى في رفيع مقام المفضل إن يقول الصادق (ع) في حقه :  
نعم العبد والله الذي لا إله إلا هو المفضل بن عمر الجعفي ، وإن يقول الإمام  
الرضا (ع) فيه بعد موته : إن المفضل كان أنسى ومستراحى وفي رواية  
أخرى : كان الوالد بعد الوالد أما أنه قد استبرح . إلى غير ذلك من أقوال  
أئمة آل البيت عليهم السلام في حقه .

ولقد تضاربت فيه آراء المحدثين واختافت في بيان حاله الرواة متأرجحة  
بين الحقيقة الناصحة وبين الأغراض المسيرة من قبل السلطة الحاكمة والسياسة  
الزمنية فبينما تعلق به تهمة الاستمصاص أو الخطايب ، ويرى بمعاشرة الشطار  
وأصحاب الحمام ترمى الأخبار والروايات المتسلسلة عن العلماء والرواة والثقات عن  
الأئمة ثبت لنا صلاحه وإيمانه وصدق عقيدته وقربه من آل البيت واعتناهم عليه  
هذا ومن نظر إلى التاريخ وأمعن في حوادث ذلك العصر . علم أن الفتن الحاكمة  
التي كانت تناوى آل علي (ع) وتجتهد في الحط من كرامتهم : وتفرق  
شمل من بأوى إليهم أو يميل نحوهم ، هي التي كانت تأمر الوضاعين وتبذل لهم  
الأموال المشفوعة بالوعد والوعيد بان يضعوا الأخبار الكاذبة والأحاديث المصنوعة

في توهين المفضل واضرابه من أصحاب الأئمة ، واتهامهم بانحراف العقيدة وسوء الأخلاق بل وكل ما يبعدهم عن الناس ويكذب احاديثهم الى غير ذلك من الأغراض واليك بعض اقوال العلماء والمحققين في حق المفضل . لتعرف ان من كان بهذه المكانة المرموقة من العلم والفضل كيف يقال في حقه انه كان خطايا . قال الشيخ المفيد في ارشاده ! فمن روى صريح النص بالامامة عن ابي عبد الله عليه السلام على ابنه أبي الحسن موسى (ع) من شيوخ أصحاب ابي عبد الله (ع) وخاصته وبطانته وثقة الفقهاء الصالحين رحمهم الله هو المفضل بن عمر الجعفي .

وعنه الشيخ ابراهيم الكنعيني من البوابين ، ومرادهم من الباب باب الامام في العلوم والأسرار .

وقال السيد المحقق صدر الدين العاملي : من نظر في حديث المفضل المشهور عن الصادق (ع) علم ان ذلك الخطاب البليغ والمعاني العجيبة والألفاظ الغريبة لا يخاطب الامام (ع) بها الا رجلا عظيما كثير العلم ذكي الحس أهلا لتحمل الأسرار الرفيعة ولذائق البديعة . والرجل عندي من عظم الشأن وجماله القدر يمكن . وفي المستدرک للعلامة النوري في ج ٣ ص ٥٦٤ نقلا عن كتاب الاختصاص تأليف الشيخ المفيد (ره) انه دخل المفضل مرة على الصادق عليه السلام ، فلما بصر به تبسم في وجهه وقال ؛ إلي إلي يا مفضل فوربي اني لأحبك واحب من يحبك ، يا مفضل لو عرف جميع أصحابي ما تعرف ما اختلف اثنان ، فقال له المفضل يا بن رسول الله لقد حسبت ان اكون قد انزلت فوق منزلي ، فاجابه الامام (ع) بل انزلت المنزلة التي انزلك الله بها .

وفي تنقيح المقال للرحوم الحجة المامقاني ؛ ان الفيض بن المختار قال للامام الصادق (ع) اني لاجلس في حلقات أصحابنا بالكوفة ، فأكاد اشك لاختلافهم

في حديثهم حتى ارجع الى المفضل ، فيقضي من ذلك علي ما تستريح اليه نفسي  
ويعلمن اليه قلبي ، قال الامام ( ع ) أجل هو كذلك .

وذكر الشيخ الطوسي شيخ الطائفة في كتابه ( الغيبة ) : ان المفضل من  
قوام الأئمة ؛ وكان محموداً عندهم محبوباً لديهم ، ثم انه كان من وكلائهم الذين  
مضوا على مناجهم .

الى غير ذلك من أقوال العلماء والثقة الدالة على منزلة المفضل السامية عند  
الأئمة . تلك المنزلة التي دعت اعداءهم واعداءه الى نصب الشراكه ولأصحابه  
ورميمهم بانهم والأباطيل والافتراء والأكاذيب .

هذا هو المفضل وهذا هو تاريخه الناصح الذي بوضح للمتبع دس الدسائس  
في حقه وكذب الرواة الأوضاع عليه ، وبدلنا على صدق روايته لكتاب ( توحيد  
المفضل ) املاء الصادق ( ع ) عليه ، ورسالة الاهليلجة التي كتبها له لبرويجا  
عنه ، الى غيرها من الرسائل المنسوبة اليه . والله للمغرضين بالمرصاد .

والآن ساشرع بعون الله تعالى في شرح متن المجلس الأول من كتاب  
( توحيد المفضل ) مستمداً من قدسية صاحبه ومعلمه الامام الصادق عليه السلام  
ومعتماً على المصادر الموثوقة التي سندكرها في آخر الكتاب ان شاء الله حسب  
ما ادر كناه ومن الله التوفيق لمراضيه .

## كلام ابن أبي العوجاء مع صاحبه

روى محمد بن سنان قال : حدثنا المفضل بن عمر قال : كنت ذات يوم بعد العصر جالساً في الروضة بين القبر والمنبر وأنا مفكر فيما خص الله به سيدنا محمد صلى الله عليه وآله من الشرف والفضائل ، وما منحه واعطاه وشرفه به وحباه ، لا يعرفه الجمهور من الامة وما جهلوه من فضله وعظيم منزلته وخطر رتبته ، فاني لسكذلك اذ اقبل ابن أبي العوجاء فجلس بجيبي اسمع كلامه ، فلما استقر به المجلس ، اذا رجل من اصحابه قد جاء وجلس

---

الزاوي لهذه الرسالة اعني كتاب توحيد المفضل هو ابو جعفر محمد بن سنان الزاهري الخزازي وفي كتاب - هدية العارفين - للعلامة اسماعيل باشا البغدادي المطبوع في استامبول : هو محمد بن الحسن بن سنان المتوفى سنة ٢٢٠ هـ ضريراً ثم ذكر له من المؤلفات - كتاب البيع والشراء ، والطرائف - والمكاسب - والصيد - والنوادر ، وفي كتاب الكنى والالقب لقمي : انه ينتمي الى زاهر مولى عمرو ابن الحلق الخزازي صاحب رسول الله ( ص ) وقد وفق زاهر هذا لصحبة هذا الصحابي العظيم كما وفق لمواراته ودفنه ، وهكذا ساقته السعادة الى ان رزق الشهادة في نصرة الامام الحسين بن علي ( ع ) في وقعة كربلاء ، ثم استدام هذا التوفيق في عقبه حتى شمل خلفه محمد بن سنان فكان من اصحاب الامام الكاظم والرضا والجواد عليهم السلام وقد بلغ هذا الرجل العظيم القدر المتشف المتمدد من المنزلة الرفيعة لدى الائمة ( ع ) ان روى عن الامام موسى بن جعفر ( ع ) انه قال له : اما انك من شيعتنا ايمن من البرق في الليلة الظلماء ، ثم قال له : يا محمد



اليه ، فتكلم ابن ابي العوجاء فقال : لقد بلغ صاحب هذا القبر العز بجماله ، وحاز الشرف بجميع خصماله ، ونال الخطوة في كل احواله ، فقال له صاحبه انه كان فيلسوفا ادعى المرتبة العظمى والمنزلة الكبرى ، واتى على ذلك بمعجزات بهرت العقول ، وضمت فيها الاحلام ، وغامت الالباب على طلب عدها في بحار الفكر فرجعت خاسثات وهي حسر ، فلما استجاب لدعوته

ان المفضل كان انسى ومستراحى وأنت انسها ومستراحها يعني بها الامامين الرضا والجواد (ع) حرام على النار أن تحمك أبداً ، وروى عن عبد الله بن الصلت القمي انه قال : دخلت على ابي جعفر (ع) في آخر عمره فسمته يقول : جزى الله محمد بن سنان عني خيراً فقد وفي لي . وروى ايضا انه (ع) كان يذكر محمد بن سنان ويقول : رضى الله عنه برضاي عنه فما خالفتي ولا خالف أبي قط أقول : وهذا كاف في معرفة جلالته والاعتماد على روايته وصدق حديثه ولاجل ذلك كان في الشيعة عالي الشأن عظيم القدر رئيساً موثقاً . وقد روى السيد ابن طاووس (ره) في (فلاح السائل) ما يدل على مدحه . كما ردفه على من يذكر الطعن فيه ، ونقل عن الشيخ المفيد مثل ذلك . اذاً فهو موثوق الرواية صحيح الحديث ، لا يشك في صحة روايته .

وهذا الراوي الثقة العدل روى عن المفضل بن عمر الذي عرفت حاله انه قد حدثه وقال : كنت ذات يوم بمد المصر جالساً في الروضة بين القبر والمنبر والروضة هي تلك البقعة الشريفة الواقعة بين قبر النبي (ص) ومنبره ، والتي قال (ص) فيها : بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة . قال المفضل كنت جالساً هناك مفكراً في قدسية سيدنا ونبينا محمد بن عبد الله (ص) وفيما خصه

المقلاء والفضحاء والخطباء ، دخل الناس في دينه افواجا ، فقرن اسمه باسم ناموسه فصار يهتف به على رؤوس الصوامع في جميع البلدان والمواضع التي انتهت اليها دعوته وعلت بها كلمته ، وظهرت بها حاجته برأ وبجرأ وسهلا وجبلا في كل يوم وليلة خمس مرات مرددا بين الاذان والاقامة ،

الله تعالى به من شرف النسب وفضائل الاخلاق وما منحه واعطاه وشرفه به من الرسالة السامية التي ختمت الشرايع السماوية وانتهت بها سلسلة النبوات الالهية وأنا اناحي نفسي فيما حباه الباري مما عرفته عن ابائه وخلفائه ، وخفي على الجمهور من الأمة من فضله العالي ومنزله العظيمة في الأرض والسما . واني اكدلك غارق في بحر المكره مقبل بكليتي على التقاط تلك اللثالي الحميدة مغتبط بمعرفتي لها ، اذ اقبل الملحد المتزندق ابن ابي العوجاه فجلس بحيث اسمع كلامه وابن العوجاه هو عبد الكريم ريب حماد بن سلمه ، ورأس زنادقة عصر الامام (ع) وقد كان من تلامذة الحسن البصري ، فانحرف عن التوحيد واعتزل حوزته ، وصار مانوبا يؤمن بالتاسخ . فقيل له : لم تركت مذهب صاحبك ودخلت فيما لا أصل له ولا حفيقة فقال : ان صاحبي كان مخلطا ، يقول بالقدر طورا وبالجير طورا ، وما اعلمه اعتقد مذهبا دام عليه . وبعد انحرافه اتخذ من سيرة ماني وسيلة لتشكيك الناس في عقائدهم ، حتى اعترف هو نفسه بدسته الاحاديث الكاذبة في احاديث النبي (ص) لذلك كانت العلماء تكره مسألهه ايام لحبث اسانه وفساد ضميره وقد جرت بينه وبين الامام الصادق (ع) احتجاجات كثيرة كان يفحمه فيها كلمه ؛ لكنه لم يرتدع لتصلبه في الحاده ، الى ان قتل على الاحاد بامر المنصور عام سنة ١٥٥ وقيل سنة ١٦٠ أيام المهدي ، على يد أبي جعفر محمد بن سليمان والي الكوفة بعد سجنه مدة ٠ يقول المفضل ؛ ولما استقر المجلس بابن ابي العوجاه

ليتجدد في كل ساعة ذكره فلا يخمل أمره ، فقال ابن العوجاه : دع ذكر محمد (ص) فقد تحير فيه عقلي ، وضل في أمره فكري ، وحدثنا في ذكر الاصل الذي سمي به ، ثم ذكر ابتداء الاشياء ، وزعم ان ذلك باهمال لا صنعة فيه ولا تقدير ، ولا صانع له ولا مدبر ، بل الاشياء تتكون من ذاتها بلا مدبر ، وعلى هذا كانت الدنيا لم تنزل ولا تزال .

اذا رجل من أصحابه قد جاء وجلس اليه . ولم يذكر المفضل من هو . فانهم كثيرون كاهن المقفع وأبي شاذان البصاني والجمعين درهم ، وابن طلوت وابن الاعمى ، واضراهم فتكلم . ابن اي العوجاه مع صاحبه متعرضا لقدسية النبي (ص) قائلا : لقد بلغ صاحب هذا القبر العز بكاله وحاز الشرف بجميع خصاله . يعني جمع الى شرف نفسه وعزها وكالها نيل الخطوة في كل أحواله أي في جميع أدوار حياته صغيراً وكبيراً حياً وميتاً . فقال له صاحبه : انه كان فيلسوفاً عارفاً بطبائع الناس وميولهم وعواطفهم ، عالماً بكيفية اجتذابهم الى مبدئه وشريعته مفكراً فيما يقول ويفعل ، متمقلاً طريق جلب تابعيه الى تعظيمه وتبجيله والتصديق بدعوته والتفاني في سبيلها والاثبات عليها لذلك فقد ادعى المرتبة العظمى والمترزة الكبرى من النبوة ، وان دعوته من السماء ، ثم أتى على ذلك بمجزات عظيمة وخارقات للعادة والسنن الطبيعية التي بهرت العقول المعكرة وضلت فيها الأحلام والآراء الشديدة . فلم نجد لمعارضته سبيلاً ، ولقد غاصت الالباب بكل ما لو تيت من حول وطول على طلب عليها في بحار الفكر فلم تنجح ، بل رجعت خاسئة حسرة قد أصابها الكلال والعمى دون أن تدرك غوره أو أن تصل الى منتهاه . لذلك خضعت لحكمه ، واخبتت لاوامره ونواهيهِ . فلما استجاب لدعوته العقلاء والفصحاه ، قوى أمره واشتد ساعده ، فبأمر بالدعوة واعلن بتوحيده فدخل

الناس دينه افواجا تبعا لشيوعهم ، وسيراً وراء كبارهم . ولما رأى أمره قدعلا ونجمه قد زهر ، قرن اسمه باسم ناموسه ( شريعته ) حتى صار يهتف به على رؤوس الصوامع والجوامع فوق المآذن . وفي جميع البلدان . وكافة المواضع اني انتهت اليها دعوته الدينية وعلت بها كلته التوحيدية ، وظهرت فيها حاجته الواضحة الجليلة برأ وبجرأ وسهلا وجبلا وفي كل يوم وليلة خمس مرات مرددآ في الآذان والاقامة ، لتجدد في كل ساعة ذكره ولثلاث بجمل أمره ، ولا تنسى دعوته ، وهل كل ذلك الا لسداد عقله وقوة عارضته وعظم تفكيره ؟ فقال له ابن ابي العوجاء :  
دع ذكر محمد ( ص ) فقد نجير فيه عقلي . وضل في امره فكري ، وحدثنا عن ذكر الاصل الذي سمى به ( أو تمشى به ) أي سارت دعوته على وجوده وتوحيده - ويقصد بذلك الخالق تعالى الذي ينكر وجوده ويجعده هو كما تعتقد المانوية والدهريون والماديون . ثم اخذ يذكر ابتداء الاشياء ومنشأها زاعماً ان هذا الخلق وجد بالاهمال والصدفة ، وليس فيه صنعة ولا تقدير ولا ابداع ولا افعال ، وانه لا صانع له ولا مدبر مدعياً ان الاشياء كلها تتكون بذاتها بلا مكون وانه على هذا كانت الدنيا . وهي لم تنزل ولا نزال كذلك ابد الدهر ومدى تعاقب العصور والاحقاب :

أقول : هكذا كانت مجاورة الملحدين حول الرسول والمرسل ، وسترهم في الفصول القادمة ما أملاه الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام على المفضل بن عمر في رد هذه المزاعم الفاسدة ، وتفنيد هاتيك الادعاءات الكاسدة ، وتلك الدعوى الفارغة ان شاء الله تعالى .

## كلام المفضل مع المحدث

قال المفضل : فلم املك نفسي غضباً وغيظاً وحنقاً ، فقلت : يا عدو الله  
الحدث في دين الله ، وانكرت الباري جل قسه الذي خلقك في احسن تقويم  
وصورك في أتم صورة ونقلك في احوالك حتى بلغ بك الى حيث انتهيت ، فلو

يقول المفضل : ولما سمعت محاوره ابن ابي العوجاء مع صاحبه ، وفهمت ما  
قصده من ذكر الله تعالى والني الكريم ( ص ) مما يسخط كل موحد وبأبي  
سماعه كل ذي مسكة من العقل والدين ، لم املك نفسي دون ان هجت بلاختيار  
من شدة الغيظ والحنق طالبا الانتقام منها غضبا لله ورسوله فقلت لابن ابي العوجاء :  
ويك يا عدو الله اقد أحدث في الدين ، وحدث عن الصراط المستقيم الى الغي  
والضلال ، وملت عن العقل السليم الى الجهل والنفاق ، وانكرت الباري تعالى  
ولم تنكر في انه هو الذي خلقك في احسن تقويم منتصب القامة غير منكب على  
وجهك كالحيوانات ، وقد منحك كمال النفس واعتدال الجوارح ، وميزك عن  
غيرك بالنطق والتمييز والتدبير . ثم صورك على أتم صورة فاجل تخيطك وابدع  
في تناسق اعضائك وحسن هيئتك وهيكلك بعد ان قنك في احوالك حتى بلغ  
بك الى حيث انتهيت ، أي انك لو فكرت بمجرد فطرتك وفطنتك فيما أودع  
الصانع في بدنك ونفسك من الابداع والافتان في خلقها لا سجا في تفلاتك في  
الاحوال الخلقية منذ كنت نطفة الى حيث انتهت رجلا تشعر وتعمل وتختار  
وتتمتع وتحب وتبغض الى غيرها من الأحوال ثم عاينت هذه النظم البديعة  
والتطور الحكيم الذي اشار اليه القرآن بقوله ( هو خلقكم من تراب ثم من نطفة  
ثم من علقه ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخا ومنكم من يتوفى

فكرت في نفسك ، وصدقك لطيف حسك ، لوجدت دلائل الربوبية وآثار  
الصنعة فيك قائمة ، وشواهد جل قدسه في خلقك واضحة ، وبراهينه  
لك لائحة ، فقال : يا هذا ان كنت من اهل الكلام كلناك ، فان ثبتت لك

---

من قبل ثم لتبلغوا أجلا مسمى ولعلمكم تفتلون ) ثم شعرت بذلك كله هو صدقك  
حسك اللطيف في هذا الشهور ، وفي كيفية تغديتك ونموك وسائر حالاتك وميولك  
وهو اطفاك . لعجبت كل العجب بهذا الابداع والانتان في الحلقة ، ولوجدت  
الربوبية الحق فيها واضحة وآثار الصنعة الحكيمية في نفسك قائمة ، ولظهرت لك  
شواهد وجوده جليلة لائحة ، ولتسقت ان براهين وحدا نيتيه في كل جزء من اجزائك  
وكل عضو من اعضائك بينة ظاهرة (وفي كل شيء له آية \* تدل على انه الواحد)  
وبالجملة فان المفضل اراد بهذا البيان أن يفهم ذلك الملحد انك لو تأملت في  
نفسك قليلا دون أن تذهب بعيداً علمت ان هذا الوجود العجيب لا يمكن ان  
يتكون بنفسه دون صانع ودون قصد بل بالمصادفة ، أو أن يكون هو خالق نفسه  
او ان يكون خالقه آخر مثله . وان هذا هو أمر فطري عقلي وجداني ، فقال ابن  
أبي العوجاه المفضل : يا هذا ، أي يا هذا الرجل ، وهو خطاب يخاطب به الرجل  
اذا كان مجهول الهوية عند المتكلم ، أو لتجاهل المتكلم امام مخاطبه استحقاقاً أو  
استصغاراً أو لغرض آخر ، قال : ان كنت من أهل الكلام كلناك ، ويقصد  
باهل الكلام ، أهل المعقول والعارفين بالمناظرة والجدل . فان تكلمت مثل كلامهم  
وثبتت لك علينا حجة تبعاك ، وان لم تكن منهم اي من اهل الكلام فلا كلام  
لك معنا . ولا ينبغي لمثلك ان يجادل مثلنا لانك تجهل خطابنا ولا تفهم مرامنا  
هذا اذا لم تكن من اصحاب جعفر بن محمد الصادق (ع) اما اذا كنت منهم ،  
وكنت قد اخذت علمك عنه ، وتأديت بادبه فاعلم بانه (ع) لم يكن هكذا في

حجتك تبعناك ، وان لم تكن منهم فلا كلام لك ، وان كنت من اصحاب  
 جعفر بن محمد الصادق (ع) فما هكذا يخاطبنا ، ولا بمثل دليلك يجادل  
 فينا ولقد سمع من كلامنا اكثر مما سمعت ، فما افحش في خطابنا ، ولا تعدى  
 في جوابنا ، وانه للحليم الرزين العاقل الرصين ، لا يمتريه خرق ولا طيش

خطابه معنا ، ولا بمثل دليلك يجادلنا ، مع كثرة حضورنا مجله ومناظر اتامعه  
 ولقد سمع من كلامنا اكثر مما سمعت ، فآرايتاه ولا سمعناه افحش في خطابه لنا  
 يستتجح الخطاب ، ولا تجاوز المقبول في القول والفعل معنا ، ولا تعدى في جوابنا  
 وانه للحليم الرزين العاقل الرصين ، ثم اخذ هذا الملحد يصف الامام (ع)  
 معجبا به . ويطرى صفاته مكبرا آياه حلما وعقلا ورزاة ورصانة اقول : وكيف  
 لا يكون كذلك وفوق ذلك ، وهو الامام المسؤول عن ارشاد البشر ، والمكلف  
 بتقويم اودم وتكامل اخلاقهم والاخذ بايديهم الى مرتفع الانسانية الكرامة ولقد  
 كان من حلمه عليه السلام انه اذا بلغه من احد نيلا او شتا نوضا وصلى ثم دعا  
 ربه تعالى ملحاً في الدعاء بان لا يؤاخذ ذلك الجاني عليه بذنبه ، ولا يقابله على  
 جنايته لانه هو قد وهبه وغفر له اهاتته ، كما كان يرى من ذوى رحمة الامر ،  
 من شتم ونبز ومنهم من حمل عليه بالشفرة لقتله ولكنه مع ذلك كان يعاملهم  
 بالبر والاحسان بدل القطيعة ويصلهم بدل الجفاء ، ويمطف عليهم في قبال القسوة  
 ويقول : اني احب ان يعلم الله اني اذلت رقتي في رحمي . هذا حلمه . امارزاة  
 عقله ووقار هيته فهي تلك الهيبة الذاتية التي لا يحصل عليها الا من خاف ربه  
 وخرج من ذل معصية الله الى عز طاعته . والتي يفيضها الله على من اصطفى من  
 عباده . ومن اجل ذلك فقد اكتسى الامام (ع) من الهيبة والرزاة والرصانة  
 جلبابا هيباً ملاً العيون اجلالاً . وتخضع لها القلوب تمظيماً لا يزيه التواضع ، ولا

ولا نزق ، يسمع كلامنا يصفي الينا . . . يعرف حجتنا ، حتى اذا استفرغنا ما عندنا ، وظننا انا قطعناه دحض حجتنا بكلام يسير ، وخطاب قصير ، يلزمنا به الحجة ويقطع العذر ، ولا نستطيع لجوابه رداً ، فان كنت من اصحابه ، فخطابنا بمثل خطابه .

ينقصه الانبساط وحسن الخلق ، حتى ترى الولي والمدو والموالي والمخالف يشعر بها في نفسه عند مواجهته له والجلوس بخدمته مع شدة تواضعه وعدم تظاهره بالعظمة او ترفعه بحسبة الامامة عن اصحابه وجلسائه . فاذا عرفت هذا الحليم العاقل الرزين عرفت ان مثله لا يعتره خرق وسوء تصرف في الفعل والقول ، ويتصف بطيش او نزق او سرعة غضب او امثال تلك الصفات الذميمة اني لا يتصف بها من كان مثله .

ثم قال ابن ابي العوجاء في وصف الامام (ع) انه كان يسمع كلامنا اذا تكلمنا معه ويصفي الينا بكل عناية ليتعرف ما عندنا ويعي حجتنا على انا كنا من مخالفيه والمعرضين عليه في مبدئه وعقيدته ، حتى اذا استفرغنا ما عندنا وبذلنا مجهودنا في اثبات دعوانا وظننا انا قد قطعناه في حججنا . دحض حجتنا التي اجهدنا انفسنا في اثباتها بكلام يسير محكم ، وخطاب يسير جامع يلزمنا به الحجة علينا ، ويقطع منا العذر فنفحم بذلك افهاما لانستطيع بعده رداً لجوابه ولا صدأ لصوابه ، حتى لتفارق مجلسه ونحن مدحورون منكسرون .

نعم هكذا كان جعفر بن محمد (ص) معنا فان كنت انت من اصحابه ، فخطابنا بمثل خطابه والا فلست انت من اهل هذا الميدان ولا ينبغي لك ان تتكلم معنا في موضوع تجهل الجدل فيه .



## دخول المفضل على الإمام (ع)

قال المفضل : فخرجت من المسجد محزوناً مفكراً فيما يلي به الاسلام واهله من كفر هذه العصابة وتمطيها ، فدخلت على مولاي ، فرآني منكسراً ، فقال ( ع ) : مالك ؟ فاخبرته بما سمعت من الدهريين وبما رددت

قال المفضل بن عمر : ولما قابلني ذلك الملحد بهذا الكلام اظلمت الدنيا في عيني ولم اطق صبراً دون ان نهضت مكثباً وخرجت من المسجد محزوناً مفكراً فيما يلي الاسلام واهله به من كفر هذه العصابة الضالة وتمطيها اي انكارها للصانع ووجدتها الربوبية والنبوة . والمراد من العصابة جماعة من الرجال نحو العشرة الى الاربعين ولا واحد لها من لفظها وهم ههنا امثال ابن ابي العوجاء واضرابه قال المفضل فدخلت على مولاي الصادق ( ع ) وانا على تلك الحال ، فرآني منكسراً واثار الحزن بادية على وجهي ، فقال لي : يا مفضل وما دهاك ؟ فاخبرته بما سمعت من ذينك الدهريين وما رددت عليها وما قالاه في جوابي فقال ( ع ) : طب نفساً وقر عيناً . فلا تقين عليك من حكم الباري جل وعلا في خلق العالم ( بفتح اللام ) أي في حكمة صنع اصناف الخلق . وقال اكثر المتكلمين ان المراد من العالم اعمها الجسماني المنحصر بالفلك العلوي والعنصر السفلي قال بعض المارفين : ان المراد به هو كل مصنوع وذلك اما مادي كالفلك والفلكيات والعنصر والعنصرات ، واما مجرد وهو الملائكة المسماة عند الملائكة الاعلى والمقول او النفوس الفلكية والارواح البشرية المسماة بالنفوس الناطقة . قال ( ع ) : والسباع ، وهي كل حيوان ذي ناب يعدو به ويفترس كالذئب والفهد والاسد واشباهها . والبهائم ، جمع بهيمة وهي عبارة عن ذوات الارب

عليها، فقال -ع- : يا مفضل لا تقين عليك من حكم الباري جل وعلا وتقدس اسمه في خلق العالم والسباع والبهائم والطيور والهوام وكل ذي روح من الانعام والنبات والشجر المثمر وغير ذات الثمر، والحبوب والبقول الماكول

من دواب الارض وكلما كان من الحيوان لا يميز الاشياء . والهوام . جمع هامه وهي اسم المخوف من الاجناس كالحية واشباهاها وقد يطلق على الحشرات ايضا وكل ذي روح من الانعام والنبات ، اما الانعام فهي جمع نعم والنعم ايضا اسم جمع لا واحد له من لفظه يطلق على الغنم والبقر والابل . اما النبات فهو جمع نبتة او نباته وهو كلما يخرج من الارض وما ينبت عليها من شجر ونجم وعشب . اقول : ولعل هذا للمطف التشريكي اعني عطف النبات على الانعام في قول

الامام (ع) ﴿ وكل ذي روح من الانعام والنبات ﴾ مشعر برأى الامام (ع) في ان للنبات روحا كما للانعام روحا بمعنى ان له حسا وحركة مثل الحيوان . وهذه هي نظرية علمية دقيقة عرفها علماء هذا العصر ، وكان قد اشار اليها الامام (ع) قبل ثلاثة عشر قرنا يوم لم يكن يدركها احد من حكماء عصره وفلاسفتهم . ولكن في هذا العصر اظهرها العالم الفرنسي الفسيولوجي ( بيشا ) وكان ذلك في أواخر القرن الثاني عشر الميلادي ، وقد ذكرها ( ابن سينا ) في ( النجاة ) وصدر المتألمين في إيفاره قبل اهداء بيشا اليها ثم ثبت بعد ذلك باكتشاف الازهار المتفتحة ليلا والمغلقة نهارا وبعد مدة ظهر العالم الهندي ( السرجفارس بوز ) فاخترع آلة دقيقة تعرف بها حركات النباتات واثار المؤثرات الخارجية فيه ثم توغل في البحث لانبات هذه النظرية المهمة فانشأ معهدا في ( كلكتة ) لدرس حركات النبات وانفعالاته بالحر والبرد والظلمة والنور . وهكذا فقد أخذت العلماء تلتفت الى ما يؤيد هذه النظرية . ومن المشهور

من ذلك وغير المأكول ، ما يعتبر به المعتبرون ويسكن الى معرفته المؤمنون  
ويتحير فيه الملحدون . فبكر علي غذا .

اليوم مشاهدة النباتات المفترسة لبعض الحشرات والحيوانات الصغيرة التي تنف  
على انصافها ! او تقرب منها مثل النبات المعروف ( بصائد الذباب ) ومشاهدة  
الازهار الضاحكة والباكية والمستحجية الى غيرها مما يثبت لنا علم الامام ع  
الذاتي المفاض عليه من المبدأ الاعلى عن جد رسول الله (ص) دون اكتاب  
ودون تعليم من الناس عدا جده وآبائه عليهم السلام .

وهكذا فقد اخذ الامام يمدد للفضل ما سيلقيه عليه من الحكم البالغة في  
الشجر المثمر منها وغير ذات الثمر وفي الجوب والقول المأكول منه وغير المأكول  
الى غير ذلك مما يعتبر به المعتبرون الذين يتكبرون في الآفق وفي انفسهم بعقل  
سليم وضمير صاف . طلباً لمعرفة تلك الاسرار الباهرة والشواهد الظاهرة .  
لتكون لهم عبرة يهتدون بها الى معرفة الصانع وتوحيده . ولتسكن الى معرفتها  
قلوب المؤمنين بالحق وتقر نفوسهم بالصدق وتعلمن عقولهم باليقين ، وتوكن  
اذهانهم الى الراحة والطمأنينة ولتتحير فيها الملحدون الذين لا يجدون بعد  
وضوح الحقيقة لديهم مجالاً للشك والانكار ، ولا يهتدون بعد ظهور انوار الواقع  
عندهم الى طريق يثبت لهم ولمن اغتر بهم تلك المدعيات الفاسدة والافتراءات الكاسدة  
ولتكون درساً بليغاً للفضل نفسه وللاجيال الآتية ، وعبرة لمن اعتبر ووعى  
م أمره بالتبكير اليه غذا ، فقام ممثلاً .

## المجلس الأول

قال المفضل : فانصرفت من عنده فرحاً مسروراً ، وطالت علي تلك الليلة انتظاراً لما وعدني به ، فلما أصبحت غدوت فاستؤذن لي فدخلت وقت بين يديه ، فامرني بالجلوس ، فجلست ثم نهض الى حجرة كان يخلو

---

هذا هو المجلس الاول الذي جلس فيه المفضل بن عمر بخدمة الامام (ع) ليعلي عليه ما وعده به من بيان حكم الباري تعالى في خلقه العالم بما فيه من حيوان ونبات وجاد وهاهو المفضل يقول لمحمد بن سنان : فانصرفت من عند الامام (ع) مسروراً بما وعدني به ، وبث ليلتي ارقاً اذ طالت على تلك الليلة انتظاراً لموعده ، ولما أصبحت غدوت مسرعاً الى منزل مولاي فاستؤذن لي ودخلت عليه وبعد السلام قت بين يديه فامرني بالجلوس فجلست ثم نهض الى حجرة كان يخلو بها كلما أراد ان يخلو بنفسه ونهضت بنهوضه احتراماً ، ولكنه اشار الي باتباعه فتبعته الى تلك الحجرة ، فدخل ودخلت خلفه : ثم جلس فجلست بين يديه فقال (ع) : يا مفضل كأني بك وقد طالت هذه الليلة انتظاراً لما وعدتك ، وكان ذلك لما يعرفني به من فرط شوقي وشدة طلبي لاثمال هذه الأحاديث الجليلة والمطالب السامية التي طالما كنت اتلقاها منه (ع) كلما تشرفت بخدمته فقلت أجل يا مولاي لقد كانت طويلة على . ولم ينشق نور الصبح حتى امرت لاحظلي بما افوز به منك في الدنيا والآخرة ، فقال (ع) : يا مفضل ان الله كان ولاشيء قبله وهو باق ولا نهاية له .

أقول : شرع الامام (ع) في بيان صفات الخالق تعالى قبل الحمد لكي يسند الحمد الى معلوم معين بوصفه حيث انه تعالى لا تدرك ذاته . فقال (ع) : انه كان

فيها ، ونهضة بنهوضه ، فقال -ع- : اتبني فتبعته ، فدخل ، ودخلت خلفه ، فجلس وجلست بين يديه فقال -ع- : يا مفضل كأنني بك وقد

ولا شيء قبله اي انه قديم ازلي ، وهو باق ولا نهاية له . انه دائم سرمدي اما القديم الازلي فهو الذي لا اول لوجوده ، وبتعبير آخر هنو الذي لم يسبق وجوده عدم ومعنى قول الامام ( ع ) ان الله كان ولا شيء قبله ، انه تعالى اول الاشياء في الوجود واذن فهو علة الاشياء لأنها لا توجد بغير علة ، وقد فرضناه أولها ولا شيء قبله ، وعليه فهو قديم ازلي فان العلة لا تكون الا واجبة الوجود ممتنة لعدم ، واذا ثبت قدمه ثبت ان لا شيء قبله وأن لا شيء معه ايضاً اذ لو كان معه شيء في الازل لم يجز ان يكون خائفاً له لأن الخلق لا بد وان يكون قبل الخلق ، وقد فرض انه لم يزل موجوداً معه . والى هذا اشار مولانا الرضا ( ع ) بقوله : ان الله تعالى قديم ، والقدم صفة دلت العاقل على انه لا شيء قبله ولا شيء معه في ديموميته . وأما السرمدي الدائم فهو من لا آخر لوجوده ولا نهاية له ، فكل شيء زائل ماعداه ( كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام ) والدليل على سرمديته بهذا المعنى هو أنه لو كان له آخر ينتهي اليه امكن متغيراً والمتغير حادث بالضرورة فلا يكون قديماً ولا واجب الوجود وقد تعالى الله عن ذلك علواً كثيراً

ثم قال له ( ع ) : فله الحمد على ما الهنا . والشكر على ما منحنا ، أقول : لقد خصص الامام ( ع ) حمله وشكره بالله المنعم المتفضل ، وذلك بتقديم الخبر وهو الجزر والجزور على المبتدأ وهو الحمد ، والشكر معطوف عليه كذلك . والالهام لغة كما في الغاموس وغيره هو الابحاه والتلقين والتوفيق فيقول ! اهم الله فلاننا لا شيء اي أوحى اليه ، أو افقه اياه أو وفقه له . والمنحة هي العطية والهبة ،

طلالت عليك هذه الليلة انتظاراً لما وعدتك فقلت أجل يا مولاي فقال - ع -  
يا مفضل ان الله تعالى كان ولا شيء قبله وهو باق ولا نهايه له فله الحمد على

فكأنه قال ( ع ) : انا نحمده تعالى ونشكره ونخص الحمد والشكر به ، لأنه انعم  
علينا بنعمه الجليلة ، ومنحنا الآه الكثیرة بابحاثنا لنا أو بتلقيتنا اياها مع التوفيق  
لها . فهو ابي الالهام ان كان بمعنى الایحاء والتلقين اختص بالمعارف فقط ولا  
يعم ساير النعم الاخرى ومن اجل ذلك قال ( ع ) : فقد خصنا من العلوم  
بأهلها . واذا كان بمعنى التوفيق فقد يشمل بعض النعم الاخرى كالأعمال التي  
يحسن اسنادها الى التوفيق . ثم انه مما لا مشاحة فيه ان العلم هو اسنى الفضائل  
بل هو الفضيلة الحقيقية بعينها لا غير ، اذ به حياة الامم ، وعليه تدور سعادتها  
في جميع ادوارها واطوارها ، وبه يسمو الانسان وتشرف نفسه ، وبه يتميز على  
ساير انواع الحيوان مطلقاً ، وقد ورد الثناء العاطر على العلم وأهله في السنة  
والكتاب كما ورد الحث على طلبه من المهد الى اللحد والرحلة اليه ولو الى الصين  
ولكن مما لا ريب فيه ان العلوم مهما شرفت فهي تختلف في المنزلة وتفاوتت في  
الرتبة ، وذلك بحسب تفاوت موضوعاتها وغاياتها ، ولأجل هذا فقد ورد السؤال  
في أن هذا المدح والثناء هل هو خاص بالعلوم الدينية ، أم انه عام لكل علم من  
العلوم ؟ وقد أجاب العلماء والعقلاء : بان ذلك دون شك يختص بعلم الدين فقط  
مستدلين على ذلك بقوله تعالى : ﴿ انما يحشى الله من عباده العلماء ﴾ وانهم أي  
العلماء لم يجدوا خشية ولا خوفاً من الله عند كثير من علماء الصناعات وذوي  
الفنون وسائر العلوم الاخرى غير علماء الدين بل ان بعض هؤلاء لم يعترف  
بوجود خالق للكون البتة ، فاذا كان هؤلاء العلماء هكذا رأيهم في الله فكيف  
يخشونه ، وقد عبر الله تعالى عن العلماء بمن يخشونه ، ومدحهم بهذه الخشية .

ما ألهنا والشكر على ما منحنا فقد خصنا من العلوم بأعلاها ومن المعالي  
باسناها واصطفانا على جميع الخلق بعلمه وجمالنا مهينين عليهم بحكمته

---

والسبب في هذا الاستحقاق هو أنهم ما زالوا يطلبون بطمأنينة من الناس واسعادهم  
ولا يسمعون إلا آياته معها وجدوا إلى ذلك سبيلاً . وليس المقصود من العلوم  
الدينية إلا ما أوصلت إلى معرفة الله تعالى وعبادته . وهي قسمان الأول الهامي  
الإيماني والثاني كسبي مأخوذ عن الناس ، ومعلوم أن الأول أشرف وأعلو من الثاني  
لأن الثاني وهو الكسبي يقع فيه الخطأ والصواب والصحة والغلط ، ولا كذلك الإلهامي  
الإيماني فإنه كله صواب ، حيث لا يصدر إلا عن حقيقة . ولا ينبع إلا عن واقع  
فلا خطأ فيه ولا خلل . وهذا خاص بالأنبياء والأولياء دون سائر الناس وهو  
الذي أراه الامام ( ع ) بقوله : قد خصنا من العلوم بأعلاها . أي إن الله تعالى  
قد خصنا بأعلا العلوم وهو الإيماني الإلهامي الذي توارثوه عن جدم عن الوحي  
الصادق بالتلقين والتوفيق . ولا بدع في ذلك بعد أن أودع جل شأنه في  
الزبي ( ص ) وأهل بيته الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، قوة  
قدسية نورية يتمكنون بها من استطلاع الحوادث ومعرفة ما سيقم في الوجود ،  
ويستكشفون بواسطة تلك القوة المفاضة عليهم من ساحة الحق جميع الحقائق على ما  
هي عليها من قول أو عمل . على أن هذا الفيض الأقدس من المبدأ الأعلى على  
شخص ممن يعرفه الله ويرضيه غير ممنوع عقلاً وغير بعيد عن اللطف الإلهمي  
الشامل . بعد أن كان تعالى يفيض نعمه الجليلة حتى على العاصين من عباده بل  
والتمادين في عصيانه . فكيف لا يفيضه على من اشتقهم من الحقيقة الأجدية .  
واختارهم بعلمه خلفاء في الأرض بعد نبيه ( ص ) . وعليه فإذا اتقى المبدأ للفيض  
والذوات القابلة للافضاضة فإنه لا بد وان تكون تلك الذوات عالمة بواسطة فيضها بما

فقلت : يامولاي اناذن لي ان اكتب ما نشرحه وكنت قد اعددت معي  
ما اكتب فيه فقال لي : افعل يامفضل .

يحدث من حوادث ، وبما أودعه الخالق المبدع في مخلوقاته من خواص وحكم  
وعلم واسرار ، ولا بد أن يخصهم بعلمه الذي هو اعلا العلوم واسماها .

قال ( ع ) : ومن المعالي باسناها : أقول : المعالي جمع معلاة ( بفتح الميم )  
وهي الشرف والرفعة ، وهنا يعني شرف النسب النبوي الكريم ورفعته التي هي  
من اشرف الأنساب واسناها ، فالتبي (ص) نخبه العالم وسيد ولد بني آدم وخير  
من اصطفاه لرسالته وأقرب من اتخذه حبيباً . وابناؤه هم وارثوه في هذا الشرف  
وتلك الرفعة . فلا غرو اذا اختصهم الله من المعالي باسناها ومن النسب باوضحه

قال ( ع ) : واصطفانا على جميع الخلق لعلمه : أقول : ان الله تعالى قد  
استأثر بعلم الغيب وحده ، وحجب الاهبار والبصائر من الناس عن النفوذ الى  
ما وراء الغيب والاطلاع على مستقبل الحوادث التي ستأخذ محلها من الزمان  
والمكان . ولكنه تعالى اذا أخبر عبداً مرضياً عنده مجادته أو اطلمه على حكم .  
فان ذلك لم يكن بالشئ البعيد عن المؤلف . ولا المستحيل عقلاً . وقد قال تعالى :

﴿عالم الغيب فلا يظهر على فيه أحداً الا من ارتضى من رسول﴾ . قال ابو جعفر :  
كان والله محمد ( ص ) ممن ارتضاه ولم يبعده الله عن معرفته عن هذه المنزلة بعد  
اشتقاقهم من النور المحمدي ﴿ وقد ورد عن الامام الرضا عليه السلام قوله : ان  
رسول الله هو المرتضى عند الله . ونحن ورثة ذلك الرسول الذي اطلمه الله على  
غيبه فعلمنا ما كان وما يكون الى يوم القيامة .

قال ابن حجر الهيتمي ما مختصره : ان الله تعالى مستأثر بعلم الغيب وحده  
أما علم الأنبياء والأولياء بمجزئيات الغيب فانما هو باعلام الله تعالى وهو خير



علمه الذاتي الذي فرد به . وهذا لا يستلزم محالا بوجه ( انتهى ) أقول وعلى هذا مشى النووي في فتواه . وقال العلامة الآلوسي في تفسيره ( روح المعاني ) عند قوله تعالى : قل لا يعلم الغيب الا الله . لعل الحق ان يقال ان علم الغيب المنفي عن غيره تعالى هو ما كان للشخص بذاته أي بلا واسطة في ثبوته له ، أما ما وقع للاحواس فليس من هذا العلم المنفي في شيء . وإنما هو من الواجب منه عز وجل افاضته عليهم لوجه من الوجوه فلا يقال انهم علموا الغيب بذلك المعنى فانه كفر ، بل يقال بانهم اطاعوا على الغيب ، اذاً فيكون علم الغيب قسمين ، فنه ما هو عين واجب الوجود ، بحيث لا يكون صادراً عن علة غير ذات قاطر السموات والأرض . ومنه ما كان صادراً عن علة . ومتوقفاً على وجود الفيض الالهي ، وهو ما يكون في الأنبياء والأولياء ( انتهى ) .

أقول ؛ وعلى ذلك فلا عجب ان يكون أئمة آل البيت عليهم السلام ، هم المصطفون على جميع الخلق ، لعلمه بهم وبما أودع فيهم من قابلية ، وهم ورثة الرسول المرتضى عليه السلام . وفي نسخة اخرى - اصطفاً على الخلق بعلمه - بالبهاء لا باللام . ولعلها هي الأصح ، فيكون المعنى ؛ ان الله تعالى اصطفاً بما علمه منا من بين مخلوقاته واختارنا على علم على العالمين جميعاً خلفاء لحبيبه وصفيه واوصياء لنبيه ورسوله . وكلفنا بارشاد عباده لعبادته وتوحيده . وبما يؤيد هذا المعنى قوله ( ع ) بعد تلك العبارة ؛ وجعلنا مهيمنين عليهم بحكمه . فان المهيمنة هي الاشراف والتسلط على الشيء . والمهيمن هو المراقب والحافظ والشاهد القائم بالأعمال فكأنه ( ع ) قال ؛ وان من نعم الباري تعالى علينا ان اختارنا بعلمه ثم جعلنا مهيمنين على الخلق مراقبين لأعمالهم شاهدين عليهم قائمين بارشادهم وان هذه الوظيفة العظيمة والنعمة الجليلة لم تحصل لنا الا بعد علمه بنا ، وحكمه علينا بارشادهم ، وعليهم بالطاعة لنا .

قال الفضل : ولما املى على سيدى هذه الكلمات مبتدأً في البيان احببت ان اكتب ذلك لكي لا يفوتني شيء منه ، فاحرم المعرفة بها ، لذلك قلت له : اتأذن لي يا مولاي ان اكتب ما تشرحه ؟ وكنت قد اعددت معي ما اكتب فيه فقال لي افعل يا منفضل ، ثم شرع يقول :

## جهل الشكاك باسباب الخلق

قال عليه السلام : ان الشكاك جهلوا الاسباب والمعاني في الخلق ، وقصرت افهامهم عن تأمل الصواب والحكمة فيما ذرأ الباري وبرأ من صنوف خلقه في البر والبحر والسهل والوعر ، فخرجوا بقصر عقولهم الى الجحود ، وبضئف بصائرهم الى التكذيب والمنود حتى انكروا خلق الاشياء وادعوا ان تكونها بالاھمال ، ولا صنعة فيها ولا تقدير ولا حكمة من مدير ولا صانع ، تعالى الله عما يصفون ، وقائلهم انى يؤفكون ، فهم في ضلالهم وغيبهم ونجبرهم بمنزلة عميان دخلوا داراً قد بنيت اتقن بناه واحسنه وفرشت

---

ان الذين الحدوا في الصانع المبدع ، وأنكروا الخالق القدير ، حتى ضلوا عن الطريق المستقيم ، لصنفان ؛ صنف حرم نعمة العقل وهبة الادراك ، ولم يؤت نصيبه من الفهم ، فهذا جاهل يعد من السوانم ، اذ لا شعور له لكي ينبه على جمال هذا الكون ولا حس لديه ليوقف مشاعره اشراق شمس مضئية ، أو أقول بئر منير أو ابي ظهير في العالم المائي ، بالمبر والمنهيات ( اولئك كالانعام بل هم اضل سبيلا ) . وصنف رزق الذكاء ، واوتي العلم ، فخدعه ذكؤه ، وغره علمه ، فخيلى اليه انه من يصل الى الحقائق بعلمه ، ويدركها بجهله ، فد بصره الى افق

باحسن الفرش وافخره ، واعد فيها ضروب الاطعمة والاشربة والملابس  
 والمآرب التي يحتاج اليها ولا يستغنى عنها، ووضع كل شيء من ذلك موضعه  
 على صواب من التقدير وحكمة من التدبير، فجعلوا يترددون فيها يمينا وشمالا  
 ويطوفون بيوتها اديارا واقبالا ، محجوبة ابصارهم عنها، لا يبصرون بنية  
 الدار وما اعد فيها، وربما عثر بمضهم بالشيء الذي قد وضع موضعه واعد

---

أبعد من حدود عقله وارقتى الى ارفع من مستوى علمه، حتى تاه في يسداء  
 الضلال وسار فيها بقدم جريئة ظننا منه ان باقتداره ان يخزق الأرض، وان  
 يبلغ الجبال طولاً . وهذا ايضا لا يبعد كثيرا عن أخيه الجاهل ، لأنه عشق  
 النور فاحترق بالنار .

وقد عبر الامام عليه السلام عن هذين الصنفين ( بالشكك ) ثم فصل حالهم  
 وبين ما هم عليه من الجحود بقوله: ان الشكك جهلوا الأسباب والمعاني في الحلقة  
 اي لم يدركوا علما ولا حكمة ابجادها ، فقصرت افهامهم عن تأمل الصواب ،  
 وتقهقرت مداركهم عن الوصول الى معرفة حقيقه ما ذرأ الباري وبرأ الخالق من  
 صنوف خلقه في هذا العالم من ير وبجر وسهل ووعر ( أو لم يتفكروا في انفسهم  
 ما خلق الله السموات والارض وما بينها الا بالحق وأجل مسمى وان كثيرا من  
 الناس بلغناه ربهم لكافرون ) ولو فكروا لعلوا صدق قوله تعالى ( سترهم آياتنا  
 في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق أولم يكف بربك انه على كل شيء  
 شهيد ) ولكن خرج صنف منهم لقصر علومهم الى الجحود ، وخرج الصنف  
 الثاني لضعف بصائرهم الى التكذيب والضود حتى أنكروا خلق الاشياء ، ولم  
 يعترفوا انها من خالق مبدع باري حكيم ، زاعمين ان هذا العالم على ما فيه من  
 نظام واتقان ، وما حوى من عجائب وغرائب ، لم يتكون الا بالمصادفة ، فلا صنعة

للحاجة اليه ، وهو جاهل للمعنى فيه ولما اعد ، ولما إذا جمل ذلك ، فتذمر  
وتسخط وذم الدار وبنائها ، فهذه حال هذا الصنف في انكارهم ما أنكروا  
من امر الخلقه وثبات الصنعة ، فانهم لما غربت أذهانهم عن معرفة الاسباب  
والعلل في الاشياء ، صاروا يجولون في هذا العالم حيارى ، فلا يفهمون ما هو  
عليه من اتقان خلقته وحسن صنعته وصواب هيئته .

في تكوينه ، ولا تقدير في نظامه ، ولا حكمة في تديره ، فهو غير صادر عن  
صانع مدبر وعالم قادر ، قائلهم الله انى يؤفكون .

ثم اراد الامام ( ع ) ان يفصح عن احوالهم بصورة اجل ، ويقرب معتقدهم  
الى الافهام بعبارة أوضح فقال ( ع ) : فهم في ضلالهم وتجبهم الناشئ . عن  
الجهل أو الغرور بما لديهم من علم وذكاه كالعريان الذين دخلوا داراً مشيدة عالية  
البناء بديعة الهندسة ، قد فرشت باحسن الفرش وافخرها ، واعدت فيها ضروب  
الاطعمة والاشربة والملابس وكلما يحتاج اليها الساكن ولا يستغنى عنها القاطن  
هذا وقد وضع كل شيء موضعه بكل تقدير وصواب وحكمة وتدير ، فجعل هؤلاء  
العريان بطوفون في تلك الدار عياناً وشحلاً ، ويدخلون بيوتها اقبالا وادباراً ،  
ليعرفوا ما فيها ، ويتعقلوا بناءها . ولكنهم كانوا ينظرون وبصائرهم محجوبة ،  
ويبصرون ولكن بلا عيون ترى تلك البنية ليشعروا بما أعد فيها ، وكيف  
يرون ويدركون ولم عيون لا يبصرون بها وقلوب لا يفقهون بها وربما عثر  
بعضهم بالشيء الموضوع في محله دون أن يشعر لماذا اعدتها أو أن يعرف سبب  
وضعها . فيتذمر ويسخط ، ثم يذم الدار وبنائها ، ويلوم واضعها وينسب الى الجهل  
والحال انه هو الجاهل بالعرض ، وهو الغيبي عن الحكمة . هذا هو حال هذا الصنف  
عند انكارهم لابداع الخلقه واتقان الصنعة ، وهؤلاء هم الصنف الاول ممن

ذكرهم الامام (ع) وهم الذين شبههم بالسوانم ، لعدم تعقلهم الامور . فانهم لما  
 غربت عنهم معرفة الاسباب والطلل في الاشياء ، صاروا يجولون في افكارهم  
 الضئيلة في هذا العالم حيارى تائبين ، وسكارى لا يعقلون . فلا الى غاياتهم وصلوا  
 ولا الى الحق اهتموا . وطبيعي ان من لم يفهم حكمة الخلق ولم يدرك اسرارها  
 يصر عليه أن يبتدي الى معرفة خالفها . وهذا امر طبيعي فطري لا يحتاج  
 الى برهان ، وامر وجداني واضح لا يستلزم الدليل .

## الصف الثاني من الشكوك

قال الامام (ع) : وربما وقف بعضهم على الشيء بجهل سببه والارباب  
 فيه ، فيسرع الى ذمه ، ووصفه بالاحالة والخطأ ، كالذي اقدمت عليه المنانية  
 الكفرة ، وجاهرت به الملحدة المارقة الفجرة ، واشباههم من اهل الضلال  
 والمعلمين انفسهم بالمحال .

وهذا ذكر الامام (ع) الصف الثاني من الشكوك بقوله : وربما وقف بعضهم  
 الخ وهم الذين رزقوا شيئاً من العلم والذكاء غير انهم اغتروا بعلمهم . ونطاولوا  
 بذكائهم فطلبوا فوق مستواها . وتحملوا فوق طاقتهم المحدودة فضلوا واضلوا ،  
 وحادوا عن الصراط المستقيم اذ جهلوا اسباب الأشياء التي وقفوا عليها ، ولم  
 يفتنوا الى الحكمة والأرب الذي اودع في خلقها فاسرعوا الى ذمها ، ووصفوها  
 بالاحالة والخطأ عتواً وغروراً وهؤلاء هم الكفرة . والكفر لفة جحد الوجدانية  
 أو النبوة أو الشريعة ، والكافر هو جاهد الجميع ، وقد قسموا الكفر الى ثلاثة  
 اقسام ( ١ ) كفر انكار ، وهو ان لا يعرف الله تعالى ولا يعترف به ، وهذا  
 كافر بقلبه ولسانه ( ٢ ) كفر جحود وهو أن يعترف بقلبه ولا يقر بلسانه

ولا يدين به حسداً وبنياً مثل كفر أبي جهل واضرابه ( ٣ ) كفر نفاق وهو ان يقر بلسانه ، ولا يترف في قلبه . ومن الكفرة الطائفة المنانية ( المانوية ) اتباع الحكيم المترندق ( ماني ) الفارسي بن فاتك ، الذي ظهر أيام الملك ( شابور ) الساساني ، وقد مزج مذهبه من النصرانية والمجوسية ، وكان يزعم انه عالم بالاسرار ، ويقول ان العالم مصنوع ، ولكن له اصلين هما : ( الظلمة والنور ) الازليان . ولما عميت بصيرته عن شواهد الحكمة في الخلقة نسبها الى الخطأ ونسب خالقها الى الجهل ، وقد أنكر الانبياء جميعهم الا آدم وشيث ونوح وإبراهيم وعيسى وزرادشت ، مدعياً ان عيسى انما جاء ليشر بظهوره أي ظهور ماني نفسه : فتبعه خلق كثير ، وبقي مذهبه الى اوائل الدولة العباسية ، والى عصر الصادق ( ع ) وقد تسربت آراؤه وتعاليمه الى أنحاء آسيا واروبا .

أما الملحدة المارقة الفجرة . فهم العادلون عن الحق ، والمدخلون عليه ما ليس منه والمنكرون لما لو عقلوه ما حادوا عنه ؛ والمائلون الى ما لو فطنوا اليه لم ينكروه ولكنهم فجروا فالحدوا عنواً وغروراً ، وهم الدهريون والطبيعيون والماديون . أما الدهريون : فهم الذين يقولون بقدم الدهر وقدم العالم ، وان الدهر هو المدبر للعالم والمؤثر فيه . وان الدهر لا يبلى ولن يبلى ، وانه لم يبل شيئاً الا احدث آخر وهؤلاء هم الذين حكى الله تعالى عنهم في كتابه المجيد بقوله ، ( وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون ) .

أما الطبيعيون : فهم الذين اسندوا خلق هذا العالم الى الطبيعة ، وقالوا ان الكون كله مفود بنواميس طبيعية ثابتة لا تتحول ، بل تخضع لها جميع الكائنات وتسمى هذه النواميس عندهم ( بالنواميس الطبيعية ) .

أما الماديون : فهم الذين اسندوا هذا الخلق الى المادة ، وقالوا بقدمها وانها

هي مصدر كل كائن ومرجع كل موجود ، وان لها خصائص تلازمها ولا تنفك عنها ، بحيث تصلح لان ترفى بها الكائنات من الجماد الذي لا يبي الى ا كبر فيلسوف المعنى بالتدرج وفي أدوار متعاقبة ، مقودة بنواميس ثابتة عاملة على نظام آلى تحت . لا اثر للعقل والشعور فيه . وعليه فكل ما يفتك من آثار التدبير والتعقل ينتهي بالتحليل الى المادة الأولية ، وكلا انت به الأديان والفلسفة من وجود عقل مدير وروح مفكر ومن عالم وراء هذا العالم فزخارف كلامية أولدها الخيال ، وتمسك بها الجهال ، يقوم على حفظها رجال لمصلحة ذاتية ، او بتأثير وراثه تقليدية ، قد لا يمضي عليها قرن أو قرنان حتى يضطروا للتخلي عنها فيصبح الناس كلهم اخواناً على المحجة المادية البيضاء ، لا يضر بون في متاهات الأوهام ، ولا يدينون بحلم من الاحلام .

هذا مؤدى المذهب المادي السخيف المنسوب أخيراً الى ( داروين ) الذي ظهر سنة ١٨٥٥ م وقد بنى مذهبه هذا على اصول أربعة ، كلها واهية سخيفة وان العاقل ليرأها بعد العربة والتدقيق انها قائمة على جرف هار ، لا يستقيم حتى ينهار بعضها على بعض . والاصول هي :

١ - قبول الاحياء للتغير بمزاولة الحياة .

٢ - انتقال هذه التغيرات الى النسل بطريق الوراثة .

٣ - تنازع البقاء في الحياة .

٤ - بقاء الاقوى والأكمل من المتنازعين وضمور الأضعف وتلاشي .

وانت جد خبير بما عليه هذه الطائفة من الاحاد للصانع والمروق عن الدين

السماوي ، والفجور في المدعيات والاقوال .

وهؤلاء الطوائف الثلاثة هم الذين قصدم الامام (ع) بقوله: الكفرة الملعنة

الذين غرهم عليهم واعامهم ذكائرهم ، فتوهوا ، انهم فهموا الاسرار الكونية وأحاطوا

بمعرفة العالم تحقيقاً على أنهم هم الغافلون عن أن هذه السفطات الخيالية من  
 ارجاع تدبير هذا العالم البديع الى الدهر او الطبيعة او المادة ليس الا زعمافارغا  
 وحكما دون ترو ، وفكراً غير مستقيم . فانهم لو تأملوا وتدبروا ونظروا بين  
 البصيرة عن فكر مستقيم ، لادركوا انهم مغرورون بما اوتوا من علم وذكاء .  
 غافلين عن جود افكارهم ، وانهم لا يفقهون حقيقة ما يقولون ولكنهم يزعمون  
 انهم يستندون في آرائهم على العلم ، وانهم أقرب من غيرهم الى الحقيقة مع ان  
 العلم هو الذي ينادي مصرحاً بأنه لا يدري من بدايات الأشياء ومصائر هاشيثاً  
 وانه لا يدرك ما عدا المحسوسات المحدودة . فمن اين جاءهم علم ما كان وما  
 يكون ؟ ومن أي منبع استقوا عقائدهم هذه التي بنسوا عليها هذا الجحود والتكذيب .  
 - أما المراد باشباههم من أهل الضلالة . فهم ما عدا هؤلاء من أهل الاهواء  
 والنحل الذين لا يركنون الى طريقة معقولة أو مبدأ مستقيم . وهم كثر لا يسع  
 ذكرهم هذا المختصر ومن طاب التفضيل فليراجع الكتب الخامة بهذا الموضوع .

## نعم الله والشكر عليها

قال الامام (ع) : فيحق على من انعم الله عليه بمعرفته ، وهداه لدينه  
 ووفقه لتأمل التدبير في صنعة الملائق ، والوقوف على ما خلق له من لطيف

---

ان من فكر وأمن النظر ثم انصف نفسه وتدبر ادرك أنه مغرور بنعم الله  
 الكثير باطنه وظاهرة ، وعلم انه محاط باياديه وآلانه الغزيرة الوافرة في جميع  
 احواله ( وان تمدوا نعمت الله لا تحصوها ) . وحيث لا يمكن عدها فلنذكر  
 اجابها قدراً واعظمها أثراً وارفعها درجة لتكون نموذجاً لك في التفكير وطريقاً



التدبير وصواب التقدير بالدلالة القائمة الدالة على صانعها . ان يكثر حمد الله

الى معرفة غيظ من فيض من تكم النعم الالهية التي جلت عن التعداد، وارتفعت  
عن الحصر والبيان وهي :

اولا - نعمة معرفة الله تعالى ، والمقصود منها معرفة كونه موجوداً فيوما  
واحداً لا شريك له ولا ند ولا ضد ولا صاحبة ولا والدا ولا ولدا ، وأنه قادر  
عالم صانع حكيم سميع بصير مدرك مريد كاره متكلم صادق ، ليس بجسم ولا  
مركب لا تأخذه سنة ولا نوم . الى غيرها من الصفات الكمالية الثبوتية التي هي  
عين ذاته ، والجلالية السلبية ، وان هذه الصفات كلها تعرف بالاثار ، ويتوصل  
الى معرفتها بالتفكير والتدبر في مخلوقاته وموجوداته ، اما معرفته جل شأنه ولكنه  
والحقيقة فهي امر مستحيل ، ومرام ليس للعقول اليه سبيل .

وقد قسمت المعرفة بنفسها الى اجمالية فطرية لا يشك فيها . فكل انسان  
مدرك لا يشك في ان للمصنوع صناعاً ولكل سبب مسبباً . اما انكار بعض  
الناس لذلك فهو غير مناف ، اذ قد يفضل الانسان عن البديهي ، وشدة الظهور  
تسبب الخفاء وقد قال الله تعالى : اني الله شك قاطر السموات والأرض . ثم الى  
معرفة تفصيلية للصانع مما يجب له وما يتمتع عليه وهذه لاشك مفتقرة الى الدليل  
والتفكير . اما معرفة الله تعالى هذه فواجبة على كل انسان وجوبا بالعقل لا بالسمع  
أو التقليد ، وقد ذكر العلماء لذلك ادلة كثيرة منها ﴿ دليل الخوف ﴾ وذلك  
ان الانسان بعد ان يطلع على اختلاف الآراء في الصانع وبعد أن يحتمل ان  
معرفة ذلك الصانع واجبة يستحق العقاب من ترك تحصيلها وتحصيل المعرفة بما  
يتبها . اقول اذا احتمل ذلك حصل له الخوف ، فيحكم عليه العقل بوجود  
تحصيل المعرفة ، ليأمن من الخوف ومنها ﴿ دليل شكر النعم ﴾ فان الانسان

مولاه على ذلك ، ويرغب اليه في الثبات عليه والزيادة منه ، فأنه جل اسمه

ينظر في نفسه وفيها حوله ، فبرى من النعم العظيمة الجزيلة مالا يتمكن من احصائها فيمته العقل على تأدية حق منعم تفضل عليه بهذه النعم ، ثم مقدمة لشكر هذا المنعم تجب معرفته بل تحصيل معرفته هو اول اداء شكره ومنها ( دليل الاحتياط ) الذي هو الاحتياط الحزم والتحمل ، وذلك حين يستمر الشك ويدور الأمر بين الافرار والانكار . وقد ذكر الامام عليه السلام الأخذ بالاحتياط والحزم في بعض احاديثه مع ابن ابي العوجاء ، فقد قال له يوماً : ان يكن الأمر كما تقول - وليس كما تقول - نجونا ونجوت ، وإن يكن الأمر كما نقول - وهو كما نقول - نجونا وهلكت .

وعلى كل حال ، فان جميع هذه الوجوه التي ذكرناها نحتاج الى ان تكون عن طريق العقل والتفكير ، وليس للتقليد فيها مجال . وذلك لان المعرفة لم تكن فطرية في الانسان . والا لما اختلف الناس بالنسبة له تعالى ، ولما احتاجوا الى ارسال الرسل والانبياء . فيكون هذا الاختلاف في الناس دليل احتياجهم الى العقل والتعكير في معرفته جل وعلا . ولولا هذه المعرفة لاصبح الناس كلهم هملاً لا ميزة لهم على الحيوان والجماد ، اذاً فمعرفة الله تعالى نعمة من اجل النعم وأعظمها .

ثانياً نعمة الهداية لدينه وهي عبارة عن التوفيق الى الطريق الموصل الى الحق وهذه الهداية تأتي على مراتب ( منها ) اعطاء الله العبد تلك القوة التي بها يتهدي الى مصالحه كاعطائه الحواس الخمس الظاهرة ، والخمس الباطنة ، وكنهه القوى المدبرة والمعركة التي اشار اليها تعالى بقوله ( اعطى كل شيء خلقه ثم هدى ) . ( ومنها ) بمثة الرسل والانبياء الى الخلق لارشادهم الى الحق والى هذا اشار تعالى بقوله : ( وجعلناهم أئمة يهدون بامرنا ) ( ومنها ) زيادة الهداية التي يوابها اللولى كل من اهتدى من عبادة الصالحين ، ثم امدادهم بها آناً بعد آناً ، وحالا بعد حال ،

يقول ( لئن شكرتم لازيدنكم واثن كفرتم ان عذابي لشديد ) .

بحسب اكتسابهم للخيرات ، واستزادتهم من العلم والعمل الصالح . وإياها غني سبحانه وتعالى بقوله ( والذين اهدوا زادهم هدى ) وقوله تعالى : ( والذين جاهدوا فينا لنهديم سبلنا ) وهذه النعمة اعني الهداية لدينه يتوصل المرء الى الكلمة التي قالها أهل الجنة وحكاها عنهم للقرآن الكريم بقوله : ( وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله ) ( إذا فمن ادق هذه النعمة كان من الذين انعم الله عليهم غير المنضوب عليهم ولا الضالين .

ثالثاً - نعمة التوفيق للتأمل والتفكير في تدبير صنعة الخلاق وفي اسرارها ، ومعرفة ابدعها وانقائها ، فانه أي الانسان إذا ما فكر بعقله فيها وهبه له الله تعالى من القوى والحواس الظاهرة والباطنة ، وتأمل بنور فطرته فيماركب في بطنه من دقائق الحكمة وبدائع الخلق . ثم نظر بصبره الى ما هو مضمور به من أنواع النعم وصور الآلاء ، وعابن هذا الغناء اللانهائي الذي لا يفتأ يمتد امامه ، ثم تصور هذا الزمن الذي لا بداية له ولا نهاية ، ثم اعتبر مفكراً في الطاقة المقيدة المحبوسة في هذه القرية الصغيرة المتكون منها الكون ، وكذلك في نفس الكون الذي لاحسده بعوامله التي لا تحصى وفي نجوم السماء التي لاتعد ، وفي الاهتزازات التي يسميها العلماء الطبيعيون ( بالضوء والكهرباء والحرارة والمغناطيس ) وفي الجاذبية العجيبة وسيطرها بنواميدها الطبيعية على العالم . وبالجملة فان المرء اذا وفق للتفكير في الآفاق والانفس ، امكنه أن يستدل بها وبما فيها من المصالح والمنافع والحكمة والابداع على كمال الصانع وعلمه وقدرته ، وهذا التفكير بمد من اعظم العبادات قدراً وأشرفها أثراً وأغنىها رتبة ومكانة كما وردت به الاخبار عن النبي ( ص ) والأئمة الاطهار مستفيضة متواترة

وكلها بما ينور القلوب ، ويخرج المرء من سبات الغفلة ، ويوصله الى الخير والكمال .  
قال النبي ( ص ) : تفكر ساعة خير من عبادة سبعين سنة ، وقال أمير المؤمنين  
عليه السلام التفكير يدعو الى البر والعمل . وقال الرضا ( ع ) : ليست العبادة الصوم  
والصلاة ان العبادة هي التفكير في أمر الله تعالى .

رابعاً - نعمة الوقوف على ما خلفت الخلائق لاجله والاطلاع على لطيف تدبير  
الله و صواب تقديره فيها . فان التفكير في ذلك والتوفيق للوقوف على فهم الحكمة منها  
ومعرفة الغاية المحلوقة هي لاجلها ، كل ذلك هو ايضاً من النعم السامية الاخرى التي  
يجب شكر المنعم عليها وتوضيح ذلك ان الانسان اذا ما وقف بعد التفكير على  
غاية الصانع من صنعه وعرف انه انما رزق العقل والعلم ليسيروا نحو الكمال الانساني  
وانما منح للحواس المدركة والاعضاء العاملة المحلوقة على احسن تقويم ليتعد عن  
الحيوانية المهمة وانما اعطى المنطق في التعبير عن لغراضه ومقاصده لتمييز عن  
ساير المحلوقات ويعلم الى اسمى درجة من الوجودات أقول اذا عرف المرء ذلك بعد  
التفكير والتفكير ، كان تفكراً في نفسه . أما التفكير فيها هو خارج عنه وهو مخلوق  
لاجله ، فذلك بان يوفق للوقوف على انه تعالى جعل الارض له فراشاً ، والسماء سقفاً  
وأزل من السماء ماء ليخرج له من الثمرات رزقا ، وسخر له الشمس ضياء ، والقمر  
نورا ، والحيوان طعاماً وركوباً ، والنجوم هادية وهديلاً ، الى غير ذلك من  
المخلوقات التي هيأها لراحة الانسان ونيل سعادته وما آراه .

فاذا وفق الى التفكير في كل ذلك وأكثر من ذلك ، أدرك انه الى اي حد يجب  
أن يعرف الصانع الحكيم ، وكيف يحاول بان يرتفع ليستطيع تفسير حكته البالغة  
ويعرف مقاصده السامية في الخلق ، ثم كيف يؤدي بعد تلك المعرفة شكره وحمده  
بقدر ما يليق بمثل هذا المنعم العظيم والتفضل للكريم .

والآن فليفكر هذا الانسان المعمور بمثل هذه النعم العظام والايادي الجسمام

ولينصف نفسه ، اليس حقيقاً به ان يكثر الحمد والشكر لله تعالى على جزيل عطاياه ؟  
 اليس جديراً به أن يدعو تعالى في أن يزيد من ذلك التوفيق ليزداد بصيرة ومعرفة  
 حتى يصل الى الغاية التي وعده الله بها من الزيادة اذا شكر ، ولتجنب الكفر الذي  
 يوجب العقاب الشديد لمن لم يشكر حيث يقول تعالى . ولئن شكرتم لازيدنكم ولئن  
 كفرتم ان عذابي لشديد ) .

ولقد فر العلماء الحمد بقولهم هو الوصف بالجميل الاختياري بقصد تعظيم النعم  
 بسبب كونه منعماً ، أعم من ان يكون ذلك الحمد قولياً بالاسان ، او فعلياً باتيان  
 الاعمال البدنية المطلوبة ، ابتغاء وجه الله تعالى والشكر كذلك مثله ، وعرفه بعضهم  
 بانه عبارة عن صرف العبد جميع أصناف ما أنعم الله تعالى عليه فيها اعطاه لاجله .  
 ولا شك ان المكلف اذا سلك هذا الطريق بين الحمد والشكر ، كان على الدوام  
 مفكراً في مطالعة نعم الله تعالى باقسامها ، وفي ملاحظة دقائق لطفه وكمال صنعه وهذا  
 بالطبع مما يوجب إعمال جوارحه في الاعمال الصالحة التي تكسب الكالات الحيدة  
 وإن إشغال النفس بمطالعة النعم وملاحظتها هو مما يوجب بلاريب مزيد محبة النعم  
 وإذا أحب النعم أزداد في نعمه على المحبوب واضدق بلفظه على هذا العبد الشاكر  
 الملاحظ ، وذلك بحكم وعده الصادق تعالى في قوله ﴿ لازيدنكم ﴾ فنفكر وكن  
 من الشاكرين .

## تهيئة العالم وتأليف أجزائه

قال الامام عليه السلام : يا مفضل أول العبر والدلالة على الباري جل قدسه تهيئة هذا العالم وتأليف اجزائه ونظما على ما هي عليه ، فانك إذا تأملت العالم بفكرك وخبرته بمقلتك . وجدته كالبيت المبني المد فيه جميع ما يحتاج اليه عباده فالسما مرفوعة كالسقف والارض ممدودة كالسباط والنجوم مضيئه كالمصابيح ، والجواهر مخزونة كالذخائر ، وكل شيء فيه

---

إن معرفة ذات الخالق تعالى ، والوقوف على حقيقته وكنهه ، لا عظم من أن يصل اليها فكر ، واسمى من أن يحيط بها ادراك ، وأجل من أن يحدها عقل . ذلك لأن عقولنا القاصرة ، وافكارنا المحدودة : عاجزة عن ان نكلفها الادراك المستحيل ، أو نطلب منها معرفة خالفها كاندرك الأشياء الخلوقة الممكنة في عالمها المحدود : فالعقل مها بلع القوة والدكاء ، ومهما ارتقى في العبقرية والنبوغ . لم يكن الا حاسة من الجواس التي لا تدرك إلا ما يقع تحت متناولها : وضمن محيطها في محوساتها الضيقة والتي لا تشمل إلا في مجالها الممكنة . فهي لا تستطيع أن تتعدى إلى ما وراء العالم اللانهائي فاذا طلب منها ما هو فوق طاقتها وخلاف وظيفتها ، ضلت وأضلت . واذا كلفت باكثر من ادراك الحقائق المحيطة بها : انزلت في ظلمات من الارهام : وتدهورت في مهابى الخيال وأنقطعت بها الأسباب دون الوصول الى الحقيقة المطلوبة نعم هذا هو العقل ، وهذه هي حدود تفكيره . وليس للفرس مما ذكرنا ، هو اننا نريد تقييد المقول عن التفكير في طلب الحقيقة . أو صدها عن الوقوف في

اشأنه مدد، والانسان كالمملك لذلك البيت ، والمخول جميع مافيه، وضروب  
للنبات مياة لآربه ، وصنوف الحيوان مصروفة في مصالحه ومنافعه ، ففي  
هذا دلالة واضحة على ان العالم مخلوق بتقدير وحكمة ونظام وملائمة ، وان

ساحات التأمل والبحث في الله تعالى ومعرفة ، فلقد جعل سبحانه للمفول مجالاً واسعاً  
في الافاق الرحبة وهياً لها مساح كثيرة للنظر والاعتبار في خلقه الانسان العجيبه  
حيث يقول تعالى ( وسنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق او  
لم يكف بربك انه على كل شيء شهيد ) .

ولكننا نريد من العقل أن يتهيج منهجاً وسطاً في البحث عن معرفة الله تعالى ،  
فلا يندفع وراء الخيالات والفروض . ولا يتمدى طائفة ومجاله ، فان ذلك هو الطريق  
الطبيعي المستقيم . نعم نريد منه ان لا يستقل وحده في تحقيقه وتفكيره ، بل ان  
يصحب معه الفطرة التي فطرت عليها النقص البشري . وولدت مع كل انسان حينما  
خلق ، فانها هي التي تنشده الله تعالى . وتعرف سبيلها الى معرفته من اقرب الطرق وأقوم  
السبل والمسالك . حيث تنفتح عندها مشاعر المرء وتستيقظ مداركه . وان هذا النوع  
من التعرف عن طريق الفطرة السليمة . لمن الاور البسيطة التي لا تكلف طالب  
الحقيقة سبراً عيقاً في طرق ملتوية بالفلسف الغامضة . أو المعلوم الصعبة وانما تكفيه  
فقط نظرة بسيطة خالصة الى صفات هذا الكون . في السماء والارض . في الليل والنهار  
في عالم الاحياء ، وعالم الاموات . في النبات والشجر . في الجراد والحجر ، الى غيرها  
من الموجودات الكونية . نعم ان نظرة واحدة الى ابي صورة من صور هذا العلم .  
لنقدم للعقل الف شاهد وشاهد : وكلها تنطق بوجود الخالق العظيم ووحدايته :  
ونحمل لقلب الواعي قبساً لا مأ من الاجلال والاكبار لصانع المبدع الحكيم عظمت  
قدرته .

الخالق واحد وهو الذي الفه ونظمه بعضاً الى بعض ، جل قدسه وتمالى  
جده ، وكرم وجهه ولا لآله غيره ، وتمالى عما يقول الجاحدون ، وجل وعظم  
عما ينتحله الماهدون .

فهذا الاسلوب الفطري السليم : وبهذا المنهل السهل الواضح الذي يتناول  
المسائل من ابرز جهاتها ، ويندرج الى الغاية من اجل مسالمتكم جاء الدين الخفيف  
دين الفطرة والعقل منادياً بالتفكير والتأمل حيث يقول في كتابه ١ ويقوم وحكم للدين  
حينما فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر  
الناس لا يعلمون . وقال النبي (ص) : كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون ابواه  
ها الهذيان يهودانه أو ينصرانه أو مجسانه .

وبهذا الاسلوب المستقيم اراد الامام أبو عبد الله الصادق (ع) في املائه على  
تليذه المفضل أن يثبت التوحيد لأمثال هؤلاء الجاحدين قاصري العقول فيقول لهم  
اعتبروا وتأملوا في تمبأة هذا العالم وتأليف اجزائه ونظمه ، فهي على بساطتها منظورة  
لكم وشاخصة امام اعينكم ، فان لم تكن لكم عقول تفهمون بها فم هذه أمور فطرية  
لا تحتاج الى كثير تأمل أو بحث عميق . انظروا بالفطرة والعقل المجرد . تجدوا هذا  
العالم كالبيت المبني ، المد فيه جميع ما يحتاج اليه العباد . فهذه السماء مرفوعة فوق  
رؤوسكم كالسقف بلا عمد ترويه ترتكز عليه ، ولا سناد يمدد اليها ، وهذه الارض  
المهدة فتحكم كالسباط تسبرون عليها وتعملون فيها وترحون وترحون وهذه النجوم  
الضيئة كالصابيح لكم لكيلا تنخبطوا في حلك الظلام في حركاتكم وسكناتكم ،  
وهذه الجواهر المخزونة جوف الارض ذخائر حاضرة لحاجتكم من زينة وتفاخر ،  
بل وكل شيء معد حاضر في ذلك البيت لشأنه . ثم انظروا الى هذا الانسان كيف



أصبح فيه كالملك الخول في تصرفه بجميع ما هو مخلوق بوجود في هذا البيت حتى أن ضرور النبات مهياة لإكائه ليستقيم مزاجه وبدوم نسله ؛ وصنوف الحيوانات مصروفة في مصالحه ومنافعه من أكل لحومها والركوب عليها وقطع المسافات الشاقة البعيدة بواسطتها لتلتنسني له الراحة والسعادة .

فإذا تألمتم في هذا ، ونظرتم اليه بالنظرة الفطرية والعقل المجرد ، ألا تحصل لكم دلالة واضحة وبرهان جلي على أن هذا العالم - بما وصف به وبما ادر كنسوه بالفطرة والعقل - مخلوق بتقدير وحكم واتقان في الصنع وبداعة في التصوير واحكام في النظام؟ ثم اليس يدللكم هذا كله على أن الخالق واحد لا شريك له ولا ند ولا نظير؟ إذ لو كان فيها آله الا الله لفسدنا ) بمعنى أن الخالق لو كان اثنين لبان الخلاف في ارادتها ولاختل هذا النظام المتسق ، ولو اتفقا في الارادة لكان بالواحد كفاية ولم يبق الى الثاني حاجة . اذن فكيف يمكن للانسان الماقل ان يفتل عن الاقرار بوجود الله والاعتراف بوحدانيته . وفيه العطرة الغريزة المتطلعة الى معرفة الله المتشوقة لوصول اليه ، اللهم إلا أن تخشب النفس فتطبع الشيطان ، وتضعف الارادة فتتميل الى العواطف تاركة محبة العقل والفطرة ، مستمسكة بمجامل الأوهام الواهية ، والخيالات الضميمة جبلا وعناداً .

وبعد هذا فان الامام (ع) يشير في مثله المتقدم للعالم بالبيت ، الى تشابك العالم في الانظمة ، وتألفه في الاجزاء وارتباط بعضها ببعض ، والى أن هذه الوحدة العالمية تدل على وحدة القوة التي تدبره ، وهذا برهان آخر غير برهان الحكمة والافتان وعدم وقوع الفساد .

وبالختام لا بد وان يظهر لك جلياً ، بعد ما عرفت هذه المقدمة اضافة ، ان للعالم خالفاً حكيمياً وانه واحد لا شريك له في خلقه ، وانه لا يمتل أن يتكون مثل هذا العالم

المنظم البديع بالاهمال والمصادفة . إذ ليس للمصادفة عمل مستقيم غير مختلف ، ولا لها نظام في سيرها غير منتقص . فبحانه من مبدع حكيم . تعالى جده وكرمه وجمسه ولا اله غيره . وتسمى عما يقول الجاحدون : وجل مما تنتجها الملحدون .



## خلق الانسان وتكون الجنين في الرحم

قال الامام عليه السلام: نبدأ يا فضل بذكر خلق الانسان فاعتبر به

فبل أن نشرح في كيفية تكوين الجنين وصورته انساناً في الرحم وتدبير تربيته هناك وتدرجه من كونه ماء دافقاً حتى يصبح جنيناً يجب ان تشرح لك تركيب الجهاز التناسلي في الرجل والمرأة . وكيفية تولد النبي في الرجل . وطوارخوله في الرحم الى ان يخرج انساناً ، فنقول : ان الجهاز في كلا الجنسين لا يخفى أهميته وعظم فوائده ، لانه خلق لاجساد النوع وتكثير النسل : مضافاً الى ما يحصل بهما من الالفة والمحبة بين الجنسين ، وما تحدث بواسطتهما من اللفة والشهوة اللتين بسببهما تتكون العوائل والاسر . ومن الاسر يتكون الشعب ومن الشعب يحصل العمران في البسيطة اذن فلولاها لاصبحت الارض خالية والديار بلقع ، ولكن بنو الانسان وحوشاً لا تألف داراً ولا تعرف محقاراً .

ان هذا الجهاز المهم ينقسم لدى كل من الرجال والنساء الى اعضاء ظاهرة وأعضاء باطنة . أما الظاهرة . ففي الرجال القضيب : وفي النساء الفرج . وأما الباطنة ففي الرجال تتألف من الخصيتين وتوابعها من القنوات . أما الخصيتان فهما خدتان كل منهما بمجم الجوزة المتوسطة محفوظتان في كيس جلدي تحت القضيب ويسمى ( الصفن ) وهو مبطن بكيس آخر يسمى ( المنساخته ) وهما مغلفتان بأغشية . ووظيفتهما أفرز السائل المنوي المتكون فيهما والحار في على الحويصلات النوية التي هي اساس تكوين الجنين ومبدأ الحياة الانسانية .

أما نسيج نفس الخصيتين . فتكون من اقبية دقيقة صغيرة مغطاة بشاه رقيق

فاول ذلك ما يعبر به الجنين في الرحم وهو عجوب في ظلمات ثلاث ، ظلمة

ملتهة بعضها بهض ومكونة لاربعة صفوف من الخلايا . صفان منها بسميلت  
( القنوات المنوية المولدة ) والصفان الآخران بدعيان ( القنوات المنوية النافلة ) وهذه  
القنوات الأربع اعني المولدة والنافلة . إذا اجتمعت وانصل بعضها بهض كونت قناة  
كبيرة بشكل الهرم في اعلا الخصية تدعى بأسم ( البريج ) . وهذه القناة اعني للبريج  
تسير ممتدة حتى تنتهي الى قناة اخرى تسمى ( خزين النبي ) أو ( الهويصلات المنوية )  
وهي كيس غشائي مخروطي الشكل يقع في المثانة والمعاء المستقيم خلف غدة ( البروستانت )  
وهذه القناة وظيفتها جمع وادخل النبي الوارد اليها من الخصيتين ثم سوف ودفعه الى  
( لقناة الدافعة ) ومنها الى الاحليل بعد سروره على غدة ( البروستانت ) عند الحاجة .  
هذه الاعضاء التناسلية الباطنية في الرجل اما اعضاء التناسل الباطنية في المرأة  
فهي ( ١ ) جبل الزهرة ( ٢ ) الشفرتين ( ٣ ) فتحة البول ( ٤ ) المهبل ( ٥ ) البظر  
( ٦ ) عنق الرحم ( ٧ ) الرحم نفسه ( ٨ ) البوق ( ٩ ) المبيض .  
أما جبل الزهرة ، فهو القسم العلوي من الفرج الذي يذب عليه الشعر عند  
البلوغ .

والشفرتان هما الستاران اللذان يخفيان المهبل حينما يلتصق أحدهما الآخر .  
وفتحة البول : هي فتحة صغيرة تتصل بالمثانة ووظيفتها اخراج البول عنسد  
الحاجة .

والمهبل هو مجرى منفرد عضلي غشائي بيضوي الشكل يوصل الرحم بالفرج  
ومنه يخرج الجنين وهو الطريق الوحيد الذي منه تدخل آلة الرجل عند الجماع . وعند  
الولادة يتسع جداً لخروج الطفل ثم يعود بعد الولادة الى الحالة الاولى ومجمله  
تحت فتحة البول . وفي فتحة الظاهرة غشاء رفيع يسمى ( غشاء البكورة ) ولرقته يتمزق

البطن ، وظلمة الرحم ، وظلمة المشيمة ، حيث لا حيلة عنده في طلب غذائه

عند أول عمل جنسي ثم لا يعود .

والبظر : جسم فأنى يقع في اعلا فتحة البول خلف الشفرتين ، وهو حساس

جدا بحيث يهيج وينتصب كالقضيبي عند الجماع . ويفرز مادة لزجة فلولية .

عنق الرحم : جسم صلب على شكل قمع الماء يسمى ( الصوان ايضا ) .

الرحم : جسم عضلي كعري الشكل يقع في تجويف البطن بين المثانة والمستقيم

ويتكون من عضلات واللياف قوية لها قابلية الامتداد والتقلص لحفظ الجنين

حين الحمل ولدفعه عند الولادة . كما سيتضح لك فيما يأتي :

البوق ( النفير ) أو ( فتاة قلوب ) : فتاة على طرفي الرحم من الداخل مسكوة

بنشاء مخاطمي ، ولها ذنابات حريرية تنفخي بشرفات كثيرة تجلس عليها بيضة

المرأة التي تنحدر اليها من المبيض حين الجماع . ثم منها تنزل الى داخل الرحم .

المبيض : جسم صغير لوزي الشكل كغدة مجهم الجوزة الصغيرة . وهو بمكلف

خصبة الرجل عند المرأة ، ووظيفته افراز بويضات المرأة التي هي بمثابة مني الرجل

وعمله فدام المماء المستقيم . وخلف الرباط العريض في أسفل تجويف البطن .

اليضة : هي حبيرة صغيرة جدا بيضوية الشكل . تحتوي على قشرة فيها

مادة مائية نسي ( بروتوبلازما ) ونواة . هذا هو مجمل تشريح أهم الأعضاء التناسلية

في الجنسين ، قدمناها لك ليتضح عندك كيفية تكوين الجنين في الرحم .

إذا عرفت ذلك فاعلم : ان الجنين يتكون في الرحم بواسطة الاقحاح وهو عبارة

عن اجتماع البويضة من المرأة مع الحيوان المنوي من الرجل وعلى الاكثر يكون

هذا الاجتماع في البوق .

والحيوان المنوي : هو ذلك الحيوان المجهرى الذي يحتوي كل فذفة من فذفات

ولا دفع اذى ولا استجلاب منقمة ، فانه يصل اليه من دم الحيض ما يفديه  
كما يفدو الماء النبات ، فلا يزال ذلك غذاؤه .

مني الرجل على الملايين منه . ويتركب جسم هذا الحيوان من رأس وعنق وذنب فاذا  
دخل في الرحم أخذ يتحرك بكل سرعة يمينا وشمالا . صاعداً ونازلاً . طالباً للحصول  
على البويضة الراكدة في البوق . فاذا حفر عليها دخل فيها ولحقها .

أقول وبما يسترعي الانتباه ، ويستحسن الالتفات اليه . أن هذه الحركة من  
الحيوان المتوي في طلب البويضة ، وهي ساكنة راکدة في محلها لمن الاسرار  
الهيجية في الخلق ، فهي تدلنا على أن السمي والحركة هما من خصائص الذكر منذ  
الخلق ، كما أن السكون والجلوس في المدح من خصائص المرأة والاتى فقط .

ثم لما كانت هذه الحيوانات النوية المنقمة بكثرة كلها تقصد البويضة لفتح  
كانت تلك البويضة عند شعورها بهجوم هذا الجيش الجرار عليها مستعدة لانتخاب  
أكبرها جسماً وأقواها وأنشطها حركة ، وعندما يدنوا هذا الحيوان النشط منها  
يظهر على سطحها انتفاخ صلب من الجانب المقابل له ، ثم يرق قشره استعداداً لهجومه  
فيهجم الحيوان عليها من ذلك الانتفاخ وينقبه برأسه . ثم بلع في صميمها وبقي ذنبه  
خارجاً فتتكش البويضة عليه وتقلص حتى تقطع ذنبه فيمتزج الحيوان داخل البويضة  
بالتواة وهذا هو معنى تكبير القفاح . ثم بعد مدة قليلة من ذلك القفاح تنزل  
البويضة من البوق الى الرحم حيث تلتصق بأحد جدرانها الداخلية وتنمو هناك  
وتتقلب في اطوارها ، إذ تتكون فيها الانسجة والاجهزة الحيوية العضوية . وتظهر  
الاطراف والجذع والرأس بالتدرج . ويكون هذا غالباً في الشهر الثاني من الحمل  
ثم يستر هذا المجموع بفشاء قوي سميك يسمى ( المشيمة ) في الشهر الثالث وهذا

النشاه وهو المسمى عند العامة (بالجارة) ووظيفتها حفظ الجنين وتغذيته بواسطة أوعيتها الشعرية المنبثة في جدرانها حيث تمتص دم الأم الذي كان حياً قبل الحمل ، وهذه التغذية تكون بصورة كيميائية عجيبة أشبه ما تكون بامتصاص جذر النبات للماء من الأرض . ثم بعد كمال خلقة المشيمة بتولد داخلها سائل أصفر يسمى (السائل الامينوسي) وهو المعروف عند العامة (بماء الرأس) الذي ينزل قبل الولادة بقليل ، وهو يحصل من ترشحات الرحم المائية ومن الاغشية المحيطة به وقائدته ان يحيط بالجنين داخل الرحم ليعوم فيه بكل حرية ، وليدفع عنه كلما قد تلافية الأم من هزات وصددمات فتؤذيه مضافاً الى أنه يحتفظ للجنين بالحرارة المناسبة له ، وهو مع ذلك كما يحدد عنق الرحم وبوسمه عند الولادة كما يقوم بتطهير الطريق امام الجنين قبل الولادة ليسهل خروجه مع رفع الضغط الرحمي عليه حين الطلق الى غير ذلك من الفوائد العظيمة . ثم بعد تكوين المشيمة وحدثت السائل وحصول هيكل الجنين ، يظهر الحبل السري في جانب السرة ويطول الى نصف متر وأكثر ويؤلف هذا الحبل السري من شرياني ووريد ويوصل بين الجنين واهه بواسطة المشيمة . وقائدته نقل الدم الشرياني من الام الى الجنين لتغذيته ، ثم اخراج الدم الوريدي من الجنين الى الام لينقي مع دم امه في دورتها الدموية العامة .

هذا هو تكوين الجنين في الرحم ، وقد فصله تعالى في قرآنه المجيد حيث يقول : ﴿ لقد خلقنا الانسان من سلاله من طين ، ثم جعلناه نطفه من قرار مكين ثم خلقنا النطفة خلقاً من خلقنا العاقه مضمه . فخلقنا المضغه عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم انشأناه خلقاً آخر ، فتبارك الله أحسن الخالقين ﴾ .

(المؤمنون آية ( ١٢ - ١٣ - ١٤ )

قال الدكتور سالم محمد . في مجلة الدكتور في عددها ٩٢ من سنتها الخامسة في تفسير هذه الآية الشريفه مالمخصه : ان المخلق هنا قد يكون إشارة الى خلق آدم نفسه

وقد يكون بمعنى أن النطفة في كل من الذكر والانثى وليدة عملية التخصيب التي يتفدى بها الانسان أو الجسم مطلقاً ، وأن أصل هذه التخصيب ومنشؤها التراب . والنطفة هي ذلك الحيوان المنوي من الذكر والبويضة من الانثى فاذا تم التلقيح وبدأت البويضة بالانقسام بدأ تطور العلقه . وإن معظم كتب التفسير تشير الى ان العلقه هي الدم المتجمد الغليظ ، ولكن عند اكتشاف الكرسكوب ( المجهر ) لها اتضح وظهر أن العلقه هي مجموعة من الخلايا الحية تنقسم اليها البويضة بعد تلقيحها وأما سميت في هذا الدور ( علقه ) لشبه الكبير بينها وبين علق الماء . ثم تتطور هذه العلقه الى مضغه ، ويسمى الجنين في هذا الطور ( مضغه ) لشبه ايضاً بينه وبين قطعة اللحم المضغوطة . ثم بعدها يبدأ طور ظهور خلايا العظام . ثم اللحم ابي المضلات التي تكسو هذه العظام واذا تذكرنا في هذه الآية الأخرى قوله تعالى : ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة ، علمنا انه قد تكون غير منتظمة الشكل كما هو الواقع فعلا في بعض حالات الاجهاض التي تراها . أما قوله تعالى ثم انشأناه خلقا آخر فتفسيره إن الله تعالى يخرج لنا من هذه الخلايا ومن هذه الاطوار المتعددة في الخلقه هذه الصورة الانسانية الجميلة التي نشهد للمخالف بقدرته وعظمته . وقد يفهم من قوله تعالى : خلقا آخر ، ان الحياة أو الروح تدب في الجنين منذ اول أمر تكوينه لاننا نعلم الآن ، بل العلم اليوم يثبت لنا ان الخبايقه الاولى كائن حي ، ففي البويضة حياة وفي الحيوان المنوي حياة وفي العلقه حياة وفي المضغه حياة . وحيث ان نفخ الروح أمر مسلم لقوله تعالى : ﴿ ثم سواه ونفخ فيه من روحه ﴾ فاننا لانعلم بالضبط متى يكون وقت النفخ وإنما علمه عند خاتمه وباريه .

والآن وبمد أن شرحنا لك للجهازين ، وعرفناك كيفية التلقيح وتكوين الجنين سهل عليك فهم كلام الامام ( ع ) ومعرفة مراده من قوله ( ع ) : وهو محبوب في ظلمات ثلاث ، وهي احتواء الشبيه له بما فيها من السائل الامينوسي ، واحتواء الرحم



على المشيمة واحتواء البطن على الرحم ، وكل هذه الحواجز الثلاثة تمنع من وصول  
النور الى الجنين ، فهو اذن في ظلمات ثلاث .

وأنت جد خير بان مخلوقاً حيا حاف بمثل هذه الحواجز وحبس بين جدران ثلاثة  
حجب صميكة قوية . كيف يمكنه أن يبتال لكسب غذائه ، أو يدفع الأذى عن نفسه  
أو اطلب النفع لها ، لولا عطف البارئ وحكمته في ائصال غذائه المناسب لجسمه من  
دم امه عن طريق المشيمة بتلك العملية الكيماوية التي توصله اليه بطريقه الترشيح  
بواسطة المروق الشعرية الدقيقة الموجودة في جدران المشيمة ترشيعاً يشبه الترشفة  
وقواما . والى هذه العملية اشار الامام (ع) بقوله : كما ينفذ الماء النبات .

ثم قال الامام (ع) فلا يزال ذلك غذاؤه ، بمعنى ان الجنين لا يزال يتغذى  
هكذا غذاء غازياً رقيقاً بصورة رشيح ما دام في الرحم لا يقوى على ابي عمل ، وما  
دام هو كمضو من اعضاء امه قبل ان يخرج الى نضاه الحياة ونور الوجود .

## كيفية ولادة الجنين

قال الامام (ع) : حتى اذا كمل خلقه واستحكم بدنه ، وقوى أديمه على مباشرة الهواء ، وبصره على ملاقة الضياء ، هاج الطلق باما فازعجه أشد الازعاج واعنفه ، حتى يولد .

بعد أن عرفت كيفية تكوين الجنين في الرحم ، واطلمت على تطور خلقه حتى يصبح جنيناً تلجج الروح في الشهر الرابع فاعلم انه إذا كل خاقه فأخذ اعضاؤه بالتكيف والتجمد والتصلب وهكذا حتى يستحكم بدنه في تشكيلاته العضوية ثم يقوى أديمه (جلده) ليصير قادراً على مقاومة الهواء الخارجي اذا خرج . ويشد بصره ليتمكن من مجابهة الضياء الذي لم يصادفه مدة حياته وهو في الظلمة ، فاذا صار قابلاً لأن يخرج الى فضاء الحياة ، هاج الطلق باده فازعج الطفل وحركه أشد الازعاج واعنفه حتى يولد . وليس المراد من قوله (ع) حتى يولد ، ان نهاية الازعاج هي الولادة كما زعم البعض ، بل العرض هو ان الحكمة في ذلك تسهيل الولادة وتبياة الجنين للخروج بواسطة شدة تقلصات الاعصاب الرحمية ، وانقباض المضلات البطنية والمهبليه ، مع توسع عنق الرحم وعدد فتحة . وانتفاخ المهبل والبربخ وقوة عصرهما وبذلك يخرج الطفل بسهولة . وهذا الاستحكام وقوة الاديم لا يكون إلا بعد السادس الى التاسع ، فاذا خرج قبل السادس فهو سقط محكوم عليه بالموت وان كانت فيه حياة اذا لم يستحكم وهذا هو المقصود من قوله (ع) إذا كمل خلقه واستحكم بدنه .

## غذاء الطفل بعد الولادة

قال الامام (ع) : فاذا ولد مصرف ذلك الدم الذي كان يندوه من دم امه الى نديها ، و نقاب الطعم واللون الى ضرب آخر من الغذاء ، وهو اشده موافقة للمولود من الدم فيوافيه وقت الحاجة اليه .

من المسلم وجدانا ، والثابت نشريحا وفنا ، ان الجنين اذا ولد وانفصل عن الرحم تتوجه الطبيعة البدنية بكليتها الى نقل ذلك الدم الذي كان ينصب في رحم الام لتغذية الجنين ، الى عروق الثديين ، حيث يدخل هناك في خلاياها . ويتحول فيها الى سائل ذي طعم خاص ولون مخصوص وقوام يختلف رقة وكثافة حسب سن المولود وقابلية هضمه له . وحسب ملائمة مزاجه ونمو اعضائه على ان هذا اللبن يتجهز في الحامل في مدة ادوار الحمل الى الولادة . ولكن بعد الوضع يفرز افرازا واضحا منتظرا لفم الطفل ليتدفق فيه حسب حاجته . ومن البديهي ان جسم الجنين في الرحم غيره اذا خرج ولاقى الهواء وقابل الضياء واخذت اعضاؤه في النمو والصلابة لانه وهو في الرحم كان في دور التكوين ، اما اذا خرج صار في دور الصلابة والنمو ومعلوم ان لكل دور غذاء مناسب له . ففي دور التكوين غذاؤه يشبه الرشيح أو الغاز . وبعد الولادة يتحول الى سائل ذي طعم مقول . وكثافة مناسبة تزداد كلما كبر وقوى على هضم الغذاء .

وقد تتركب هذا السائل ( اللبن أو الحليب ) من ثلاث مواد رئيسة هي - الزبد والجنين والعسل الحاروي للسكر وبعض المواد الملحية كالصوديوم والكبريت وغيرها ، وهي مواد اساسية لكل غذاء كامل التغذية . والى هذا كله أشار الامام عليه السلام

بقوله : ( انقلب الطعم واللون الى ضرب آخر من الغذاء هو اشد موافقة لمولود من الدم ) أي الدم الذي كان يذيه في الرحم وانه لبناً سائماً وقت الحاجة اليه وهو دور النمو والشدة في الأعضاء .

## تغذية الطفل

قال الامام عليه السلام : فحين يولد قد تلمظ وحرك شفثيه طلباً للرضاع فهو يجد ثدي امه كالادواتين الملتفتين لحاجته ، فلا يزال يتنذى باللبن مادام رطب البدن رقيق الأسماء لين الأعضاء .

إن غريزة طلب الغذاء التي تولد مع الطفل . هي التي نجمله بتلمظ وبحرك شفثيه طلباً للرضاع الذي اقتضته الطبيعة البدنية ، وهيات له آلة الرضاع دون تعليم من امه فثلك فهو يجد ثدي امه حاضرين معدين له كالادواتين الملتفتين في صدرها ليمتصهما عند الحاجة . وهناك جلبة بحسن الالتفات اليها ، وهي ان معدة الطفل عند ولادته لا تقبل أي غذاء ابتداء حتى لبن امه ، لأن جهازه الهضمي بعد لم يقم بأي عمل ، ولم يعمد الهضم وعليه كان الواجب أن يحصل له منبه طبيعي ينيه المعدة . ويسيرها لعمل الهضم حتى تصير قادرة على قبول اللبن وهضمه . وما هو اطف الخاق قد احضر له هذا المنبه . وأعدته في ثدي امه ليرتضه في اولى مصة بمتصها وفي أيامه الثلاثة الاول وهو عبارة عن السائل الصمغي المغرز من غدة الثديين وأوعيتها الدموية المسمى اصطلاحاً ( سمار ) وعند الامامة ( صمغ الحليب ) فانه اذا وصل هذا السائل الى المعدة تنبته للحركة واستعدت للهضم . وبعد الايام الثلاثة يتحول تدريجاً الى صورة اللبن

عندما يقوى على التغذي به . لذلك نجد الطفل إذا منع من ارتشاف هذا الصمغ اسبب من الاسباب فانه كثيراً ما يصاب باضرار شديدة يكون من نتائجها ضعف المعدة بعد ذلك عن الهضم مطلقاً . ثم لهذا السائل ايضا فوائد اخرى اظهرها اخراج تلك المادة المعينية المحاطية الموجودة في امعاء الطفل والمتخلقة فيها من غذائه الرحيمي وتسمى اصطلاحاً ( المعق ) وعرفاً ( المعق ) والحكمة في وجود هذه المعينة في امعاء الطفل ، هي تعويد الطفل على التبرز حينما تدفع بواسطه ( السمار ) . اذ لولا هذه المادة لما كان شيء يدفع في التبرز ولما حصلت حركة للمعدة والامعاء . وإذا لم تحصل الحركة بهذه الصورة لم ينتشبه للدفع . وهذا العمل هو خير من اخراج تلك المادة بالمليينات والمسهلات لاحتمال حدوث اضرار لا يستهان بها باستعمال تلك المليينات والمسهلات .

فاذا استعملت الاعضاء الهضمية لاداء وظيفتها في العاقل نستقام رضاعه وصار يتغذى باللبن الجاهز له . ثم لا يزال كذلك يتغذى ما دام رطب اللبن رفيق الامعاء لين الاعضاء وكلما اشتد نضج اللبن وكثف قوامه .

## طُلوُع اسنان الطُفْلِ

قال الامام عليه السلام : حتى اذا تحرك واحتاج الى غذاء فيه صلابة  
ليشدد ويقوى بدنه طلعت الطواحن من الاسنان والاضراس ليمضغ بها  
الطعام فيلين عاينه ويسهل له اساعته فلا يزال كذلك حتى يدرك .

يولد العُطْلُ ضعيفاً لين الأعصاب رقيق المعدة والامعاء . لا يقوى الا على هضم  
لبن امه ثم يبقى هكذا حيناً من الزمن لا يسمع ولا يبصر الا ما يفرق به بين الظلمة  
والنور فاذا مارأبته يتسم أحياناً أو يحرك يده أو رجليه أو شفثيه . فان تلك الحركات  
لم تكن الا غريزية لانخضع لارادة . ثم لا يلبث حتى يشدد بدنه ويقوى ادبمه وتنمو  
حواسه وادراكه تدريجياً . ففي الشهر الثاني تقوى عضلات عنقه . اذ تراه يرفع رأسه  
عن الوسادة وفي الثالث يمسك ما يقدم اليه بيديه إلا أنه لا يميز بين القريب والبعيد  
وفي الرابع فصاعداً يحاول الجلوس حتى السادس والسابع فيستقيم جلوسه ، وهو في  
كل هذه الادوار يجد حليبته يتغير باشتداد قواه وحسب تدرج في الصلابة وشدة الاعضاء  
فهو كلما نما وكبر كثف لبنه ونخن قوامه لذلك تراه يحتاج في الشهر السادس ففوق  
الى غذاء أكثر نخناً وقواماً . وهنا تقتضي الحكمة الالهية ان تطلع اسنانه ، اعانة  
للمعدة على الهضم وجودته بالنقطيع والتزيق والطمحن للطعام القوي سوف يحتاجه  
مع الحليب أو بعد الفطام .

فالاسنان اذاً من النعم العظيمة على الانسان . ومن ضروريات الحياة حيث  
بها تحصل اللذة والراحة ، وبواسطتها تكال التغذية وبهضم الغذاء . مضافاً الى انها  
حلية الفم والوجه ، والواسطة الكبرى في تجميل الالفاظ واستقامة الكلام وهي

مخارج أكثر الحروف ، وعليها مدار حركة اللسان في الفم .  
وتتكون بنية الاسنان من اربع طبقات ( الاولى ) المينا وهي مادة صلبة جداً  
تكسو تاج السن كله من العنق المتصل بثقب الفك الى جسم السن الخارج من الفم  
جميعه ( الثانية ) العاج وهو أيضاً مادة صلبة تكون تحت المينا وتحتوي على جذور  
الاسنان ( الثالثة ) السمنت وهي طبقة صلبة تحيط بعاج الجذر وتنتهي بعنق السن  
( الرابعة ) اللب وهو مادة رخوة في داخل تجويف العاج . هذا تركيب بنيتها . أما  
وضعها الظاهري فهي عظام صلبة نابتة في فجوات ( حفر ) في اللثة تسمى ( الاسناخ )  
على حافتي العنق العلوي والسفلي ، وعند تكامل نباتها تشكل تركيبها داخل الفم  
قوساً يشبه نصف الدائرة على حافة كل من الفكين وتنقسم حسب وضعها الى ( قواطع )  
وهي ثمانية امام الفم اعلا واسفل ، ووظيفتها تقطيع الغذاء و ( انياب ) وهي أربعة  
الى جوانب القواطع ووظيفتها تمزيق الطعام و ( اضراس ) وهي عشرون الى جوانب  
الانياب ووظيفتها طحن الغذاء فيكون مجموعها ( ٣٢ ) سناً . وهذه تسمى الاسنان  
الصادقة الدائمة لانها تخرج بعد الاسنان اللبنية العشرين التي تثبت للطفل منذ الشهر  
السادس من عمره غالباً بغير جذور ثم تسقط جميعها في السنة السابعة ، لتحل محلها  
هذه الاسنان الصادقة . وهذا هو معنى قوله ( ع ) : فلا يزال كذلك يعني في اسنانه  
اللبنية حتى يدرك في السنة السابعة فما فوق .

## طلوع الشعر في وجه الرجل دون المرأة

قال الامام عليه السلام : فاذا أدرك وكان ذكراً طلع الشعر في وجهه فكان ذلك علامة الذكر وعز الرجل الذي يخرج به من حد الصبا وشبهه

إذا بلغ الطفل سن الرشد اعني حين تكمل مداركه ، ويستمد كل عضو من اعضائه لاداء وظيفته التي خلق لأجلها ، فان كان ذكراً ظهر الشعر في وجهه ، كما يظهر في مواضع اخرى من بدنه كالامانة والأبطين ، وهو علامة البلوغ عند نهاية سن الصبا وبدء الشبية ويكون غالباً في السنة الخامسة عشر عند الذكر وفي التاسعة اللانثى .  
ولقائل أن يقول : لماذا يبطل البلوغ في الذكر الى السنة الخامسة عشرة وبسرع في الانثى في التاسعة ؟ فنقول لعل السبب في ذلك هو ان الانسان كما لا يخفى جسم نام كالنبات ، فكما ان النبات يسرع النمو في ضيفه كالبقول والخضر وأشالها ويبطل ، نحو فويه كالنخل وسائر الاشجار الباسقة فكذلك يكون جسم الفتاة الذي هو أضف من جسم الفتى في الدم والمضلات والأعصاب وسائر الأجهزة منها أسرع نمواً وأعجل بلوغاً من الفتى . وهذه هي سنة آفة في خلقه ﴿ ولن نجد لسنة آفة تبديلاً ﴾ .

وإلى هذا اشار الامام (ع) بقوله : إذا أدرك . أي إذا أدرك الطفل سن البلوغ بحد الصبا ، وعلامة هذا البلوغ هو طلوع الشعر في وجه البالغ إذا كان ذكراً ليصبح رمزاً لرجولته ودليلاً لذكوريته التي يمتاز بها عن الانثى فيكون عزيزاً مهيباً خارجاً عن حد الصبا ومشابهة النساء . أما إذا كانت البالغة انثى ، بقي وجهها نقياً من الشعر صافياً بهيجاً جميلاً ، ليكون ذلك علامة لأنوثتها ، ولتكون هذه البهجة والنضارة



النساء ، وإن كانت انثى يبقى وجهها نقياً من الشعر ، لتبقى لها البهجة والنضارة التي تحرك الرجل لما فيه دوام النسل وبقاؤه .

محركة للرجل نحوها ومنبهة شهوته . ووقفه عواطفه وميوله النفسية لما فيه دوام النسل وبقائه النوع ذلك لأن هذه البهجة والنضارة من أبرز صفات الجمال الأنثوي للرجل ، ومن أشد ما تملبه عليه تلك العواطف والميول النفسية ، ومن أقوى ما ينمش فيه الحب التناسلي والميل الشهواني الطبيعي الذين بهما تثبت علاقة الذكر بالانثى والانثى بالذكر . وإن هذا الحب التبادل بين الجنين ، والحاصل للرجل من نظراته العاطفية الى جمال المرأة والمرأة من نظراتها الى ما تتحسنته من جمال الرجل ، هو الذي يسبب دوام النسل وبدون ذلك يصبح ضئيلاً إن لم نقل معدوماً . وهذا هو مراد الامام ( ع ) بقوله تحرك الرجل لما فيه دوام النسل وبقاؤه .

أما منشأ تكون الشعر ، وطلوعه من الجلد ، فذلك ان الغذاء إذا دخل البدن وهضمته المعدة ، وامتصت الكبد صافيه ، ودفع هذا الصافي الى القلب ثم وزعه القلب على الاعضاء لتغذيتها ، بقي منه نقل داخل الجسم وهذه الفضلة الباقية لا بد وان تؤثر فيها الحرارة الباطنية بمحدثها فتبخر ويخرج بخارها من مسام الجلد ، وهذا البخار إذا كان لطيفاً تحمليلاً خفيفاً يخرج الى الخارج ، وإذا كان غليظاً بقي في السام نفسها وتكاثف فكان منه الشعر ، أما كيفية تكوينه فهي ان هذه الابخرة الغايضة تتكاثف أولاً تحت الجلد لتكون اجربة صفراء تسمى ( البصيلات الشعرية ) وتتركب كل بصيلة من قناة دفيقة تخرج منها الشعرة ، وفي هذه القناة تنصب مواد دهنية من الغدد الدهنية المنتشرة تحت الجلد لتجعل الشعر ليناً طرياً كأنه مدهون لا يؤذي بجفافه ، وقد تراكم احياناً هذه المادة الدهنية على الشعر فتوجب اجتماع القبار

والأوساخ على الجلد والشعر حينئذ يستحسن غسله وترجيله وتنظيفه .  
أما حكة طلوع الشعر وفوائده في هذه الأمكنة المينة كالرأس والوجه وغيرها  
من مواضع الجسم ، قائم هذا كونه ميزاً للرجل عن المرأة . يكون زينة الرأس ووقايته  
وغطائه الذي يقيه من الحر والبرد ، وفي الحاجبين أيضاً زينة للوجه ، ومنمكاً لما ينحدر  
من عرق الجبهة الى العينين ، وفي الأهداب سياجاً للعينين وجهالاً لهما . كما يكون أشبه  
شيء بالشباك عليها بنظر المرء من ورائه عند هبوب الرياح العالوية أو مقابلة الضياء  
الشديد ، وفي الأماكن الأخرى من البدن لأغراض حكيمية كثيرة أخرى مثل الإبطين  
والعانة والصدر وغيرها .

ويختلف لون الشعر في النساس لاختلاف المادة الملونة الموجودة في خلايا تلك  
الأجربة الشعرية من أصفر وأشهب وأسود . أما اللون الأبيض في الشيب وعند تقدم  
السن ، وحتى في بعض الشباب أحياناً ، فذلك لانعدام تلك المادة الملونة فيهم ،  
بسبب ضعف الإفراز الناشيء غالباً من ضعف القوى البدنية باجمعها أو مرض طارىء  
على البدن ، فسبحان الخالق المبدع المصور .



## العبرة بما تقدم

قال الامام عليه السلام: اعتبر يا مفضل فيما يدبر به الانسان في هذه الأحوال المختلفة ، هل ترى مثله يمكن أن يكون بالأهمال ؟ أفرأيت لو لم يجر اليه ذلك الدم وهو في الرحم ألم يكن سيدوى ويجف كما يجف النبات اذا فقد الماء ؟ ولو لم يزجه المخاض عند استحكاه ، ألم يكن سيبقى في الرحم كالموودة في الأرض ؟ ولو لم يوافقه اللبن مع ولادته ، ألم يكن سيموت جوعاً أو يتغذى بمذاه لا يلائمه ولا يصلح عليه بدنه ؟ ولو لم تطلع له الاسنان في

---

يقول الامام عليه السلام : لمفضل مستلخاً ما تقدم من بيانه في الفصول الآتية فكر واعتبر يا مفضل بما مر عليك من الاحوال المختلفة التي دبر بها الانسان منذ كان نطفة حتى تطور الى علة فعضه ثم كسى عظاماً الى ان صار جنيناً في رحم امه ، ثم انظره بعد خروجه طفلاً في احسن تقويم . كيف تغير غذاؤه الى لبن حاضره بعد في ثدي امه متدرجاً في قوامه رقة وكثافة حسب نموه الى ان طلعت اسفانه عندما صار يحتاج الى غذاء اكثف . ثم فكر في خروج شعره عند بلوغه من الرشد ، ثم طيه مراحل الطفولة والصبوة ليتميز عن انثاء ويكسب الهابة . فاذا عرفت كل ذلك ثم تدبرته ، ارجع الى مفلك وفطرتك . واحكم بنفسك لترى انه لو لم يجر دم الحيض في الرحم ليتغذى الجنين ، ألم يكن يدوى الجنين ويجف كما يجف النبات اذا فقد الماء ، ولو لم يزجه المخاض ، ألم يكن سيظل في الرحم كالنبتة الموددة في الارض وهي المدفونة حية ؟ ولو لم يوافقها الحليب بعد خروجه ألم يكن سيموت جوعاً ؟ ولو لم تطلع له

وقتها لم يكن سيمتنع عليه مضغ الطعام واساغته ، أو يقيمه على الرضاع فلا يشيد بدنه ولا يصلح لعمل ؟ ثم كان يشغل امه بنفسه عن تربية غيره من الاولاد . ولو لم يخرج الشعر في وجهه في وقته لم يكن سيبقى في حياة الصبيان والنساء فلا ترى له جلالة ولا وقاراً .

الاسنان عند احتياجه لها في طحن الغذاء ونمزيقه وسحقه ، لم يكن سيمتنع عليه وبصر مضغ الغذاء واساغته ؛ ومعلوم ان الغذاء اذا لم يسحق ادم استطاعة الانسان من ذلك ، لم يستفد من التغذي به . فاذا لم يتخذ بالغذاء الصلب لم يشتد بدنه . وحينئذ سيبقى رخو الاعضاء لا يصلح لأي عمل من الاعمال الحيوية ولا يمكنه أن يبلغ هذه الحياة كغرد من افراد الانسان ، مضافا الى أنه لو بقي على هذه الوتيرة من التغذي ولين الاعضاء ، لأشغل امه أو مرابطته بنفسه فقط عن تربية غيره من اولادها الذين يولدون بعده . وهكذا لو لم يخرج الشعر في وجهه حينما يظهر كرجل في مقابلة المرأة لبق على حياة الصبيان أو شبيهاً للنساء لاميزة له ولا علامة تدل على رجوليته . ولا دلالة تشرع بجلالته ووقاره .

والآن هل وتأمل وفكر في هذا الصنع البديع ، والنظام المتقن ، أهل مجراء يحدث مصادفة أو بطريقة الاحمال ؟ أم انه يصدر عن الطبيعة دون قصد واختيار غير خاضعة لنظام ، ولا متقيدة بقانون ، ولا متمشية مع ناموس منظم مستقيم ؛ بل ان كلما حدث ويحدث من امثال هذه الاعمال الحكيمة ، والتطورات الخلقية العجيبة لم يكن ناشئاً الا عن ارادة قاصد لها عالم يصنعها حكيم في ابداعها . وان مثل هذا النظام البديع والخالق المتقن لاشك خارج عن طريقة الفوضى بعيد عن خطة الاحمال والمصادفة .

ونحن اذ نلتبس الحقائق الواضحة بمقولانا المحدودة التي نمترف بمدى ادراكنا فيها في هذه المجالات الفطرية لا يمكننا أن نفعل عن البراهين المثبتة والدلائل الجلية على

اثبت الخالق الواحد ، وابداع المبدع المنفرد بخلقه ، أو ان نؤمن بالمصادفة التي أن  
استقامت افعالها مرة ، فهي بلا ريب خارجة عن النظام والاستقامة الف مرة ومرة  
فتمالى الله عما يقوله الجاحدون علواً كبيراً .

## حكمة عدم نبات الشعر في وجه بعض الناس

قل المفضل : فقلت يا مولاي : فقد رأيت من يبقى على حاله ولا ينبت

بعد ان ذكر الامام ( ع ) نبات الشعر في وجه الرجل البالغ وبين حكته وفوائده  
سأله المفضل قائلاً يا مولاي اني رأيت من بقى على حاله ولم ينبت الشعر في وجهه  
وقد بلغ الكبر في السن ، فما هو السبب في مخالفته لهذا النظام الطبيعي في الخلقه ؟  
فاجابه الامام ( ع ) بقوله - ذلك بما قدمت أيديكم وإن الله ليس بظلام للعبيد -  
وهذا جواب لانجده في اول نظرة مطابقاً لسؤال . حيث لم تدرك بعد مفزاه  
وجلاله مقصده . ولو كنت أدركت ما يحوي هذا الجواب البليغ من جلاله الفصد وسمو  
المعنى ، لعلت ان الأئمة من آل الرسول عليهم السلام . هم حملة علوم جدم العظيم  
الذي استقى ذلك عن الوحي الذي يشمل علم ما كان وما يكون .

نعم اذا كنت لم تدرك ذلك ( ولك الحق فيه ) فان علم الطب كفيلاً لك بالكشف  
عن هذا السر الخفي والقصد الجليل والمعنى السامي في هذا الجواب .

فلقد أجمع الاطباء : وثبت لدى علماء وظائف الاعضاء ، واعترف به الوجدان  
واقرفته التجربة ان للموتوبات والفواحش اثرأ واضحا في الأبدان ، وفتكا ذريماً  
في الاجسام والأرواح . وقد يقال أن ذلك الاثر الفاسد هو سبب الحكمة في  
تحرير الشارع ارتكابها وتحذيره الناس من الوقوع فيها . وظاهران من أكثر من تلك

الشعر في وجهه وإن بلغ الكبير ، فقال (ع) ذلك بما قدمت أيديكم ، وإن الله ليس بظلام للمبيد .

للبقعات فتكا وأبرزها اتراً في الأبدان هو (الزني) الذي لم يقصر فتكه على الزاني نفسه فقط بل أما بسري إلى نسله ونسل نسله . أما اضراره في نفس الزاني فتدوث مرض الزهري (السفليس) والسيلان الصيدي ، والقرحة الرخوة وغيرها من الأمراض الفاتكة التي لا مجال لتفصيلها في هذا المختصر ، وناهيك من اضراره حدوث القروح المهادة الخبيث . والانزعاجات النفسية : وتعليل اغلب الأعمال البدنية والفكرية ثم سريان جرثومته هذا المرض إلى الدم كله : وحدث أن الدم سائر في جميع أنحاء البدن . فلا بد وأن ينتشر المرض وبعم كآفته الأعضاء الداخلية مثل القلب والدماغ والكبد والرئة والطحال . وإذا استمر هذا المرض سرى إلى الجلد وأول عمل يعله فيه هو افساد منابت الشعر وتخربت اجربتها وتشويه الوجه وسائر الأعضاء . ومعلوم أن الشعر إذا فسدت منابته وخربت اجربته جف وتساقت الموجود منه . ثم لم يمد يفت بعد ذلك إلا إذا زال المرض زوال تاماً بعلاجه علاجاً صحيحاً شافياً . وهذا حسر جداً . وأنا كثيراً ما نرى أن مرض الزهري وإن شفي فإن الشعر بعده لا ينبت ولا سيما شعر الوجه بل يبقى أطلس أحص طيلة الحياة .

هذا هو أثر الزهري في نفس الزاني . أما ما يورثه الاب الزاني لنسله وعقبه من الويل والدمار بسبب انتقال الجرثومة من الاب أو زوجته المصابة أو منها مما فذلك مما لا ينكر حصوله لطفلهما المسكين الذي يصاب بنفس مرضهما من دون أن يقترف ذنباً سوى انه صار ابنهما فقط .

واعلم انه لا فرق لدى الأطباء في معرفة الاثر السمي الحاصل للزاني وعقبه بين الزهري وبين أخويه (السيلان والقرحة الرخوة) فانهما إن لم يزيدا عليه في الفتك

لم يقصر عنه ، ولا سيما في بشرة الجلد والأدمة حيث يجربان فيها منابت الشعر ؛ كما وقد ثبت طبياً ونجربة أن هذه الجنابة من الابوين وعدم نبات الشعر عندهما كثيراً ما تبق ارنأاً للابناء بل للاحفاد أيضاً ، فيظهر النسل عديم الشعر في الوجه اخص أو عديم شعر الرأس اصلع . وعلل بعضهم تساقط الشعر أو عدم نباته بوجود افرازات من الكرات البيضاء في الدم الى خارج الأوعية الدموية نتيجة الالتهابات الزهرية . وبهذا الافراز يحصل انحباس في التغذية عن النصف الأسفل من أجربة الشعر ، وهكذا إذا استمر هذا الانحباس . اضمحلت الأجرية وتساقط الشعر ؛ وقد يحصل مثل ذلك في الافراط من العمل الجنسي التناسلي . أو من استعمال المادة السرية ( جلد حميره ) عند الشبان والشابات . أو من فرط استعمال المشروبات الروحية الكحولية ؛ واشباهها .

فاذا عرفت هذه المقدمة جيداً . وتأملت فيها ؛ وضع لديك مغزى جواب الامام ( ع ) في قوله : ذلك بما قدمت أيديكم وعرفت ما في جوابه من البلاغة العالوية ومطابقة الفن والعلم . وما حواه من الاشارة الى تلك الآثار السيئة التي تحصل مما قدمت أيدى الآباء والأجداد لابنائهم من جنابة ارتكاب الموبقات فظلموا أنفسهم وعقوبهم نتيجة تعاطي الزنى أو المادة السرية أو الافراط في الشهوات أو استعمال الكحوليات فذلك كان خطابه ( ع ) بضمير المخاطب لا الغائب ؛ أشعاراً بانكم انتم الآباء أو الاجداد جنيتهم على أولادكم وأحفادكم بمسلك الموبقات وبما قدمت أيديكم من ارتكابها . فكانت النتيجة ان خرج نسلكم اخص اطلس لاشعر في وجهه دون أن يعمل هو جريرة أو موبقة بل كان ذلك بما قدمته ايديكم . ثم قال ( ع ) ( وليس الله بظلام لهيب ) قاصداً بذلك ان هذا أي عدم نبات الشعر لم يكن من خلقه الله تعالى وحاشا لله أن يظلم هؤلاء البنين بمحطهم ناقصي الخلقة . بل انما ذلك من عمل الخلوقين وظلمهم لانفسهم بعمل الموبقات المؤثرة هذا الأثر .

أما عدم نبات الشعر في وجه الخصيان ، فهو لم يكن من هذا القبيل ، بل بواسطة عمل ( سل الخصيتين ) أو ( الاخصاء ) فان هذه العملية هي التي توجب سقوط الشعر من الوجه . سبب ذلك هو انه يوجد في الجسم عدد كثيرة مهمة في الحياة ولها افرازات داخلية تنصب في الجهاز الدموي وتسمى ( الغدد الصماء ) وافرازها يسمى ( هرمون ) ( أو الخلاصة الجيوبية ) أو ( المواد الموقظة للنبيبة ) لان لها تأثيراً عظيماً على نمو الجسم وانتماش فواه : بل وتحسين شكل الاعضاء ونضارة الجلد : وعلى القوى التناسلية ونظام الحياة مطلقاً : حتى الوضع الاخلاقي وصفات المرء وطباعه في جميع ادوار حياته واطوارها . وإن أم هذه الغدد هي الخصيتان في الرجل . والبيضان في المرأة : والغدتان الدرقيتان انكالتان تحت العنق : وغدة ( كظر ) يضم الكلى واسكان الظاه فوق الكلية : الى غيرها .

وكل هذه الغدد تفرز ( هرمونا ) في الدم ليسير بواسطته في جميع البدن ويوزع في كافة انحاء الجسم . فيقوم باعمال عظيمة مهمة ، تؤثر على الانسجة والاعضاء والاجهزة لتحتفظ بالتوازن الطبيعي فيها . أما إذا اختل هذا الافراز الهرموني فان الجسم سيضطرب وتظهر فيه اختلافات غير اعتيادية ، ويصبح ناقصاً مختلفاً في نموه بل وسائر مظاهره الجيوبية واعماله البدنية .

وقد درس علماء وظائف الاعضاء ( الفسيولوجيون ) مدى اثر هذه الهرمونات بدقة وببحث ، ولا زالوا يدرسون التدد الصماء وافرازاتها ، ولولا روم الاختصار هنا لذكرنا لك تفصيل ما وصلوا اليه من للبحث المهم الزائع . غير اننا نذكر هنا ما يخص بحثنا من بيان أثر عملية الاخصاء في تساقط شعر الوجه . ونرجى بحث الهرمونات الى محله ، فلقد ثبت لدى هؤلاء العلماء ان الخصيتين تفرزان عدا المادة المنوية مادة اخرى تسمى ( خلاصة الخصية ) أو الهرمون الخصوي ) وهذه المادة هي التي توجد القوة



وللنشاط والحيوية في الرجل ، وبواسطتها يكون نبات الشعر وظهوره بكثرة لاسيما في الوجه ، كما ان بها يشحن صوت الرجل ويضخم عظمه . وبالعكس منها هرمونات البيض في المرأة ، فلها تحدث رقة الصوت وبروز الثديين وعدم نبات الشعر ، ورقة العظام ، وادرار الحليب .

وعليه فاذا استؤصلت الخصيتان ، وكانت العمليّة قبل البلوغ ، وقف نمو القضيب تماماً ، بل ضمور وانكس . كما توقف غدة ( البروستات ) والحيوانات المنوية عن النمو والتكامل ، فيبقى الصوت نساءياً ، والمضلات رخوة طرية ، ولا ينبت الشعر في الوجه ، كما ان النمو المكروي يبطئ . كذلك ، وبعدم الحب الجنسي ، والانتصاب والنموذج بتاتاً .

أما اذا اجريت العمليّة بعد البلوغ ، فان الاعراض تأتي عليه وان كان شاباً بالتدريج فنضمر البروستات ، وتبدأ مظاهر الرجولة والقوة بالاضمحال رويداً رويداً وياخذ الشعر بالتساقط والصوت بالرقّة ، ويميل الشكل الرجولي الى الاناثية . وهذه الاعراض تتم كلها في سنة الى ثلاث سنين ، وهذا هو السر العملي في عدم بروز الحمى للخصيتان .

## الإهمال لا يأتي بالصواب والنظام

قال عليه السلام . فمن هذا الذي يرصده حتى يوافيه بكل شيء من هذه الآرب ، الا الذي انشأ خلقاً بعد ان لم يكن ، ثم توكل به بمصلحته بعد ان كان ، فان كان الاهمال يأتي بمثل هذا التدبير ، فقد يجب أن يكون

لقد مر عليك في الفصول السابقة بيان مافي خلقه الانسان من بدائع الصنعة واتقان النظام في جميع أطوارها وأدوارها . بعد أن أتى عليه حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً ثم بعد أن خلقه من نطفة امشاج . فكان جنيناً في الرحم ، ثم طفلاً رضيعاً ثم صيباً بعد الفطام وخروج الاسنان . ثم صار شريكاً للناس في أكلامهم وشربهم حتى بلغ غلاماً ياقماً قد نبت الشعر في وجهه وحتى بلغ مبالغ الرجال . أقول : إذا عرفت كل ذلك فانظر بعين البصيرة وفكر بنظرتك . أهمل ترى ان القدي كان يراقب هذا الانسان في جميع أحواله . كان غير خالقه ومنشبه ؟ أم ان القدي كان موكلاً بمصالحه وما ربه هو غير مكوئه وباريه ؟ ثم تعقل وتدبر واحكم ، هل يمكن أن تحصل كل هذا بالمصادفة واهمال دون سبب وعلة ، ودون أن يرصده عالم قادر حكيم ؟ ولا سيما بعد أن عانيت هذا النظام المستمر ، والتدبير والابداع العجيب في مخلوق كان قد ورد الى هذا العالم مجرداً عاجزاً ناقصاً محتاجاً جاهلاً . كلا ثم كلا . فان العقل ياباه والوجدان يفر منه ، والنظرة تعافه ، كيف لا . وان الاهمال والمصادفة إذا كانا يأتيان بمثل هذا النظام . لزم ان يكون ضدما وهو القصد والتدبير يأتيان بالخطأ والاهمال بمكته وهذا قول فضيع غير معقول ، وجهل واضح من قاله غير مقبول فلن من الامور المسئلة الاولية التي لا يختلف فيها اثنان ، ولا يشك فيها ذو أقل مسكة

العمد والتقدير يأتیان بالخطأ والمخالفة : عند الإهمال : وهذا فضيع من القول ، وجعل من قائله ، لان الإهمال لا يأتي بالصواب ، والتضاد لا يأتي بالنظام ، تعالى الله عما يقول الملحدون علواً كبيراً .

من الإدراك ، ان المصادقة والإهمال لا يأتیان بالصواب قطعاً . فنكون النتيجة المعقولة أن جميع هذه الأمور ، العظام والتدابير المقدرة المتقنة ، والنظام المستمر ، وجريان الكتل على سنة لا يتبدل فيها ولا انحراف ولا خلل ولا زلل ، دليل واضح على صدورها عن صانع حكيم ، وحصولها عن خالق عالم قادر ، موجود لذاته . وهو الذي أوجد هذا الإنسان من العدم ، ثم راقب سيره بلطفه ، ورعاه في جميع أدواره بفضلته وهداه الى الراحة والسعادة طيلة حياته مبدأً ومعيداً بكرمه ومنه .

هكذا استدل الامام (ع) على وجود الصانع بآثاره ، وبرهن على علمه وحكمته وقدرته باحكام صنمه وابداع خلقته ، وأبان رحمته ولطفه ، راقبته ورعايته ونوكله في مصالح عبادته وما ربههم ، وهذا الاستدلال هو المسمى لدى المنطقيين بالاستدلال (الإنفي) الذي يستدل فيه بالمعلول على العلة كقوله تعالى : (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يقين لهم أنه الحق) .

فيا استخافة عقول أولئك المعكرين الذين هموا عن ضوء الشمس في رابعة النهار وضلوا الطريق الاصح حين انطلقوا صباح عقولهم في ظلمة التيه جهلا وغروراً ؛ حتى أصعبوا بتشكولهم هنراً ، وينطقون باطلا وهم لا يشعرون وينسبون الى الله تعالى ما جعل عنه وهمز وارتفع عن امثاله ، فسبحانه وتعالى عما ينسبه الملحدون علواً كبيراً .

## الحكمة في أن يولد الطفل غيباً

قال عليه السلام : ولو كان المولود يولد فهماً عاقلاً ، لانكر العالم عند ولادته ، ولبقى حيراناً تائه العقل إذا رأى ما لم يعرف ، وورد عليه ما لم ير مثله ، من اختلاف صور العالم من البهائم والطيور الى غير ذلك مما يشاهده ساعة بعد ساعة ويوماً بعد يوم ، واعتبر ذلك بأن من سبي من بلد الى بلد وهو

---

خلق الله العقل للانسان ، وجعله اعظم ميزة له على سائر الاحياء ، فيه تقاس قيمته الاجتماعية ، وبه يكتسب مكانته في هذا العالم . وقد جعل مركزه الدماغ مصدر الاعصاب ، ومنشأ الحواس الظاهرة والباطنة ، فكان هذا العقل الجبار والمخلوق العظيم لانظير آثاره ، ولا نبدو اعماله الا إذا قوى مركزه وهو الدماغ ونشطت جنوده وهي الاعصاب ، بل هو بدون ذلك ككوكب بلا جنود ، أو جوهرة وضئفة مستورة محجوبة لا يشع ضوءها ، ولا يسطع نورها . لذلك ترى الطفل عندما يولد ، ابن الاعضاء رخو الاعصاب ، ضعيف المخ : لا يدرك شيئاً ، ولا يهتدى الى امر ، فهو لا يبصر ولا يسمع ولا يحس ولا يشم ولا يذوق ، ذلك لان أعصابه ايضاً لا يمكنها تأدية وظائفها ولان الدماغ رخو ضعيف لم يستطع أن يقوم بأي عمل من اعماله ، لكن كلما جفت الاعصاب قويت وكما قويت نهضت وانقبت لوظائفها ، من الامتثال لاوامر العقل ، واعمال القوى الحساسة الظاهرة والباطنة ، ومن هنا كان علم حفظ الصحة يرى ان رعاية الجهاز العصبي من أهم ما يطلب للطفل ، لا سيما لأنماء قواه العقلية بصورة صحيحة ، للحصول الكمال البشري المبرهنه ( بالترقية ) ثم ( التثقيف ) وبالنظر لارتباط هذا الجهاز العصبي بسائر اجهزة البدن ، كان الغذاء الجيد

يكون كالواله الحيران ، فلا يسرع الى تعلم الكلام وقبول الادب ، كما يسرع الذي سبى صغيراً غير عاقل ثم لو ولد عاقلاً كان يمد غضاضة اذا رأى نفسه محمولاً مرضعاً محصباً بالخرق ، مسجى في المهد لا يستغنى عن هذا

المنظم الملائم ، والهواه الطلق ، والنوم الكال لطفل ، من ازم الامور لحفظ جهازه العصبي المهم وبالتالي انتمية قواه العقلية . لذلك ترى انه كلما تمت اعضاءه وقويت اعصابه ظهر ادراكه ، ولما اشتدت قواه الجسميه قوى عقله . فصار فيها عالماً يدرك ما يشاهد ، ويمقل ما يرى .

أما عند ولادته . فقد اقتضت الحكمة الالهية ان يولد غيباً ذاهلاً . إذ لو كان عاقلاً مدر كاً عند وروده الى عالم النور غيب مكوته مدة تسعة اشهر وسط ظلمات ثلاث ثم يشاهد الاشياء التي لم بأفها ، فانه بلا ريب ينكرها ويقله عقله ، ويصبح حيراناً لا يقوى على مجابهة تلك الصور المختلفة والاشكال المتفاوتة التي ترد عليه فجأة ودون سابقه ، فيصدع ذهنه وبذهل عقله . وهذا أمر وجداني معلوم واذا أردت تقرب هذا المعنى الى ذهنك . لاحظ المسبي من بلد الى بلد آخر كبير عاقلاً كان أو صغيراً خراً ، ثم فسه بالطفل لتعرف ذلك . فان المسبي الكبير اذا جي به الى بلد غير بلده وقوم غير قومه ، وسمع لغة غير لغته ، ورأى عادات غير عاداته أصبح بالطبع حيراناً والهالماً ، اذا انه يصطدم باوضاع وحالات غير مألفة له ، وبما ين اداباً واخلاقاً غير التي نشأ عليها ، فلا يسرع الى قبولها ، ولكن الصغير الفر الذي هو كافر طاص الصافي سينقش عليه كلما نقش سرعه ويقبل كل لون من الالوان ويتربى بتريه أهل هذا البلد الثاني باقل تعليم وادني اشارة ويتأدب بأدابهم وعاداتهم بمجرد تفهيمه دون مشقة أو زمن طويل .

وهذا هو السر والحكمة في ان ولد العاقل غيباً غير فهم وذلك ليواجه الحياة

كله لفة بدنه ورطوبته حين يولد، ثم كان لا يوجد له من الحلاوة هو الواقع  
من القلوب ما يوجد للطفل .

وصورها بالتدرج ، وليقي الامور دون مفاجأة أو مصادمة وليألفه - اقليلًا قليلا  
ويدركها رويداً رويداً حسب تدرج عقله ، وانتباه ذهنه .

هذا بالنسبة الى مواجهة الصور الخارجية ، اما بالنسبة الى نفسه ، فانه لو كان  
عاقلاً حين يولد ، وكان ينظر الى ما هو فيه من الاوضاع غير المستساغة له ، من  
رضاعه وتمصيبه ولفه بالخرق واللقطاط ، وحمله على الصدور ، ووضعه في المهد مسجى  
لا يستطيع النهوض ولا يقوى على الحركة الى غيرها من امور لا تليق بمن يدرك قبها  
ويتقل حقارتها وهو مع ذلك مضطر لما غير مستغن عنها ، لرفة بدنه وضعفه وعجزه ،  
أقول : إذا نظر الى كل ذلك ، وجدني نفسه غضاضة وذله ونقصاً ولا يمكنه أن يتحمله  
ولأجل ذلك فان اللطف الالهي والحكمة البديعة شانت أن يولد غافلاً غير عاقل لكيلا  
يجابه تلك الامور بادراكه فيتأذى ، ثم اذا قوى ادراكه بعد زوال تلك الامور  
واستغناؤه عنها ، أصبح يواجه الامور رويداً رويداً حسب ادراكه المتدرج الى أن  
يصير رجلاً كاملاً عاقلاً مدرّكاً يميز الحسن عن القبيح والجيد من الردي .

أما بالنسبة الى أبويه ، فانه لما كان محتاجاً الى رعاية ومدارة وتربية وسهر من  
الام وتمب ومشاركة للام من الاب ، فقد جعل اللطيف الخبير فيها فريزة اللطف  
الشديد والمحبة القلبية للذين هما يجبران الابوين ولا سيما الام على تحمل تلك المشاق  
والقيام بها لتربية طفلها والحفاظة عليه من كل اذى أو ضرر ، ولكن هذا اللطف  
وتلك المحبة منها تحتاج لنموها وبقائها الى شيء من تذوق حلاوة ولذة في  
حركات الطفل وسكناته ، مما يسوقها الى الاستمرار في تربيته ومداواته دون كلل  
أو ملل ومن المعلوم ان هذه الحركات الطيبة البريئة لا تحصل منه اذا كان عاقلاً فاما

لادراكه عدم مناسبتها له فلا يفعلها ، وإذا لم يفعلها لم تكن له تلك الطائفة ولم يحصل منه تلك الالفة الابوين ، فلا يقبلان على تربيقه كما ينبغي ، وبذلك لم يحصل الغرض المطلوب فكان من الحكمة والاطاف لتنفيذ تلك الخدمات الواجبة ، ان يولد الطفل غير عاقل ولا فهم ، ثم تدرجه في مدارك يستغنى عن تربيته اوبه الاوليه ، فسبحانه من لطيف خبير .

## خروج الطفل من الغباوة الى العقل

قال عليه السلام : فصار يخرج الى الدنيا غيبياً غافلاً عما فيه اهله ، فيلقى الاشياء بذهن ضعيف ، ومعرفة ناقصة . ثم لا يزال يتزايد في المعرفة قليلا

لقد اتضح مما سبق ان المولود كيف ولماذا يخرج الى الدنيا غيبياً غافلاً عما يلقاه في هذه الحياة ، وما يشاهده من اوضاع اهل ، اذم اول من يصادف ويرى ، كما عرفت انه كيف تدرج في المعرفة والادراك حسب نموه الجسمي ونهوض اعصابه حتى يبلغ اشدته وترقى في مدارج العقل ، وحتى وصل الى معرفة خالقه . وتعمل ما خلق لأجله . وتلك سنة الله في خلقه ، ولن نجد لسنة الله تبديلا .

ولتفصيل بيان كلام الامام (ع) نقول :

ان العقل وهو تلك القوى المدركة الجارية في الانسان ، والتي بها يعرف الحقائق ويميز بين الحسن والقبیح والخير والشر ، يقسم الى قسمين غريزي ومكتسب فالغريزي هو الذي تفرد الخالق بعنقه . وخلق مع الانسان منذ وروده الى ميدان هذه الحياة وهو الذي عليه يتوقف التكليف ، وبه يمتاز البشر عن ساير الحيوانات وهو الذي اذا تم لى شخص استحق أن يقال له ( عاقلًا ) وان يبلغ به درجة الكمال .

قليلا وشيئا بعد شيء ، وحالا بعد حال حتى يألف الاشياء ، ويتمرن ويستمر عليها ، فيخرج من حد التأمل لها والخيرة فيها الى التصرف ، واضطرار الى

والمكتسب : هو المستفاد من التجارب ومسور الحوادث بواسطة العقل الفريزي الاصلي وهذا لا حد له في الزيادة والنقصان ، لانه ينمو إذا استعمل ، وينقص اذا اهل .  
أما نماؤه فيكون باكراً بطريقتين ، أما بكثرة الاستعمال في التجارب وممارسة الامور بشرط أن لا يعارض بماع من الهوى أو يعاق بعائق من الشهوة - فذلك ترى أن اراء الشيوخ بمدوحة ، حتى قيل : عليك براءه الشيوخ فانهم ان فقدوا الذكاء وحسن الفطنة فقد سمت على صيونهم وجوه العبر ، وقصدت اسماعهم اثار الفير . وأما يفرط الذكاء، وحسن الفطنة مع سلامة الفطرة ، فاذا امتزج هذان الطريقان مع العقل الفريزي أنتج العقل المكتسب ، وقوى كل منهما صاحبه ، والى هذا اشار سيد العقلاء الامام أمير المؤمنين علي ابن ابي طالب عليه السلام بقوله :

رأيت العقل عقليين فطبعوع ومسوع

قاصداً بالمطبوع الفريزي وبالمسوع المكتسب .

وفد قسم بعضهم كلا من هذين العقلين الى قسمين ، فتكون القوى العقلية أربعة كما ذكرها العلامة الفريزي اذ قال : ان القوى العقلية أربعة اقسام ، وهي :  
( الأولى ) القوة التي بها يفارق الانسان البهائم ، وبها يستمد لقبول العلوم الفطرية وتدبير الصناعات المفكرية ، وهي غريزة يسميها الحكماء ( العقل الهبولائي ) الذي يوجد في طفل الانسان ولا يوجد في ولد البهيمة .

( الثانية ) القوة التي تظهر في الطفل بعد نموه الاول والتي بها يميز المستحيل من الجائز كعرفة ان الاثنين أكثر من الواحد ، أو ان الشيء الواحد لا يكون في مكانين في آن واحد مثلاً ، وهي ايضا غريزية يدعونها الحكماء باسم ( العقل بالملكة ) وهذان



المعاش بمقله وحيلته ، الى الاعتبار والطاعة والسهو والغلة والممصية

القسمان برجمان الى الفريزي .

﴿ الثالثة ﴾ القوة التي بها يتعمل الانسان العلوم الاستفادة من التجارب لمجاري

الحوادث والاحوال ويقال لمن انصف بها ( العاقل بالمادة ) ولمن حرم منها ( القبي )

أو ( الفتر ) .

﴿ الرابعة ﴾ القوة التي تعرف بها حقائق الامور وهو اقبا ، والتي من خواصها

قع الشهوة الداعية الى الادة العاجلة ، وتحمل المكروه العاجل لسلامة الآجل . وهذه

القوة إذا حصلت للانسان ممي صاحبها ( عاقلاً كامل العقل ) لان اقدامه واحكامه

في الامور يكون حسب نظره الصائب الى العواقب ، مع نفوره المقبول عن الشهوة

العاجلة

وغير خفي ان تدرج هذا النمو العقلي في أقسامه الاربعة ، وظهور آثاره واعماله

يكون في ادوار ثلاثة من العمر : ولكل دور أحواله خاصة . أما الدور الأول فيبتديء

من السنة الأولى من سني الطفل حتي السابعة ، ويكون الطفل فيه عرضة لتأثير

المؤثرات فتتطبع فيه الصور التي يلاقيها ، كما تطبع في المرأة الصغيلة . أما الدور الثاني فن

السابعة الى الرابعة عشر حيث يرتقي فيه العقل من حالة القبول والانفعال الى حالة

الفكر والنظر في الملل والمعولات : وفيه تظهر قوة المحافظة . أما الدور الثالث فن

الرابعة عشر حتى الحادية والعشرين ، حيث يستكمل سلطان العقل ، ويصبح آمراً

بمد ان كان مأموراً ومكلفاً بمد ان كان مسكوتاً عنه ، وعليه تقع مسؤولية الأعمال

الحيوية .

والى هذا كله أشار الامام ( ع ) بقوله : فيلتقي الأشياء بذهن ضيف ومعرفة

ناقصة ثم لا يزال يتزايد في المعرفة قليلا قليلا الخ أي ان الانسان اذا خرج من دور نقصان المعرفة لضمف عقله ، ثم كمل ادراكه وعرف الحسن من القبيح ، وميز الخير من الشر كان الامر اليه ، فاما أن يعتبر بما يرى ويتمقل فيطبع أو يفقل ويهو باعراضه عن العقل فيعمي ؟ فسبحانه ما أحكمه والطفه .



## وجوه أخرى في حكمة غباوة الطفل

قال عليه السلام: وفي هذا ايضا وجوه آخر، فانه لو كان يولد تام العقل مستقلا بنفسه، لذهب موضع حلاوة تربية الاولاد، وما قدر أن

ذكر الامام (ع) في هذا الفصل وجوهاً ثلاثة أخرى لبيان الحكمة في مجيء الطفل غيباً غير كامل العقل، فانه لو كان يولد تام العقل احصل .

﴿ اولاً ﴾ ذهب حلاوة التربية من الابوين للاولاد كما تقدم

﴿ ثانياً ﴾ عدم حصول مصلحة الوالدين في تربية اولادهم ورعايتهم .

﴿ ثالثاً ﴾ ذهب مكافأة الولد لو اذبحه بالبر والاحسان عند مجزئهم وكبرهم .

وبيان ذلك يستدعي اولاً معرفة ما يراد من التربية وما هو اثرها . فنقول : التربية هي الطريقة التي يتوصل بها الى تقويم جسم الانسان ، وتنمية قواه الطبيعية والمقلية والادبية ، وبنطوي تحت هذا التعريف جميع ضروب التعليم والتهديب والتثقيف التي من شأنها اعادة العقل وتقويم الطبع : واصلاح الامادات واعداد الانسان ليكون نافعا لنفسه واميره ، وتبتيدي التربية منذ ولادة الطفل حتى يصبح رجلاً قابلاً لولوج معترك هذه الحياة الوسيعة . أما الدور الاول الذي نحن الآن في صدد بيانه فهو دور للطفل بعد الولادة الذي تكون السلطة فيه للاب والام . والذي يقوم اساسه على دعامة المحبة وللماطفة . وهما امتن رابطة تربط الولد بولديه . وتهون على الابوين لاسيما الام جميع ما يقاسيانه من الصعوبات والآلام في سبيل تربية ولدهما وايصاله الى مدارج العيش ومعارج الحياة ، وحيث ان الطفل عند ولادته صفحة بيضاء ينقش عليها الابوان كلما شاءوا . ويخرج من بطن امه عجينة لينه هينه

يكون للوالدين في الاشتغال بالولد من المصلحة ، وما يوجب التربية الآباء  
على الابناء من المكاة بالبر والعطف عليهم عند حاجتهم الى ذلك منهم .

وهما بصورانه كما يردان . فان الفطرة اذا وهبت لك ولداً ، فانما تسلم بيدك ( ايها  
الربي الأول ) كتلة فجفة ، ثم عليك انت أن تصور هذه المادة القابلة للشكل باي  
شكل من الاشكال على احسن صورة يستسيغها العقل والوجدان والأدب ؛ فانت  
ان اهلتها حصلت على بهيمة ؛ وإن عنيت بتربيتها حصلت منها ( ان صح القول )  
ملكاً كريماً ؛ فاختر لنفسك ما شئت .

أما المحبة التي تسهل على الابوين تحمل المشقة والاعتاب في تربية طفلها ؛ فهي  
قوة جاذبية داخلية ؛ تثيرها العوامل الخارجية ، من حنو وأمل بالمستقبل ؛ راجعين  
أن يصبح ابنها صور صادقة لها في الحياة ، وتاريخاً ناطقاً عنها بعد المات ؛ فهما بهذه  
المحبة والعاطفة اللتين يثيرهما الأمل بمكافأة ولدها لها بالبر والاحسان عند كبرهما يمدان  
حياة التربية ولقمة الاعتاب بما لا مزيد عليه ؛ ومما يساعدهما وبضاعف شفقتها عليه  
بساطته وغباوته ، وطهارته ؛ ولطافته .

أما اذا ولد تام للعقل مدر كما لماراه ، ثم تصادفه من اعمال الطفولة ما يستتبعها  
العقل ويستقدرها الذوق . فانه لا بد وإن بأف منها ولا يرتضيها ولكنه مضطر لها غير  
مستن عن كمالا يستتبعه منها لضعفه وعجزه ؛ فيكون بالطبع دائم التأمم مما هو فيه وبهذا  
السبب لا تحصل منه تلك الحركة الطفولية البريئة المحببة له وتلك الافعال البسيطة التي  
تقره من قلبي ابويه وذويه ؛ وإذا لم تحصل كانت المسامحة من الوالدين في رعايته ،  
وحصل الفتور عن اداء ما يجب من المكوف على تربيته ؛ وهذا مالا تقتضيه الحكمة  
الالهية والاطف الرباني ، لذلك تراه خلق وولد غير عاقل ؛ لتكون غباوته عوناً على

ثم انا نستفيد من هاتين الجملتين من كلام الامام (ع) وهما قوله : تام العقل (مستقلاً بنفسه) مطالباً جليلاً وحكمة اجتماعية بليغة اخرى لا بد من ذكرها لتعلم مبلغ سعة علم الامام (ع) وبعد مرماه في ما يقول ويعمل : وذلك ان علماء الاجتماع قد اجمعوا على ان نظام الاجتماع البشري ، وناموس سير حياة الأفراد والمجتمعات بعضها مع بعض ، لم يزل يدور على اساس قاعدة (التابعية والتبعية) أو (الاستقلال بالنفس والاحتياج لغيره) أو (تمامية العقل وعدمه) بمعنى انه ، لو لم يكن متبوع مستقل بنفسه تام العقل مطاع : وتابع له غير مستقل بنفسه ولا مستغن عنه مطيع . لما استقام للعالم نظام ، ولما حصلت ولاية للاباء على الابناء ، بل ولا غيرها من الولايات الاخرى ولما جعل الرجال قوامين على النساء ، ولا كانت ولاية سيد على عبد ، أو ملك على رعية ثم لما اتبعت قوانين ، ولا همل بناموس ، ولا قامت دولة ولا خضع لدين مماوي ولا لطقس من الطقوس المليية أو الاجتماعية أبداً . وعلى هذه القاعدة تأتي العاطفة البشرية والحنان والشفقة التي تدور على ضعف التابع من جهة وقوة المتبوع من جهة اخرى ، وذلك لأن المتبوع لما كان يرى نفسه قوباً آمراً حاكماً مستقلاً بنفسه مستغنياً عن تابعه ، وكان يرى تابعه ضعيفاً عاجزاً غير مستغن عنه بحيث لا يمكنه الاستقلال بنفسه ، دعاه ذلك بالطبع الى أن يشمله بعطفه وحنانه ويرعاه برأفته ورحمته ، كما ان التابع ايضاً اذا رأى نفسه عاجزاً لا يتأني له الاستقلال بالنفس والاستغناء عن غيره ، في حين يجد متبوعه تام العقل غنياً عنه ، دلاوة على انه قائم بمواجبه مؤازر له ، فان ذلك لا بد وإن يدعو الى أن يخفض له جناح الذل ، ويخضع لارادته وذلك بحكم قاعدة (التابعية والتبعية) . وعلى هذه القاعدة العامة تدعم العلاقة بين الرجال وازواجهم : وبين الآباء وابتنائهم والموالي وعبيدهم ، والمالك وورعاياه الى غيرها من الأمور الأخرى ، إذ ان هذه القاعدة كما تقدم اساس

استقامة نظام العالم ، وجريان الحياة البشرية على الاطلاق ، ومن هنا قيل : ان كل  
ضعيف تابع للقوى ، وكل عاجز خاضع لمن هو اقوى منه ؛ وكل مرغوب مطيع لمن  
رباه ، وكل عابد متصافر امام محبوبه وكل امة مجتمع اثر قائدها ونجدوحنو مرشدها  
وكل متعلم ينجت الى فكر معلمه واستاذه ؛ وهكذا واليك .

فاذا اتضح لك ذلك ؛ ادركت مغزى كلام الامام (ع) من قوله : ( تام  
العقل مستقل بنفسه ) فللولود اذا كان تام العقل مستقلا بنفسه غير محتاج لأبويه ، لم  
يخضع لها بالضرورة بل كان يتمتع من اطاعة أوامرهم ولو اهيها ، وان رأى اطاعتها  
من مصلحته وفالده .

وهذا مما يوجب اختلال نظام الحياة وانقسام هرى سلسلة النوع البشري ؛  
لان تمامية عقل المولود واستغنائه عنها ( كما فرض بزماته أن يرى نفسه مثلها في  
كل شيء فهو لا يرضي لنفسه ، أن يسيراه في الحياة كما يريدان . فيأمرانه كما شاء ،  
وبنيانه عما لم يرغب فيه ، فيحصل في البين شبه النفور والتباعد ، وهذا مما يذهب  
بموضع حلالة التربية ولذة لطافة الاولاد ؛ فلانحصل تلك المصلحة للاطفال حتى  
يستحكم جسمهم ويقوى اديهم . هذا من جهة ومن جهة اخرى ايضا نجد ان خدمة  
الوالدين لولدهما هي من مصلحتها ما ايضا وهي ترقب ما يأملانه منه من الخدمة والعناية  
بها عند كبرها وعجزها عن الاعمال ؛ فان الولد الذي يربي تربية صحيحة لا بد وأن  
يخرج باراً بوالديه ؛ عارفاً بحقوقها عليه . مؤيداً لما يجب من مقابلتها بالبر والاحسان  
اذا أخرجاه رجلاً سويًا عاقلًا يستطيع أن ينفع نفسه وينفع غيره .

أقول : اذا عرف ذلك وعمل بواجبه ، حصل على نصيب وافر من الفضيلة  
والمروءة ؛ واذا لم يفعل كان عاقلاً قد قابل الحسنة بالسبئية وذلك الاحسان بالكفران  
والخير بالشر ، والطاعة بالمصيبة . وكيف لا يكون كذلك وان أبواه هما اللذان سلبا  
راحتهما لراحتهم حتى كونهما مثلهما يعرف ما يعرفان ويدرك ما يدركان ولولاها ماتت

جوعاً ولهلك مرضاً وإملاً بل لحرم لذة الحياة بتأنا .

ولاجل ذلك قد وصى الله تعالى بيز الوالدين وجعل عقوبتهما من اعظم الكبائر الموجبة للعذاب الأليم حيث قال تعالى : ( ووصيناك بالانسان بوالديه . احساناً حملته امه كرهاً ووضعته كرهاً وحمله وفصاله ثلاثون شهراً حتى اذا بلغ اشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك الآية ) وقال تعالى : : ( ولا تقل لهما اف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريماً ) .

فاذا تحققت هذه المقدمة عرفت ما في غباوة الطفل بعد الولادة من الابداع في الحكمة وما فيها من اللطف والرحمة على الانسان : وظهرت جلياً ما في كلام الامام عليه السلام من المعنى السامي والأمور الحيوية للعالية : مما يتلقاها كل عالم متضلع وفيلسوف فانه من الدروس الاجتماعية الراقية ، وللمعلوم النفسه الجليله التي تعجز عن تحقيقها الكتب الطويلة والمؤلفات الكثيرة ، هذا حتى ان الامام (ع) كان قد اشار اليها باخصر عبارة وابلغ كلام .

## وجوه أخر غيرها في الحكمة

قال عليه السلام : ثم كان الأولاد يألفون آباءهم ولا يألف الآباء أبناءهم لان الأولاد كانوا يستغنون عن تربية الآباء وحياطنهم فيتفرقون عنهم حين يولدون ، فلا يعرف الرجل أباه وامه ، ولا يتمتع من نكاح امه واخته

الألفة هي الالتئام والاستيناس بالشيء ، والمهبة المزوجة بموافقه الطبع وهي تحصل بين اثنين ، أما لاسباب ذاتية أو عرضية . أما القاتية فهي التي لا تستحيل ولا تزول بل تبقى بقاء الطرفين لتوافق الجوهرين ، أما مزاجا مثل الألفة بين انسانين أو بهيئتين أو طهرين انشأ كلهما بالمزاج ، وأما من جهة النفس والطبيعة مثل الألفة بين الحديد والمغناطيس واضرابهما من المتوافقين طبيعة ونفسا . أما الاسباب العرضية فهي كثيرة ( منها ) المادة ( ومنها ) توقع النفع أو ظنه ( ومنها ) الألفة ( ومنها ) الأمل ، ( ومنها ) انفاق الأعراس أو للذاهب أو الآراء أو المصيبات . إلى غيرها مما تجلب المحبة وتقرب القلوب وتلائم الطبع ، ومعلوم انه كلما طال مكث هذه الاسباب زادها ثبوتا وظهوراً .

أما ألفة المادة فلا تحتاج الى بيان لما نرى أن المتباد بأنس بما اعتاد عليه ولا يرغب لسواء . اما ألفة توقع النفع أو ظنه فتل ألفة الخدم لسيدهم ، ولفة أصحاب الشركات لرفقاتهم فانهم يألفون لبعضهم لتوقع النفع في شركتهم بتلك الألفة . وأما ألفة الألفة فتل ألفة الزوجين أو المتعاشقين أو المتعاشرين لما يحصل بالفتنما من لذة اللقاء والاجتماع ، ولفة الرجاء والامل بالمستقبل فهي كثيرة ، أظهرها هي ألفة الوالدين مع ولدهما ( وهذه هي المقصود بالبحث هنا ) فان الابوين إنما تحصل لهما



وذوات المحلرم منه ، إذا كان لا يعرفهن ، وأقل ما في ذلك من القباحة ، بل هو أشنع وأعظم وأفظع وأقبح وأبشع ، لو خرج المولود من بطن امه وهو

الالفة مع طفلها ، لانها بأملان به النفع الآجل وبرجوان جزاهه ومقابلته لهما بالاحسان في المستقبل ، مضافا الى اللذة الوقتية في مناغاته ومداعبته . ومعلوم انهما لو كانا يعلمان خلاف ما بأملان : أو أن يعرفا منه الضرر في الآتي لما اتفاه ولا خدماه ولا استقاما على تربيته بمعنى أن أملها به إذا زال وقوى اليأس من نفعه المأمول ، انخفضت منها المحبة وزالت الألفة بما حدث بينهما وبينه من البغض والتفوق والعداء أما اللفة الولد مع والدته فهي لما يحس به من الخدمة والمنفعة له ومن السهر على راحته .

وهناك اسباب طبيعية اخرى كثيرة تسبب الالفة بين الابوين وطفلها غير ما تقدم ولكن عرضنا عنها طلبا للاختصار .

والخلاصة ان هذه الالفة الحاصلة بين الاباء والابناء لم تكن الا لوجود الأمل بنفع المستقبل ، ورجاء مكافأته ايام عند الكبر والعجز ، وما يزيد عطفها عليه هو ضعفه وعدم تعقله وقلة تفهمه للأمور مضافا الى ما يظهره من الحركات العفوية التي تحببه اليها ، بل ان ذلك قد يكون سببا في زيادة الالفة بين نفس الابوين مع بعضهما لاجتماعها على حب طفلها . وبهذا يحصل الصفا العائلي الداخلي ، وتعم السعادة البيتية بل يمكن أن يقال أن الامومة والأبوة لا تحصل ولا تظهر الا بواسطة هذا العطف المشترك على طفلها المحبوب لقلبيهما .

أما اذا كان رطفل عاقلا فانه بلا شك لا تصدر منه تلك الحركات المرغوب فيها ، ولا تلك الافعال المحببة له ، لان عقله يدرك فبعضها من مثلة فلا يفعلها وهو يتصور عدم مناسبتها له ، إذ يرى نفسه كاحد أفراد العائلة العفلة : بفعل

بطن امه وهو يعقل أن يرى منها ما لا يحل له ولا يحسن به أن يراه .

ما يغلون وينفر مما ينفرون . وعلى هذا فلا تحصل منه ومنهما الألفه أو نقول انها لا تشد ، ثم قد يستغنى في الجملة عن تربيته أبوه وحياطتهم اذا كان حافلا لا مكلن استخدام غيرها أو الاكتفاء بنفسه في بعض الجزئيات ، وهذا ايضا مما يستوجب التباعد أو بعض الفرة والحفاة وأخيراً انفصال الطفل عنهما . فاذا انفصل لتلك الاسباب أو لغيرها وبقي هكذا حتى يكبر ويبلغ مبالغ الرجال وهو بعيد عنهما ، إنكرها ولم يميز اذا أمه وسائر محارمه ، فيوشك اذا أن يخطب امه او اخته أو احدى محارمه لعدم معرفته لمن ، أو جهله بالنسبة بينه وبينهن ، فينكح احداهن وهو لا يعرفها وهذا ما لا يجوز شرعاً ، ولا يستحسن عقلاً ولا يرجح طبياً .

أما عدم جواز شرعاً فلقوله تعالى . ( حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وامهاتكم اللاتي أرضعنكم الخ ) وللأخبار الصحيحة والاحاديث المشواترة عن النبي ( ص ) والأئمة الاطهار ( ع ) وكلها تنطق بالحرمة مظلة ذلك باختلاط النطفة وضياع النسب واختلال الموارث .

وأما عدم حسنه عقلاً . فلان الرجل

( اولاً ) إذا أحب أحد محارمه لاسيما الام والاخت فان حبهما لم يكن الاحب شفقة ورحمة وحب اجلال واكبار وهذه المحبة الطاهرة لم يسوغ لها العقل أن تندس بشهوة حيوانية بهيمية يوشك أن تزول وبزوالها تزول المحبة الرحمة ايضا ، فيصبح هذا وبالاعلى الاسرة لانعدام المعاطفة الشريفة بين أفرادها .

( ثانياً ) انه لو ابيح في الشرع نكاح تلك المحارم . لاصبح النسب والمصاهرة محصورين في جهة واحدة . وبذلك تضيق سبل المحبات وتتحصر في بعض السمات بخلاف ما اذا تزوج الرجل باخرى اجنبية أو من غير محارمه . فانه سيضم الى اسرته

افلا ترى كيف اقيم كل شيء من الخلقه على غاية الصواب وصلاح من الخطأ  
دقيقة وجبيلة ؟

عضو آخر بل اعضاء آخرين من ذوي زوجته فتكون له اسرتان اسرة النسب واسرة  
المصاهرة وذلك سعة في المحبة والاحباب .

(ثالثاً) انه لو لم يحرم نكاح المحارم ، لكانت الاسر على الدوام في نزاع  
وشقاق، وذلك لما يحصل بين الآباء والأبناء أو الاخوة وأبناء العم بشيء من التنافس  
والتشاجر على نكاح احدي محارمهم اما لانها جميلة أو مشوقة أو مرغوب فيها  
لثروتها أو لغير ذلك من الاسباب، وربما حدث بينهم القتل . وفي هذا من الفساد  
اقصاه ومن قطع الرحم منتهاه . إذا فالعقل لا يستحسن ذلك ولا يرضاه . فان قلت  
ان هذه الوجوه العقلية التي ذكرت غير قوية الدلالة ولا ناهضة بالدعوى اعني تضييق  
العقل لذلك . فلنا ان العقل بعد اطلاعه على النتائج الطيبة التي منذ كرهها  
مضاهة الى تلك الوجوه ، فانه لا يرتاب في قبضه ابداً .

أما عدم رجحان ذلك طبا : فلان الطب يذهب الى أبعد مما ذكرناه فيقول :  
الأفضل أن لا يسمع بزواج الاشخاص الذين يكون بينهم النسب قريباً . فكيف  
بالأم والاخت لان زواجا كذا لا بد وإن ينتج دائما ثمراً دنيئاً ومشوباً . ويضاعف  
الاسراض والادواء المقيمة في الاسرة التي هي من ارومة واحدة .

قال أحد اطباء : يظهر لنا التاريخ التجريبي ان جميع الاسر الاروستقراطية  
التي ينضم بعضها الى بعض بالزواج . كانت تنحط شيئاً فشيئاً وتسقط بالبلاء وسخافة  
العقول :

وقال الدكتور يوحنا : ان تحريم الصهرية والزواج بين الاهل والاقربين جداً  
( وهو ما عوات عليه الاديان جميعها ) من الامور الصوابية لانه قد ثبت بالتجارب

المتكررة والمشاهدات المتعددة ، وان المصاهرة بين الاقارب ولا سيما الاذنين جداً مضرّة بالنسل ولا سببا اذا تكررت ، كما هو مشهور في عشائر بلاد السودان الذين حصروا تزويجهم منذ اجيال في اسر قليلة فكانت النتيجة كثرة الجنون والصرع والفالج وتشويه الخلقة عندهم ، وهذا الاثر أكثر ظهوراً في زواج الام والاخت والبنات وقال آخر بكلام طويل : وصفوة القول ان زواج الاقارب والاقربين يكون اكثر ملاءمة لثمة الامراض والاخلاق والمعادن الموروثة.

أقول : وينتج من مجموع أقوال الاطباء في هذا الخصوص : ان الزواج كلما كان أبعد نسباً كان اكل واقوى نتاجاً ، وكلما كان اقرب كان ابعد من الصحة في الجسم والعقل فكان من لطف الباري الحكيم على عباده ان حرم نكاح تلك المحارم المذكورة في الآية الشريفة وفي مقدمتها الام والاخت ، حفظاً للصحة ولسلامة العقل ومن اجل هذا ذكر الامام (ع) وقوع مثل الزواج المحرم : عندما يولد الطفل عاقلاً ثم ينفر من ابويه واقاربه : حتى يهود وهو جاهل بنسبه من أفراد الامرة . وفي الاخير ذكر الامام (ع) وجهاً اخر في حكمة ذلك وهو قوله (ع) :

وقل ما في ذلك الخ يريد بذلك : انك أيها الجاهل الغافل اذ لم تعلم بكل ما ذكرناه لك من الحكم ، فان اقل ما نتصوره بنظرتك من القبيح : بل هو ابشع وافظع واشنع واقبح من كل قبيح ان لوخرج الطفل من بطن امه وهو بعقل . لكان يرى من امه ما لايجل له ان يراه شرعاً ، ولا يحسن ان ينظر اليه عقلاً ، وهو النظر الى مورثها عند خروجه .

أما عدم حليته شرعاً فلقلوه تعالى : ( قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ، ذلك ازكى لهم ) وقد أجمع المفسرون على ان المقصود من الآية هو حرمة النظر الى النساء والى عورائهن .

وأما عدم حسنه عقلاً : فلان ذلك مما يهيج الشهوة الجنسية ، والجسارة من

الناظر على ما لا يسوغه العقل ، ولا يستسيغه الذوق السليم .  
فإذا عرفت ما بيناه من الحكمة والمصلحة اللتين افتضتتهما الحلقة في ان يخرج  
الطفل غيباً ادركت بالضرورة ، كيف افهم كل شيء من الخاتمة على غاية الصواب  
من الابداع والافتقان ، وتحققت ان كلا حدث في هذه الصنعة العجيبة من كمال  
التعريب وبداعة النظام ، هو خال من الخطأ والخلل من دقيقه الى جليله . ومن  
جزئيه الى كليته كما انه في الحقيقة بعيد كل البعد عن الصدفة واهمال صغيره وكبيره  
فسبحان المبدع في انشائه الحكيم في صنعه .



## منفعة بكاء الطفل

قال عليه السلام : اعرف يا مفضل ما للاطفال في البكاء من المنفعة ، واعلم ان في ادمنة الاطفال رطوبة ان بقيت فيها احدثت عليهم احدثاً جلية ، وعلا عظيمة من ذهاب البصر وغيره ، والبكاء يسيل تلك الرطوبة من رؤسهم ، فيمقّبهم الصحة في ابدانهم والسلامة في ابصارهم . افليس قد جاز ان يكون الطفل ينتفع بالبكاء ، ووالده لا يبرقان ذلك ، فهما دائبان

---

ان بكاء الطفل لفته الخاصة به التي يبرّ بها عما في ضميره قبل ان ينطق بالحروف وهي اللفه التي يسميها الملاسفة ( لفة الطبيعية ) إذ هي لفة اشارات وعلامات طبيعية لا يفهمها الا من لاحظها واهتمنى بمواقع الاشارات منها .

أما بكاءه عندما يسقط على الارض في ولادته : فسيبه الطبي هو ان الهواء الخارج الذي يلاقه عند مجابهة الحياة الخارجية سامة ولادته إذا ما دخل في مسالك الرئتين الضيقة لا بد وان يؤلم فيبكي الطفل لذلك الالم . أما بعد ذلك فانه لا يبكي الا من سبب معلوم كما سذكر الاسباب ذيلاً .

وقال بعض الفلاسفة أو المتخلفين : ان بكاءه عند خروجه هو نحيب لوالدته وشكره لله تعالى الذي أخرجه من الظلمات الى النور : إذا فهذا البكاء هو بكاء سرور وفرح بالحياة الجديدة . ولكن البعض الاخر يقول : انه بكاء حزن على فراق راحته الوادعه في الرحم ، وأقباله على دنيا المتعاب والمصائب والآثم وعلى كل حال ، فان بكاء الطفل كلما كان شديداً وكان صافياً لا ترافقه خنة ولا بجه كان دليلاً للصحة . كما انه كلما كان ضعيفاً أو مختلف الرنة والصوت فهو دليل انحرافها .

ايستكناه ويتوخيان في الامور مرضاته لئلا يبكي وهما لا يعلمان ان البكاء اصلح له واجل عاقبة ، فمكذا يجوز أن يكون في كثير من الاشياء منافع لا يعرفها القائلون بالاهمال ، ولو عرفوا ذلك لم يقضوا على الشيء انه لا منفعة فيه من أجل انهم لا يعرفونه ولا يعلمون السبب فيه ، فان كلما لا يعرفه

---

وينقسم البكاء عند الطفل الى اقسام . وكل قسم منه يدل على غرض من اغراضه .

١ - البكاء عن الجوع ، وعلامته أن يكون صياحاً عالياً ، وان يضع الطفل اصبعه في فمه ، وان ينتهي بسرعة عند ما يلتقم الثدي أو الزجاجة ، وقد ترافقه نغمة تدل على القلق .

٢ - البكاء عن العطش ، وعلامته السكوت عند وصول الماء اليه .

٣ - البكاء عن الغص : وعلامته شدة الصياح ، وثني الفخذين على البطن وربما صحبه قيبي واسهال ، او امساك : أو اتنفاخ في البطن .

٤ - البكاء عن البرد ، وعلامته استمرار البكاء مع المسكنة . ثم الوقوف فجأة عند حصول الدفء .

٥ - البكاء عن القلق : وهذا يحصل من امور كثيرة ، منها عدم انتظام الملابس واختلال نظامها ووضعها ، او اختلاف قماطه ، أو وجود قمل على جلده أو غيرها من الأجسام الخارجية مما يزيل راحته . وعلامته استمرار البكاء مع الاصرار عليه حتى يمش أو تغير ملابسه وقماطه .

٦ - البكاء عن التماس ، وعلامته أن يكون مع فرك عينييه والسكوت اذا اضطلع

٧ - البكاء عن ألم أو مرض ، وعلامته إذا كان مع امتناعه عن وضع حلقة الثدي

المنكرون يملئه العارفون ، وكثيراً ما يقصر عنه علم المخلوقين يحيط به علم الخالق جل قدسه وعلت كلمته .

أو الزجاجة في فمه فهو عن التهاب أو وجع في الفم أو الحلق ، وإذا كان مع عبوس الوجه أثناء سعال له ، فهو دليل وجع الصدر وإذا كان البكاء عند التبرز أو قبله ، فهو لوجع في البطن . وإذا كان مع بحة في الصوت ، فهو لوجع في الحنجرة ، وإذا كان قبل البول أو بعده ، فهو عن ألم في بوله أو مجاربه . وإذا كان صوت البكاء ضعيفاً مع انين خفيف دل على ألم شديد داخلي كالإلتهاب الرئوي وامثاله ، التي غيرها من الاسباب الكثيرة التي يبدل البكاء عليها والتي تعرفها الأم والمرية لمراقبتها لأوضاعه وحالاته والتغافل اليه .

أما فوائد البكاء للطفل ، مضافاً الى ما عرفته من انه لفته الطبيعية الخاصة به فهي كثيرة نذكر منها اربعة فقط وهي المهمة في الموضوع .

١ - ان في اعلى كل عين ، أي تحت الجفن الفوقاني غدة مخصوصة يترشح منها اللعاب في العين وبواسطه ريش الاجفان ينتشر هذا اللعاب في اطرافها لئلا يترطبها وازالة الغبار الداخل اليها من الهواء الخارجي ، فاذا كثر هذا اللعاب وزاد على حاجة العين ، خرج من ثقب الماق في طرف العين السفلي الداخلي المجاور للأنف ليدفع في نفس الأنف وهو بدوره يدفعه الى الخارج بصورة ( مخاط ) وبهذا العمل ايضاً يطهر الأنف من الغبار والجراثيم . وهذه العملية تكون بالبكاء والتنفس الشديد والصراخ العاصر لتلك الغدة الدمعية .

٢ - أن الصراخ احياناً يكون لادخال الهواء المستنشق الى رئتي الطفل بقوة لغرض تمويد الرئتين على التنفس أي جذب النسيم واخذ الاكسجين ثم دفع الكربون بواسطة الشيق والزفير .



٣ - تقوية الجهاز التنفسي وجهاز الدورة الدموية فيه بهذا البكاء .

٤- ما ذكره الامام (ع) من ان في ادغمة الأطفال رطوبة كثيرة ، ان بقيت احدثت عليهم احدائنا جليلة وعلا عظيمة ؛ من ذهاب للبصر ، واسترخاء الاعضاء والاعصاب بواسطة استرخاء الدماغ وحدث البله والبلادة في الطفل . الى غيرها من الأعراض ولكن البكاء يسيل تلك الرطوبة من ادغمتهم . فيعقبهم نعمة الصحة في ابدانهم والسلامة في ابصارهم وبصائرهم . وتوضيح ذلك ان الطفل مادام في الرحم فهو يعيش في وسط غدیر من الماء داخل المشيمة وهو ( السائل الامينوسي ) وذلك لما تقدم من اعتدال الحرارة عليه . ومن صد الصدمات والازعاجات الخارجية عنه وبدهي انه إذا كان يبش في مثل هذا الغدير ، فلا بد وان يخرج رطب الاعضاء لين الجوانب ولكنه سوف يقوى اديمه بالتدرج وتجبف اعضاؤه بواسطة ملاقاته الهواه وتغيير غذائه الى اثن من غذائه الرحي ؛ وحيث ان الدماغ خلق جسماً سنجابارخوياً رطباً ، فهو بالضرورة يكون مليئاً بالرطوبات الرحيمة . لذلك لا يمكن تجفيفه بسرعة كسائر الاعضاء الاخر ، لانه مع ذلك فهو مخفي وسط صندوق عظمي متين ، ومحاط بثلاثة اغشية محيكة صلبة اعني أم الحافية والصنكيوتية وأم الدماغ . إذاً فلا طريق لتجفيف رطوباته الا بالترشيح الى الخارج . وهذا لا يكون الا عن طريق العينين ، لقربها منه ولا اتصال اعصابها وبعض القنوات به . ومعلوم ان أقوى واحسن محرك لجريان تلك الرطوبات من اليها هو البكاء العاصر لفقده الدمعية الجاذبة لتلك الرطوبات اليها فاذا استمر البكاء استمر الترشيح واذا استمر الترشيح جف الدماغ الى الحد المقصود المطلوب وهذا من اكبر الفرائد الناجمة عن البكاء . ثم ان الدماغ لما كان مصدر الحس والحركة منبعاً للاعصاب جميعها . كان ارتخاؤه بالرطوبات سبباً لارتخاء كل الاعضاء ولا سيما اعصاب العين الرقيقات والقريبات من نفس جرم الدماغ ، واذا ارتخت هذه الاعصاب فقضاء انها لا تبصر تماماً . وهذا هو مراده (ع) بقوله :

ان بقيت احدثت احدثا جليلة وعللا عظيمة من ذهاب البصر وغيره - والمقصود من غيره هو رخاوة الاعضاء والقالج والاشال والبلة والجنون ونشوبه الخلقة وامثالها اما اذا ترشحت رطوبات الدماغ وجف قوى . وبقوته تقوى الاعصاب . وبذلك يأمن الطفل من تلك الاحداث والامراض البدنية والعقلية .

ومن الجائز ان لا يعرف الابوان هذه النعمة العظيمة والحكمة البالغة في بكاء طفلها فيشفقان عليه باسكانه . وبمملان كل حيلة لمنع بكائه جهلا منها لتلك العقبة . وهكذا نجد الخلقه كلها حكما ومصالح لصدورها عن خالق حكيم ، وكل اوضاعها متقنة لا يشوبها حلال ولا همال لان صانها عالم ، لا ترى فيها عوجا ولا امنا ، لان مبدعها مدبر خبير . اما جبل الجاهلين وهمي الملحدين المهملين فلا ينق ولا ينافي تلك الحكمة التي لو عرفها المهملون وادركها الطيبيون والمادبون لما قضاوا على الخلق انه لا منفعة فيه . ولو لم يجهلوا لم ينكروا حتى خفي عليهم السبب فجهلوا . ولو نظروا بعين البصيرة ونجردوا عن العناد والتمنت لادركوا ان الملله وذوي البصائر ليهملون كلما جهل المنكرون ، ويقرون بكلاما انكره الجاهلون ، على ان كثيرا من الحكم الخفية عن العقول البشرية . والمصالح المستورة عن الخلق . فداحاط بها علم الخالق الحكيم تعالى ولم يطلع عليها احد من مهاده لقصر عقولهم عن ادراكها ومحدودية افهامهم عن الوصول اليها . فسيحانه من عليم حكيم لطيف خبير .

## حكمة سيلان الريق من فم الأطفال

قال الصادق عليه السلام : فاما ما يسيل من افواه الاطفال من الريق ، ففي ذلك خروج الرطوبة التي لو بقيت في ابدانهم لحدثت عليهم الامور العظيمة لكن تراه قد غلبت عليه الرطوبة فاخرجته الى حد البله والجنون والتخليط الى غير ذلك من الامراض المتلفة ، كالفالج والمقوّة وما اشبهها . فجعل الله تعالى الرطوبة تسيل من افواههم في صغرهم ، لما لهم من الصحة في كبرهم .

الريق سائل مائي تفرزه الغدد الغابية التي في الفم . اغاية ترطيب الفم والاسنان وانتدية الكتلة الغذائية وتمليين الطعام ، ليصير مضغاً يسهل ابتلاعه وازدادها في المريء الى المعدة . ثم لتحويل المواد النشوية الموجودة في الغذاء الى مواد سكرية بسبب ما فيه من الخميرة المسماة ( بتالين ) وأخيراً لقتل كل ميكروب بهجم على الفم .

وهذه الغدد المفرزة لذلك السائل ، مركبة من حبيبات مجتمعة ومنضمة بعضها الى بعض بحيث يتكون منها فصيصات غير منتظمة . ضاربة الى اللون السنجابي ، صلبة اللزج ، شديد المقاومة ، وهي ثلاثة ( ١ ) الغدة النكفية ( ٢ ) الغدة تحت الفك ( ٣ ) الغدة تحت اللسان .

أما الغدة النكفية : فهي الموجودة في الحفرة النكفية أسفل الاذن الظاهرة الى جانب الوجه وهي أكبر الغدد الثلاث ، ويمتد جزء منها الى الامام . فتخرج منه قناة تسمى ( القناة النكفية ) وطولها نحو قبراطين ونصف وفيها فتحة صغيرة مقابل الضرس الكبير الثاني ومنها الرشيق .

فتمنضل على خلقه بما جهلوه ، ونظر لهم بما لم يعرفوه ، ولو عرفوا نعمه عليهم لشتغلهم ذلك عن التماذى فى معصيته ، فسبحانه ما أجل نعمته واسبغها على المستحقين وغيرهم من خلقه ، تعالى الله عما يقول المبطلون علواً كبيراً .

---

أما الغدة تحت الفك ، فحجمها حجم اللوزة ، واقعة فى مثلث تحت الفك الاسفل ولها قناة طولها قبر اطمان ، وفيها فتحة صغيرة ضيقة على رأس حلقة صغيرة بجانب قيد اللسان ، ومنها يرشح اللعاب .

أما الغدة تحت اللسان ، وهي أصغر الغدد العنابية ، فحلمها تحت الغشاء المخاطي بجانب قيد اللسان أيضاً ، ولها قنوات كثيرة من ثمان الى عشرين قناة شعرية ، كلها تصب فى عرق يتكون من بروز الغدة .

وهذه الغدد الثلاث كلها تفرز اللعاب فى فراغ القم بواسطة مجاريها الرقيقة ليكون الفم على اللوام رطباً ، واللسان طرياً ليتمكن من اداء وظيفته وهي النطق والمضغ والتنفس .

أما منبج هذا الرشيج : ومنشأ هذا السائل فى الغدد ، فهو اللهم لا غير ، اخي مائة فان الدم القدي يرسله القلب فى المروق لتنفيذة الاعضاء ، لا بد وإن يخلط معه مقدار من الماء المشروب لترقيقه وبدرفته ليذخل فى المسالك الضيقة ، فهو اذا خذى المضو : استغنى عن ذلك الماء ، فيدفعه الى الغدد المفرزة فى جميع اطراف البدن فبعضه ينزل الى الكلى والثانة ليكون بولاً ، وبعضه الى الجلد ليكون عرقاً وبعضه الى الغدد ليكون رشيقاً ولعاباً ، ومن لطف الحكيم المبدع ان قدر هذا اللعاب المترشح على قدر الحاجة لاناقصاً قليلاً فيحدث فى الفم والحلقوم وسائر المجاري جفافاً أو التهاباً ، ولا زائداً فيحدث بعض الأمراض الرطوبية .

وهذه مقدمة ذكرناها ، لتعرف ان الطفل لما كان رطب الاضواء بين الاطراف عند ولادته . لزم أن يكون غذائه مناسباً لاجزائه رقيقاً في قوامه بزيادة مائيته ، فإذ تغذى الطفل ، وجب فصل تلك المائيه فتذهب الى اللدد لتخرجها الى الخارج فنراه يبول كثيراً وبسبب من فيه ريقاً كثيراً مستمراً ، وإذا لم تسلك هذه المائيه التي سماها الامام (ع) « بالرضوية » وبقيت في البدن ، رجعت الى نفس الدم واختلطت معه او انها تبقى في العضو تحتلطه مع غذائه ، وإذا استمر ذلك استرخى العضو . وهذا بلا ريب يحدث في بدن الطفل امراضاً عظيمة واحداثاً جسميه لا يستهان بها مثل البله والجنون والتخليط ومثل الفالج الذي يبطل فيه الحس والحركة ومثل اللقوة التي يعوج فيها الشق الى احد جانبي العنق وادخالها . لكنها اذا سالت جفت الاضواء واخذ البدن بالنمو الطرد واكتسب اللقوة والنشاط .

ولأجل هذه المصالح للانسان ، اقتضت الحكمة الالهيه سيلان الريق من فم الأطفال في صغرهم لكسب الصحه والقوة في كبرهم . فتأمل . ففكرآ . وانظر معتبراً كيف تلتطف الصانع على خلقه بما جهلوه من مصالح انفسهم ، وكيف نظر اليهم نظر راقه ورحمه فتفضل عليهم بمنح ما لم يعرفوه .

فما اجمل هؤلاء الماصين العاقلين ، وما اعق المذنبين المعاندين . وما اتمس حظ التمادين في طفولتهم وعنومهم . فلعمرى لو كانوا عرفوا ما أنعم الله تعالى به عليهم لشغلهم ذلك عن التماذي في معصيته . ولو ادركوا بعض نعمه وآياته التي اسبغها على المستحقين وغير المستحقين من عباده لما مالوا الى نسبة خلقه الى الهال والأهال ولما ابطوا حكمة في خلقه ، وابداعه في صنعه . فتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

## آلات الجماع في الذكر والانثى

قال عليه السلام : انظر الان يا مفضل ، كيف جعلت الات الجماع في الذكر والانثى جميعاً ، علي ما يشاكل ذلك عليه ، فجعل للذكر آلة ناشرة تمتد حتى تصل النطفة الى الرحم اذ كان محتاجاً الى ان يقذف ماءه في غيره

من السنن الطبيعية الجارية في الأحياء لإجهاد النسل وانهاء النوع هي اتصال الجنين الذكر والانثى باجراء عملية خاصة تسمى (الجماع) . وهذه العملية محتاج في تنفيذها الى عضوين اساسيين هما (ولاحياء في العلم) القضيب في الرجل والرحم في المرأة . فاذا اتصل العضوان بتلك العملية حصل الإفراج للنتج للنسل والابق للنوع ولتوضيح ذلك يلزم معرفة نفس العضوين وكيفية عملها . لتتضح كيفية العلق والمقاح المقصود من تلك العملية الجنسية . فنقول :

أما القضيب فهو عضو اسطواني الشكل مجوف في جميع طوله اسفنجي الجسم شديد الاحساس بتركب من ثلاثة اقسام :

( ١ ) الحشفة وهي على هيئة تاج في طرفه الامامي مغطاة بجلدة تسمى ( القلفة ) ومفصولة بقديم من اسفلها . وهي مركز معظم الة التناسلية ومحل الاحساس الجنسي ( ٢ ) الأكليل . ويبتدي من عنق المثانة الى رأس الحشفة

( ٣ ) الاجسام الكهفية وهي عبارة عن نسيج رقيق مشبك مع بعضه ، تتخلل شبكاته ضفائر من اوعية دهوية كثيرة التمدد . وهذا العضو هو الآلة الناشرة التي تمتد حتى توصل النطفة الى الرحم بانتصابها ونموذجها وتقذف الماء فيه ، كما ذكر الامام (ع) والراد بالانقلاب والنموذج هو توارد الدم دفعة واحدة الى تلك الضفائر الوريدية

وخلق للانثى وعاء قمر أليشتمل على المائين جميعاً ويحتمل الولد ، ويتسع له  
ويصونه حتى يستحكم ، أليس ذلك من تدير حكيم لطيف سبحانه عما  
يشركون .

التخللة كهوف القضيب عند ثوران الشهوة الجنسية ، فانها اذا امتلات بذلك الدم  
الموارد دفعة ، توترت الكهوف وبذلك التوثر تنهيج الاعصاب التناسلية الحساسة  
وتتوتر ايضا ، فيحصل الانتصاب .

ومما يزيد هذا الانتصاب في الآلة ، وبساعد على شدة التوثر فيها ، هو وجود  
عضلات عصبية عند قاعدة القضيب . فانها تمتدحج أعصابها بهيجان الشهوة : فنقوي  
النشر وتصاب الانتصاب .

والمراد بالنطفة هي ذلك المني المقذوف من آلة الرجل بانتصابه ، وماؤه الذي  
يوصله الى الرحم ، والمني سائل ابيض اللون غليظ القوام ذو رائحة خاصة تشبه رائحة  
طلع النخل ، ومصدره الخصيتان . ويتكون من مواد ثلاث .

( ١ ) المادة السائلة أو المائية .

( ٢ ) المادة الدموية المعروفة في الطب ( بالحبيبات المنوية ) .

( ٣ ) الحويصلات المنوية التي لا ترى بالعين المجردة ولكنها ترى بالمهر (الميكروسكوب)  
على هيئة خيوط مستطيلة . مؤلفه من طرف مسطح بيضي الشكل هو جسم الحويص  
وخيوط طويل رقيق متصل به هو ذنبه . وهذه الحويصلات هي العامل الوحيد في القحاح  
وبنفذها يكون العقم .

أما الرحم ( الوعاء القمر ) في الانثى ، فهو عضو مركب من فتحة عمودية في  
طرفه الخارجي تسمى ( الفرج ) محاطة هذه الفتحة بشفتين كبيرتين ، تليها شفرتان  
صغيرتان ، وبينهما ( البظر ) الذي هو محط الشهوة النسائية ، بمنزلة ذكر الرجل في

المرأة . ثم بعدها مدخل المهبل ثم نفس المهبل ثم عنق الرحم ثم نفس جسم الرحم الذي هو كيس عضلي بشكل الكثري ، واقع بين الماء المستقيم من الخلف والثانة من الامام في التجويف الحوضي ، ومبطان بنشاء مخاطي مميك ، مؤلف من الياف عضلية قوية مرنة قابلة لتمدد والانكماش ، وذلك لغرض ان يتسع مدة الحمل على قدر حجم الجنين وليتمكن من حمل الجنين وصيانته في جميع ادواره من الآفات والمزيجات والطوارئ حتى يكمل خلقه . ثم ليتقلص عند الوضع ليدفع الجنين مع محتوياته الى الخارج وهذا الرحم يوجد على جانبيه البيضان اللذان هما عبارة عن مجموعة حويصلات وظيفتها صنع البويضات النوية في الاثني المصطلح عليها ( ماء الاثني ) وهي التي تندفع الى داخل الرحم لتلقح فيه عند ما يصادفها الحويبر النوي من الرجل .

وهذه البويضة عبارة عن المادة المسماة ( بروتوبلازما ) الكروية الشكل ، مظافة بنشاء شفاف حاروي لاسائل وفي وسطه كريات وحبيبات عاتمة فيه ومن جملتها الجرثومة القابلة للتلقيح . إذاً فيكون هذان البيضان في الاثني بمنزلة الحصيدتين في الذكر . وهذه العملية الجنسية ( الجماع ) التي يقصد منها ايجاد النسل أو أحقاد الشهوة الجنسية أو كليهما ، تمر بادوار ستة ( ١ ) التهييج الجنسي والأناط ( ٢ ) الايلاج ( ٣ ) وصول الشهوة الى القمة ( ٤ ) القذف ( ٥ ) الاحساسات الهذبة ( ٦ ) هبوط الشهوة وبه تكمل العملية .

ومن عجيب الحلقة ، ان تكون الحياة كلها لدى الجماع كأنها مجتمعة في الجهاز التناسلي حيث تبلغ جميع الوظائف العضوية اشدها في اثناؤه ، فترى الدورة الدموية تسرع في الدوران ، ويخضل أديم الجلد ، ويتقطع النفس ، وتتهيج الغدد العصبية ، وتبلغ حاسة اللمس اقصى درجة شعورها ، وتنقبض جميع العضلات السفلية ، وتمتاز الاعصاب متشنجة متوترة . وفي وسط هذا الهياج العام ، يحصل القذف النوي ، فيهب كل ذلك الهياج ، ويسكن ذلك الاختلاج العام بعد قليل ، ويذهب الانتصاب



فيعود كل شيء الى نصابه وراحته الاصلية . فسبحان المدير الحكيم .

فاظنر ونأمل بمد معرفتك لهذه المقدمة ثم فكر واعتبر . ألم يجب لطفه الرجل ان تودع في رحم المرأة ليحصل الافراح ؟ ألم يحتاج ذلك الى القذف ؟ ألم يحتاج . هذا القذف الى آلة توصله الى قعر ذلك الوعاء الحافظ له ؟ ألم يلزم لهذه الآلة أن تكون ناشرة منتصبة لتبايع المحل المقصود ؟ ثم ألم يجب أن يكون هذا المحل مقعراً ليشتمل على ماء الرجل وماء الانثى ليتم الافراح ويتكون الجنين ثم يمان ويحفظ حتى يكمل خلقه ويستحكم جسمه ليكون قابلاً لمواجهة الحياة خارج الرحم ؟

ليس كل ذلك يحتاج الى تدبير وتقدير وابداع . من خالق حكيم لطيف عالم قادر ؟ ليجعل كلا من الأعضاء في محالها مما يشاكلها ويحتاج لها .

ثم تصور وتعقل بمد ذلك كله ان كل هذا الاتقان في الحكمة والتدبير البديع في الخلق . هل يصدر عن اهل او مصادفة اللهم كلا ثم كلا اذ ليس ذلك مما يقبله كل عاقل . وبستهيفه كل وجدان فسبحان المنشيء الحكيم .

## الحكمة في خلق اعضاء البدن

قال عليه السلام : فكر بامفضل في اعضاء البدن اجمع ، وتديبر كل منها للارب ، فاليدان للعلاج والرجلان للسعي ، والعيان للاهتداء ، والغم للاغتذاء ، والمعدة للهضم ، والكبد للتخليص ، والنافذ لتنفيذ الفضول ،

لما ذكر الامام ( ع ) ما في اعضاء التناسل من حكمة وتديبر في إيجاد النسل وبقائه النوع ، اراد ذكر حكم خلق سائر الاعضاء ومانعها فقال ( ع ) : فكر بامفضل في اعضاء البدن اجمع وتديبر كل منها للارب فاليدان للعلاج ، والمراد بالعلاج هنا هو معالجه لوزم الحياة والعمل لها من حمل ونقل ولقط وكتابة وخياطة وطهي ورفع ووضع وجنب ودفع وقبض وبسط ، وما الى ذلك من ضروريات الحياة في بقاء الجسم وصحته مما لا يتم الا باليدين .

والرجلان للسعي : كالسعي للحوامج من كسب وصناعة وطلب غايات بميسرة أو قربة أو هرب من مخوف أو عدو أو غيرها من الاعمال التي تحتاج الى السعي والمشي والحركة بها .

والعيان للاهتداء ، نحو الطريق أو احفظ النفس من السقوط في هوة أو اتقاء عدو أو مجابهة صدمة أو للتمتع بمنظر أو تمييز لون أو شكل أو لرؤية نافع للاقبال عليه أو ضار للابتعاد عنه أو للاهتداء الى قراءة أو كتابة أو تعلم أو تعليم أو كسب صناعة أو سائر الاعمال الحيويه . بل وكلاما يمكن الاستفادة منه الا بالبصر وادراك العين .

والغم للاغتذاء وهذا واضح لا يحتاج الى بيان فان الغذاء ضروري من ضروريات الحياة بدنا وروحنا ، بل هو قوام وجود الانسان وركن حياته ، ولا طريق لايصاله الى

والاوعية لحملها ، والفرج لاقامة النسل ، وكذلك جميع الاعضاء اذا تأملت  
وأعملت ففكرك فيها ونظرك ، وجدت كل شيء منها قد قدر على صواب  
وحكمة .

اعضاء البدن الافتحة الفم ، فانه الباب الوحيد للأكل والمشروب ، ولولاه لحل  
البدن وساخت قواه ، حتى يصبح غير صالح لاي عمل من الاعمال . وقد يموت لجوعه  
والعدة للمهضم وهذا أي المهضم ايضا من ضروريات البقاء إذ لو لم يهضم الغذاء  
الداخل من الفم الى المعدة ولو لم يكن للانسان معدة اكان الغذاء كلا عليه لا ينتفع  
به ، وفضلة لاتصلح ان تحمل محل ما محلل من الجسم ، واذا دام هذا انتهى بالموت .  
والكبد للتخليص والمراد بالتخليص هنا هو تخليص البدن من المواد السامة  
المضرة التي يحملها الدم مختلطة به من الاعضاء اثناء سيره في العروق ، فانه يدفعها الى  
الكبد مع ما يدفعه من المائية الزائدة . ومن ثم تقوم الكبد بوظيفتها من دفع تلك  
الفضلات السامة عن طريق الكلى والثانة . أما كيف يستخرج الدم تلك المواد السامة  
الضارة : وما هي تلك المواد ، فذلك مما سنذكره في بيان وظائف الدم .

والنافذ لتنفيذ الفضول ، والاوعية لحملها . والمراد بالفضول هي الفضلات التي  
لا حاجة للبدن بها بل ان يقاءها فيه مضرة . مثل البراز الذي هو فضلة كيموس المعدة  
فانه يخرج عن طريق المستقيم . وكالبول الذي هو فضلة مائية الدم ويخرج عن طريق  
الكلى والثانة . كالعرق الذي هو فضلة سائر الاعضاء الداخلية ويخرج عن طريق مسام  
الجلد والشعر . كالنخام والبصاق اللذان هما فضلة رشح الدماغ وبهض الغدد ويخرجان  
عن طريق الانف والهم . أما الاوعية التي تحمل الفضلات فهي كما عرفت تلك هي  
الاعضاء المذكورة التي تدفع الفضول .

والفرج لاقامة النسل ، وقد تقدم ببيان ذلك مفصلا في الفصل السابق ، ثم

يقول (ع) : وكذلك جميع الاعضاء الخ اي ان الخالق الحكيم قد خلق كل عضو لضرورة من ضرورات الحياة الجسمية . وجعل كل ضرورة منها منوطة بعضو هو مؤديها ، وقدر كل شيء في موضعه من حكمة وصواب . فاذا تأملتها يامفضل هل إذا تأملها كل ذي شعور منصف . لم يجد بدأ من التمديق والاعتراف باحكام الصنع ، والخضوع امام ابداع الخلق ونظام التدبير ، وإن كل شيء وضع في محله المناسب له . فسبحانه سبحانه .

## زعم الطبيعيين في الخلقه وجوابهم

قال المفضل : فقلت يامولاي ان قوما يزعمون ان هذا من فعل الطبيعة فقال (ع) سلم عن هذه الطبيعة اهمي شيء له علم وقدرة على مثل هذه

بمد ما عرف المفضل ما املاه عليه الامام (ع) من بديع الخلقه وعظيم الحكمة أراد أن يعرف كيف يرد زعم هؤلاء اللحدنين امثال ابن ابي العوجاء وعصابتهم . ليتدرج بالحجة القوية وبصد مغرياتهم بالدليل . وبدحض باطلهم بالحق فقال : يامولاي ان قوما يزعمون ان هذا الذي ذكرته كانه من فعل الطبيعة ولا يدل على وجود صانع بصنعها أو خالق بوجودها . فقال له الامام (ع) : إذا قالوا ذلك فسلم ان هذه الطبيعة التي تنسبون لها كل هذا الابداع هل هي عالم بما خلقت قادرة عليه أم لا ؟ فان قالوا نعم فقد انبتوا الخالق وهم لا بشعرون . واعترفوا بما انكروا وهم لا يفهمون لأنهم اقرؤا بعلم الطبيعة وقدرتها . وماصفتان من صفات الخالق الحقيقي غير انهم سموه طبيعة . والمؤمنون سموه (الله) .

وإن زعموا ان لا علم لها ولا قصد في خلقها مع نسبة هذه الافعال الحكيمة اليها

الافعال أم ليست كذلك ؟ فان أوجبوا لها العلم والقدرة فإيهم من اثبات الخالق فان هذه صنفته ، وان زعموا انها تفعل هذه الافعال بعير علم ولا عمد وكان في افعالها ما قد تراه من الصواب والحكمة ، علم ان هذا الفعل للخالق الحكيم ، فان الذي سموه طبيعة ، هو سننه في خلقه الجارية على ما اجراها

---

فقد ردوا على انفسهم بانفسهم ، ذلك لأن كل ذي شعور لا يستطيع ان يتصور صدور الشيء النظم المتقن الذي لا يختلف نظامه في جميع ادوار سيره وعلى ممر الدهور ، عن مصادفة واحمال . وبدون قصد و اراده عن عالم قادر معلوم .

إذا فان العقل والوجدان ليسكان بالضرورة على ان مثل هذه الافعال لا تصدر الا عن خالق قادر عالم ومبدع حكيم .

أما ما يزعمه هؤلاء الطبيعيون وأمثالهم مما يسوونه طبيعة فليس الا سنة ذلك الخالق في خلقه ، ونظامه الذي اجراه في صنفته : ولكنهم لجهلهم محسبون ان ذلك مستند الى الصدفة والاحمال ، ولو أدركوا لما حادوا عن الصواب . ولأجل الايضاح نذكر لك مختصراً ما قاله المنصور له الحجة الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء في كتابه ( الآيات البينات ) حيث يقول :

انه مما لا ريب فيه عند كل ذي شعور ، ان المدرك الحساس العالم الحي ، اشرف واكمل وانم وافضل من الجماد الموات الذي لا حس له ولا شعور ولا عقل ولا ادراك . وحينئذ نقول ان الطبيعة أو المادة . هي شاعرة مدركة ذات حياة وحس وعلم و ارادة وتدبير وحكمة أم لا ؟ فان قلتم نعم فقد تشيع شطركم ، وهان الامر بيننا وبينكم ، ولم يبق من الخلاف الا البسير . فان القول على سخافته وشاعته يقال فيه : ان هذا الذي له علم وقدرة . لا خبر في ان سميتوه ( طبيعة ) وفي الحقيقة هو هو الخالق

الحكيم الذي يقول به الموحدون ، ولكنكم قوم لاتعقلون ، وان قلتم لا ، بل هي صماء بكاء صميا . لاحس لهاولا حياة ولاهلم ولا ارادة ، ولكننا مع ذلك منشأ كافة الكائنات واصل جميع الموجودات وحينئذ نتوجه بالسؤال اليكم ونقول : ان هذه الحياة في الكائنات الحية من الحيوان بجميع انواعه . وهذا العلم والافكار المدعشة في الانسان : من اين جاءت ؟ ومن اوجدها فيه ؟ فان قلتم بان موجدها هو تلك الطبيعة أو المادة الصماء البكاء الغافدة للحس والشعور والحياة والارادة ، لزمكم القول بان الناقص صار مكمل وان الفائد للشيء معطيه ، والجاد للموات واهباً للحياة . فهل المجانين والمتوهين يقبلون هذا القول ؟ وكيف تعقلون انتم ( وعلى عقولكم المعنا ) انها تعلم وتعطي مالم تجد وتهب مالا تعلمك ، اذن فانتهم مجبورون بحكم العقل والحس والوجدان ان تصترفوا بان هذا الفعل هو الخالق الحكيم فقط . فانه جل وعلا هو واهب الحياة وفاطر الارضين والسموات . ومبدع الكائنات . والخالق الذي هو علم كله ، بل هو كل العلم والحياة والقدرة من غير تمدد ولا تركيب ولا مضاربة جهة لجهة ، ولا مخالفة كمال لكمال بل هو عالم بما هو سميج ، وسميع بما هو بصير . وقادر بما هو عالم وعالم بما هو حكيم . لا إله إلا هو .

وللايضاح أيضا نقتطف بمض كلام للاستاذ محمد فريد وجدي في كتابه المسمى ( على اطلال المذهب المادي ) في الرد على الماديين والطيبين فنقول :

يقول الماديون والطيبون ، ان كل ما في هذا الكون من نظام وابداع ، أوجدهته الفواعل الوجودية والعوامل الطبيعية . وكلما تراء فيها من الالهام والحيل المحافظة لوجودها والامضاء الواقية لها فاعما هو آثار الضرورة الطبيعية والحاجة الفطرية وليس هذا لأن خالقاً صد ذلك بها ، ولكن الضرورة تقضي أن يكون على تلك الحالة والا تلاشت . ويقول وجدي ايضا . ليت شمري ما هي تلك الضرورة التي تهب لكل محتاج حاجته ، وتلهم كل حي ما به حياته وبقائه . أي عاقلة مدركة أم هي

بسماء بكاء صاه ؟ أم هي كلمة فارغة ؟ أم الهية مدركة تقصد حمارية الكون وبقائه ، فان كان كل هذا لا يبدل على القصد ، ولا يشمر بأرادة عامه في الكون بل هو مجرد الضرورة والحاجة . فهل الضرورة هي التي أرادت بقاء الأنواع فخلقت الذكر والانثى وجملت في كل جنس ميلا فطريا الى الآخر ، وخلقت أحدهما للجرائم المنتجة والآخر وعاء لها يحملها في أحشائه ويفذوها بدمه حتى تستوفي حياتها الجنينية ثم أعدت لها اثناء نمدها بالغذاء الخاص حتى تشب وتنهرح . واودعت صدر الأبوين من الرحمة ما يضطرهما الى تربية صغارهما ، واعداها بالحياة وهل الضرورة هي التي ادركت أن دوام النوع لا يكون الا باليجاد انثى بجانب الذكر تشابهه في التركيب الظاهري ، ومخالفة في التركيب الباطني . فاعدت لكل منهما الأعضاء اللازمة للتوليد ثم ادركت ان تفارجهما لا يمكن أن يكون بمجرد عاطفة حفظ النوع ، بل لابد من وسيلة تجعل اتصالهما اسراً محميا عليها . فخلقت لكل منهما لذة في ذلك الاتصال ، ليكون واقعا لاجالة مها اعترضها من العوائير فاخذ أحدهما ينجذب الى الآخر طلبا لتلك اللذة . وتوفية لتلك الحاجة ، ايتم التلقيح وان لم يريدها ولم يسمها اليه . . .

اللهم ان آثار القصد في هذا الأمر من اظهر ما يكون . فان كانت الضرورة الطبيعية هي التي فعلت ذلك ، فهي ضرورة عاقلة مدركة مدبرة حكيمة صاعدة لبقاء الأنواع . تستحق أن تعبد ، وان يتأمل في آثار رحمتها وسمة سلطانها ، ويتعجب من شمولها واحاطة قدرتها . كما ويجب أن يمتدح بان كل هذه المبدعات العجيبة وجميع هانئك المتقنات الحكيمة . مقادة بنظام دقيق يذبي . عن قصد حكيم وتدير سديدهم وقدره . وإذا كان الأمر كذلك فلماذا تنسبون هذا الناموس المظلم الملازم للمادة والطبيعه على رأيكم الى المدم الصرف ، ولا ينسبونه الى العقل المدير والخالق الحكيم

## جهاز الدورة الهضمية والدورة الدموية

قال عليه السلام : فكر بامفضل في وصول الغذاء الى البدن وما فيه من التدبير ، فان الطعام ليصير الى المدة فتطبخه وتبعث صفوه الى الكبد

ذكر الامام عليه السلام : في هذا الفصل جهازين مهمين من اجهزة البدن وهما :  
جهاز الدورة الهضمية وجهاز الدورة الدموية بصارة وجيزة جمع فيها خلاصة القول  
نفس الاطباء ومهرة المشرحين وما اتفق عليه القدماء والمحدثون وسنذكر المك عند  
بيان الدورة الدموية ان الامام ( ع ) كان بحق هو المكتشف الاول لمعرفة الدورة  
الدموية قبل اكتشافها اليوم بثلاثة عشر قرنا واليك تفصيل ذلك الجهازين :  
أما الدورة الهضمية فيحتاج بيانها الى معرفة الغذاء وذكر اعضاء الهضم . أما  
الغذاء فهو تلك المواد الخارجة عن الجسم المحتاج اليها الانسان والحيوان في تصير  
جسمه وترميم بنيت بصيرورته بدل ما يتحلل منه مع تأمين حرارته باحراقه داخل  
الانسجة . أما حاجة الانسان والحيوان اليه فهي عند ما يحس بالجوع أو العطش  
وعلى الاغلب تقسم الى نشائية وسكرية وشحمية ومعدينية وزلائية، فقد تكون حاوية  
لاحدها أو لأثنين منها أو ثلاثة أو أكثر .

أما اعضاء الهضم فهي : الفم والاسنان والغدد اللعابية والحلقوم والمريء والمعدة  
والغدد اللعابية المعدية والبنكرياس والمرارة وعروق الاسباب الموصلة بين الكبد والمعدة  
أما عملية الهضم فهي بمجالات تكمل بمهملين مهمين أحدهما طبيعي والآخر كيميائي  
أما الطبيعي فهو عبارة عن تقطيع الغذاء بالاسنان وطحنه بالأضراس والطواحن ثم



في عروق دقاق واشجة بينما قد جعلت كالمصفي للغذاء لكيلا يصل الى الكبد منه شيء فينكأها ، وذلك ان الكبد رقيقة لا تحمل العنف ، ثم

تقلبه باللسان لمزجه بالمعاب ثم سوقه الى المعدة ثم الى الاعضاء ثم امتصاص الكبد خلاصته ثم اخراج فضلاته الى الخارج .

أما العمل الكيماوي فهو عبارة عن اذابة المواد الغذائية وتجزئتها وجعلها صالحة ومستعدة للامتصاص ثم استحالتها دماً نافصاً مغذياً للاعضاء . وتفصيل ذلك : ان الغذاء اذا دخل الى الفم يادرت الاسنان الى تقطيعه وطحنه . ثم يمضغ بتحرك الفك الاسفل فقط ، أما الفك الاعلى فانه يبقى ثابتاً لا يتحرك . ثم يقبله اللسان ويساعد الفك الحذ والشفتان بتحركهما على مضغ الغذاء . وفي اثناء هذا المضغ ينصب اللعاب من الغدد اللعابية في الفم على الكتلة الغذائية ليمتزج بها ويحبل للواد الناشئة الموجودة فيها الى مواد سكرية بما فيه من المادة السامة ( تايلين ) لذلك ترى القملة اذا مضغت جيداً حصل فيها طعم حلو محسوس . وهنا تستعد القملة للازدرداد . فتجتمع على اللسان بعد أن يتقعر هو لها ويكون كالميزاب ثم يرتفع رأسه القدامى وينطبق على القملة ويضبط عليها ليسوقها نحو البلعوم تدريجاً . أما الباعوم فيرتفع في اثناء هذه العملية ليلتقي بالقملة المنحدرة اليه . فاذا وردت اليه ، تقلص من فوقه الى اسفله فيدحرجها الى المري . وفي زمن انحدار القملة من الفم الى البلعوم الى المري . تسد الفتحات الخلفية بشراع الهباء والحلك . وتسد الفتحة العلوية بالحنجرة بلسان الزمار لكيلا يدخل شيء من الطعام الى قصبة الرقة . ثم عند وصول القملة الى المري . يتخاص هو ايضا كتقلص البلعوم من فوق الى اسفل . ليدحرج القملة الى المعدة . وهذه العملية كلها تسمى ( الازرداد ) وعند ما تصل الى المعدة تفرز عليها بعد مكوئها قليلا من الغذاء الموجودة داخل الفشاء المخاطي للمعدة المصارة العدية المحتوية على المادة الهاضمة السامة

ان الكبد تقبله فيستحيل بلطف التدبير دماً ، وتنقله الى البدن كله في مجار  
مهياة لذلك بمنزلة المجاري التي تهباً للماء يطرد في الارض كلها ، وينفذ ما يخرج  
منه من الخبث والفضول الى مناض قد اعدت لذلك ، فما كان منه من

---

(بدسين) لذئوب المواد الزلالية في تلك الكتلة الغذائية . وهنا ياخذ الغذاء شكلاً ذا كشافه  
وقوام معتدل ولون سنجابي يشبه لون الشوربا ويسمى ( كيموساً ) مهياً للهضم والامتصاص  
ثم ان هذا الكيموس إذا أكل هضمه في المعدة انحدر ماراً بالبواب الى المعاء  
الاثني عشري . وهنا تنصب عليه عصارتان من غدتين مهمتين هما عصارة الصفراء  
من المرارة ، وعصارة البنكرياس من غدة البنكرياس فتتحلل بها كل المواد الشحمية  
في ذلك الكيموس ، ثم تنحدر الكتلة الكيموسية الى الامعاء الدقاق فتخلط هناك  
بعصارة هاضمة اخرى تفرزها نفس الامعاء الدقاق من الأجرة المنتشرة تحت غشائها  
المخاطي . فيكمل هضمه ويصبح سائلاً ذا قوام ليني مالح قلوي يسمى ( كيلوس ) وبهذا  
يتم الهضم الثاني فيصبح مستمداً للامتصاص لكي يستحيل دماً يغذي الجسم كله .  
أما الامتصاص فكيفيته هي ان الغذاء بمد أن صار كيلوساً تمتص رقيقه تلك  
الزغابات المعوية المنتشرة في الغشاء المخاطي المعوي ، والتي تشبه جذور الاشجار  
النباتية المدلاة داخل بئر فيه ماء أو تشبه الاهداب الشعرية المنتظمة في جدر المعاء  
وإن في كل زغابة من تلك الزغابات قناة دقيقة جداً تمتد على طولها ويقال لها ( القناة  
الهبئية ) أو ( الوعاء الكيلوسي ) وهذه هي التي تمتص الكيلوس ، كما انه يوجد ايضا  
مع كل زغابة جنب القناة أوعية شعرية وريدية اخرى تحيط بها كصغيرة . فاذا امتصت  
تلك الزغابات الشعرية المعوية صافي الغذاء ، تدفعه خارج المعاء والمعدة الى الكبد  
ليصير هناك دماً صالحاً . ثم ان هذا الدفع الى الكبد يكون بطريقتين .

( أحدهما ) ان هذه الزغابات تدفعه الى الاوردة الشعرية الماسارية المعوية ،

جنس المرة الصفراء جرى الى المرارة ، وما كان من جنس السوداء جرى الى الطحال ، وما كان من البلة والرطوبة جرى الى المثانة .

ومنها الى وريد الباب ومنه الى الكبد ، وبعد دورانه في الكبد ، داخل أوعية شعرية فيها يستحيل دماً صالحاً للتغذية بلعاف التدبير . وهذه الاوردة المسارية المذكورة ، هي الفصودة بقول الامام (ع) « في عروق دقاق اشجة » أي مشبكة موصولة بين الامعاء والكبد ، وقد جعلت هذه العروق كالمصفي للغذاء بمعنى انها تصفي الرقيق منه عن الغليظ ثم تدفع هذا الرقيق الصافي الى الكبد فان الكبد رقيقة لا تحتل عنف الاجزاء الغليظة التي اذا وصلت اليها نكأتها أي جرحتها واثرت عليها . ويسمى هذا الطريق ( الطريق الوريدي ) .

أما الطريق الثاني المسمى « طريق الوعاء الكيلوسي » فهو ان العروق اللفافية الموجودة في المساريقا ، تمتص الاجزاء الشحمية من الكيلوس فقط . فتتم بها الى الوعاء اللفاوي الكبير المسمى « القناة الصدرية » والتي تنقب الحجاب الحاجز فتصعد الى الجوف الصدري على طول العمود الفقري ، ثم تنصب في الوريد تحت الترقوة الایسر ، الذي ينصب الى الوريد الاجوف العلوي : وهذا يصب في الاذين الايمن من القلب ومن هنا يخرج بالدورة الدموية المذكورة قبلا .

أما الاجزاء الغليظة التي بقيت في الامعاء بعد الامتصاص المذكور فان الامعاء تدفعها الى امعاء المستقيم بعملية الالتواءات المعوية فتبرز من المستقيم الى الخارج وهذا هو آخر الدورة الهضمية .

أما الدورة الدموية : : التي أشار اليها الامام (ع) بقوله ( وينفذ الى البدن كله في مجار مهينة لذلك بمنزلة المجري التي للماء ايترد في الارض كلها ) فهي تلك الحركة الدورانية لدم في العروق لتوزيع الدم على جميع اجزاء البدن ، ولتقل الفضلات المتبقية

من عمليات التحويل الغذائي ودفع خبثها الى الخارج تخلصا من أضرارها .

ولمنه العملية المهمة جهاز عظيم يشتمل على أربعة اعضاء مهمة ، وهي القلب مركز الدوران واصله ، والشرايين ، والاوردة ، والاعوية الشعرية .

أما كيفية الدورة الدموية فهي : ان هذا الصافي الرقيق من الغذاء الذي تمتصه العروق المساربقا من الامعاء الدقاق ، إذا دخل الكبد ، وانتشر في عروقها الشعرية نضج ورقى واطف حتى يصبر سائلا معتدل القوام ساخنا فيسمى (دما) فاذا بلغ ذلك دفعته الكبد الى القلب عن طريق الاجوف الصاعد، كما ان الدم الذي كان ممتصا بواسطة الاعوية المغاوية الى القناة الصدرية ( كما تقدم ) يأتي الى القلب ايضا عن طريق الوريد الاجوف النازل. وهذان الوريدان الاجوفان الصاعدون النازلان يصبان مافيهما من الدم في الأذنين الأيمن من القلب : فاذا امتلأ هذا الأذين بالدم ، انقبض ليُدفع مافيه الى البطين الأيمن من القلب : ماراً من الصمام الثلاثي الذي هو كالبوابة بينها وعندئذ ينقبض هذا البطين الأيمن : ليدفع مافيه الى الشريان الوريدي الذي يوصله الى الرئتين فاذا تم دفع الشريان دمه الى الرئتين : سدت صمامته لكي لا يرجع الدم منها اليه قبل ان يتصفى مواده الكربونية وتطهره بالأكسجين المحاصل له من تنفس الرئتين ثم يعود الدم عن طريق الاوردة الرئوية الى الاذنين الأيسر من القلب ، وهذا بدوره يدفعه الى البطين الأيسر ماراً بالصمام التناهي الذي هو كالبوابة بين الاذنين والبطين الأيسر ، فينقبض البطين الأيسر فيندفع الدم الى الوريد الاورطي الذي تتوزع منه الى جميع الشرايين الصغار المنبثقة في أنحاء الجسم ليغذي الاعضاء بما يترشح من الاعوية الشعرية المنتجة بها تلك الشرايين على كل عضو من اعضاء البدن ثم يرجع هذا الدم بعد تغذيته للاعضاء واعطائه الحرارة الفريزية اللازمة ، واخذة المواد المضارة الى القلب عن طريق الاجوفين الصاعد والنازل كما تقدم ، وهكذا تمود الدورة من القلب الى الرئتين ثم الى الأعضاء ثم منها الى القلب وهم جرا .

وقد قسموا الدورة الدموية الى دورتين ( الاولى ) الصفري أو الدورة الرموية  
وهي عبارة عن دوران الدم من القلب في عروق الرئتين الى عودته الى القلب (والثانية)  
الدورة الكبرى التي هي عبارة عن دورانه من القلب في جميع شرايين الجسم ثم هودته  
اليه فالدورة الصفري هي لتصفية الدم في الرئتين من المواد الكربونية ولجذب الاكسجين  
من الهواء المستنشق . والدورة الكبرى لتغذية وأخذ المواد الكربونية من الاعضاء  
واعطائها الحرارة اللازمة .

أما قول الامام (ع) 'وبنفذ ما يخرج منه من الخبث والفضول الى مفانض قد  
اعدت لذلك ، فالمراد بالخبث هنا هو المواد الكربونية . وبالفضول المنفذة الى المعانض  
هي المرة الصفراء التي تجري الى المرارة ، والمرة السوداء التي تجري الى الطحال والبلبة  
أو الرطوبة أي المائية المترسعة من الدم الى المشافة ، وسيأتي بيان ذلك في محاله .  
هذا وقد أشرنا في كتابنا ( طب الامام الصادق (ع) ) ص ٣٠ الى أن الاستاذ  
الطبيب الدكتور ( هارفي ) المعروف اليوم ( بمكتشف الدورة الدموية ) لم يكن يأتي  
بشيء جديد ، وليس في ما اكتشفه وافتخر به الأعبالا على أقوال الامام (ع) قبل  
عدة قرون فراجعهم ان اردت التفصيل .

## التدبير في حكمة تركيب البدن

قال عليه السلام: فتأمل حكمة التدبير في تركيب البدن، ووضع هذه الاعضاء منه مواضعها، واعداد هذه الاوعية فيه لتحمل تلك الفضول،

بعد ما بين الامام (ع) ذلك النظام والابداع في تدبير عمل ذنبك الجهازين المهمين الهضمي والدسموي أراد أن يوفقنا من غفلته، وبفهم الجاهل ما في هذا التدبير من الحكمة وما في تلك الاعضاء والاوعية في تركيب البدن من الاتقان والاحكام، وانه تعالى كيف وضعها في محلها، واعد الاوعية لحل الفضول الصارة بها أما الاعضاء المقصودة هنا فهي: الفم والبلعوم والمرى، والمعدة والمعاء الغلاظ والماء الدقاق وعروق المساريقا والكبد وكلها من الجهاز الهضمي. ثم القلب والشرايين والاوردة والعروق الشعرية من الجهاز الدوري، وسيأتي تشریح كل منهما مفصلا في محله من هذه الرسالة.

أما الأوعية التي اعدت لحل الفضول فهي: الحرارة والطحال والكلى والثانة. فالحرارة: هي كيس صغير غشائي بشكل الكنكري له عنق يتصل بحافة الكبد السفلى وهي مستودع فضلة المادة الصفراوية التي تفرزها الكبد زائدة على ما يختلط مع الدم المدفوع للقلب الى الحرارة بواسطة (القناة المرارية) وفي أسفل المرارة قناة اخرى تمتد حتى تثقب المعاء الاثني عشري وتدخل المعدة لترشح عليها من مادة الصفراء ما يساعدها على هضم المواد الشحمية التي في الغذاء.

والطحال: هي غدة كبيرة بيضية الشكل مستطيلة كقبضة اليد في حجمها واقعة بين الضلع التاسع والحادي عشر. فوق الكلية اليسرى تحت الحجاب الحاجز وتحتوي

ثلاثا تنتشر في البدن فتسقمه وتنهكه ، فقبارك من احسن التقدير واحم  
التدبير ، وله الحمد كما هو اهله ومستحقه .

على خيوط عضلية تنقبض وتنبسط ، وعلى أوعية دموية كثيرة ، ووظيفتها أن تجرى  
ليها الدم الحامل للكريات الحمر الضعيفة النهوكة والمواد الفاسدة والجراثيم السابحة في  
سائل الدم فهي تنزعهما منه وتنقيه منها ؛ وإذا تراكت فيها سميت ( السوداء ) وهذه  
المادة السوداء لا تخلو ايضا من فوائداخرى ؛ فنها انها تنصب تدريجاً الى المعدة من  
قناة صغيرة بينهما ، لتساعد على هضم المواد الغذائية من الطعام .

والكلية : جسم صلب لحي واقع جنب الحاصرة في مقدم الظهر من الجانبين في  
اسفل الضلعين الاخيرين ؛ ووظيفتها تصفية الدم من المائية الزائدة فيه ودفنها الى  
الثانة بواسطة مجرى المحالب بعد امتصاص غذائها من ذلك الدم المختلط .

والثانة : مستودع البول - كيس مجوف عصباني مؤلف من طبقتين ، وعلى فم  
هذا الكيس عضلة تضم الفم وتفتحها بالاختيار ليملك البول ولا يخرج بدون ارادة  
وإنما خلق عصبانياً - ليحس بامتلاء البول فيدفعه - ثم قدركب داخل الثانة من  
ثلاث لفايف مختلفة الأنحاء في وضعها - احدها ممتدة بالطول لجذب المائية من الكلية  
والثانية ممتدة بالعرض لدفع البول الى الخارج والثالثة ممتدة بالتوريب لاساكه الى  
أن يجتمع .

هذه هي الاوعية الحاملة لافضول ؛ وقد ذكر الامام ( ع ) حكمة خلقها ووظيفتها  
في دفع الضرر الذي يترتب على بقائها في الدم داخل البدن وذلك بقوله ( ع ) : ثلاثا  
تنتشر في البدن فتسقمه وتنهكه .

وهذا صريح في بيان ما اثبتته طب القرن العشرين من حدوث مرض التسمم  
البولي الذي يحصل من بقاء هذه المائية البولية مختلطة مع الدم أو من رجوعها من الثانة

الى الدم اذا منعت من الخروج : حيث تسممه بما فيها من المواد الضارة السامة . أو من حدوث مرض البرقان وامثاله الذي يحصل من عدم افراغ المرء الصفراء من الكبد الى المرارة وبقائها مع الدم . او من حدوث الامراض السوداوية الجلدية كالدامل والاكروما وامثالها عندما لم تترع تلك المواد السوداوية من الدم الى الطحال وتبقى فيه فان كل تلك الفضول إذا لم تدفع الى أوعيتها ، بقيت مختلطة مع الدم . ولذالك تنتشر مع الدم ، في جميع الاعضاء وتحت الجلد ، فتسقم البدن ، وأخيراً تنهك بالاسقام والآلام . فتبارك الله الذي احسن التدبير في الخلقه : وله الحمد على ما أولانا من نعمه الوافرة وآلانه الشاملة التي جعلها اساساً لسعادتنا في هذه الحياة حمداً كثيراً كما هو أهله وكما هو مستحقه .



## أول نشوء الأبدان تصوير الجنين في الرحم

قال المفضل فقلت : صف نشوء الأبدان وعموماً حالاً بعد حال حتى تبلغ النمام والكمال فقال عليه السلام : أول ذلك تصوير الجنين في الرحم

أما تصوير الجنين في الرحم فقد مر عليك مفصلاً في الفصول السابقة ، غير أنا نذكر لك هنا كيفية تدرجه في التكوين والطوار خلقته حتى يخرج خلقاً سوياً انساناً كاملاً فنقول عندما يفوز أحد الحويصلات النوية بتلقيح البيضة ، ويندمج مع نواة البيضة يشرع الجنين بالتكوين . حيث تتكون في داخل البويضة خلايا . ثم تتكاثر ثم ينقسم كل من هذه الخلايا الى قسمين ، يدفع قسم منها الى اطراف البيضة فيتكون غلافاً واغشية لحفظ الجنين . وقسم بقي في الداخل ليتصور منه الجنين ، وذلك ان هذه الخلايا المتركزة في الوسط تنمايز أولاً الى مجموعات مختلفة الوضع ثم تشرع كل مجموعة منها في تكوين اعضاء جهاز من اجهزة الجسم . واول ما يظهر من الاجهزة في بدء تكوين الجنين وذلك في الاسبوع الرابع من الحمل . هو نجمويقات الدماغ وفي الاسبوع الخامس تظهر نتوءات الاطراف . ثم يتحدد شكل الرأس وتظهر العينان كثنيتين صغيرين وفي الاسبوع السادس تتميز الرقبة . وفي الثامن تبدأ الخلايا التناسلية في اتخاذ هيئة الذكر أو الانثى . وفي الشهر الثالث يكبر الرأس ، وتبرز الشفتان ملتصقتين وتظهر الاجفان لمينين . وتبدو الفقرات اثلاث العليا من الظهر كما قال الله تعالى : وخلقنا المضة عظماً وفي الشهر الرابع يفتح الفم والانف وجميع فتحات الجسم وتبدو اعضاء التناسل بوضوح . ويتبين نوع الجنين أي بتمييز الذكر من الانثى ، ثم يتبدى الاظافر بالظهور مثل شعر الجلد، وتبين عظام الظهر تماماً في سلسلة الفقرات ، كما يبدو

حيث لا تراه عين ولا تتأله يد تدبره حتى يخرج سوياً مستوفياً جميع ما فيه قوامه وصلاحه من الاحشاء والجوارح والهوامل ، الى ما فيه تركيب

عظم السمع ، ثم يجتمع عليها اللحم وتشتد المفاصل بالاربطة والالياف والمضلات ، وهذا هو المراد بقوله تعالى : فكسونا العظام لحماً ، وفي الشهر الخامس تبدو المدة ويشرع عملها ، وتميز الأصابع والاطراف : وفي الشهر السادس تظهر الجوارح والاهداب وفي السابع تكمل عظام البدن ، وتزداد حركة الجنين . وفي الثامن تتكاثر المواد الشحمية تحت الجلد فيكون ناعماً صافياً . وفي الشهر التاسع يكمل النمو ويستعد الجنين للخروج بعد ان أصبح انساناً سوياً قادر أعلى احتمال ملاقاته الهواء الخارجى في الحياة فانظر وتأمل في هذه الاطوار من خلقه الجنين وتصويره العجيب ، ثم لاحظ هذه التقلبات في نمو مخلوق حبس بين اطباق الظلمات الثلاث ، وحجب عن كل احد بحيث لا عين تراه ، ولا يد تتأله ، كيف دبر في تكوينه . وتدرج في نظام خلقته الى ان ظهر له دنيا مستوفياً لجميع ما فيه قوامه . من الاحشاء الداخلية التي انضمت عليها الاضلاع . وحواء البطن في جوفه كالقلب والكبد والامعاء والرئة والسكلى والمثانة والطحال والمرارة ، وما يتبعها ، وجميع ما فيه صلاحه من الجوارح والعوامل كاليدين والرجلين والحواس الظاهرة والباطنة . كاملا في تركيب اعضاءه من عظام ولحم وشحم وعصب ودم وعروق وغضاريف وغيرها . فهل يمكن أن يكون حصول مثل ذلك على ما فيه من حسن التقدير وبداعة التدبير هملارون قصد من عالم مدبر حكيم . اللهم لا يقول به عاقل .

وهنا نرى من المناسب أن نذكر مجازاً من تشریح بعض تلك الاعضاء الاصلية  
فقول :

العظام : أجسام صلبة مكونة لهيكل الجسم المنقسم حوماً الى ثلاثة اقسام الرأس

أعضائه من العظام واللحم والشحم والعصب والمخ والمروق والعضاريف .  
فاذا خرج إلى العالم نراه كيف ينمو بجميع أعضائه وهو ثابت على شكل

والجذع والاطراف . ويكزن نسبها من املاح كلسية وفسفورية بمقدار عظيم . ومن  
مادة عضوية لزجة تشبه الجلوتين وتسمى ( هلام ) وجميعها مغطاة بطبقة كثيفة عظيمة  
لصد الصدمات ودعم العضلات . أما وسطها الباطني فانه يحتوي على طبقة اخرى  
وعالية فيها قنوات تمر منها الاوعية الدموية والأعصاب . كما يحتوي على مايع شفاف  
يؤدي النسيج العظمي ، ويساعد على النمو والالتئام عند ما يحدث فيها كسر أو صدع  
من خارج أو من مرض داخلي .

وعدد العظام في البدن ( ١٩٥ ) عظماً حسب تحقيق الشرحين : ففي العمود  
الفقري ( ٢٤ ) وعظام المجرز ( ١ ) والعصص ( ١ ) والجمجمة ( ٥ ) والوجه ( ١٤ )  
والعظام اللامي ( ١ ) والاضلاع مع عظام القوس ( ٢٥ ) والاطراف العليا للجانبين ( ٦٤ )  
والاطراف السفلى في الجانبين ( ٦٠ ) فيكون المجموع ( ١٩٥ ) عظماً .

اللحم المراد منه النسيج العضلي الذي يكسو العظام ويرتكز عليها . وهو أحمر اللون  
وابيضه . فالأحمر ما تكون اليافه مخططة وحركتها بالارادة ، والابيض ما تكون اليافه  
ملساء وحركتها ليست مرتبطة بارادة . بل متحركة بحكم الطبيعة البشرية . مثل عضلات  
الجهاز الهضمي والتنفسي والبولي . ويستثنى منها عضلات القلب التي لا تخضع لارادة  
وإن كانت مخططة . ومن خصائص اللحم الانقباض والانبساط لايجاد حركة البدن  
الشحم : وهو نسيج رخو دهني لين . يقع بين الخلايا والشبكات البدنية غالباً والحكمة  
في خلقته تأمين حرارة البدن باعتدال مناسب . واعطائه الشكل المناسب الخارجي  
ولصبرورته بدل ما يتحلل من البدن من حرارة أو غذاء عند حدوث مرض أو

وهيأة لا تتزايد ولا تنقص ، الى ان يبلغ أشده ان مد في عمره ، أو يستوفي  
مدته قبل ذلك . هل هذا الا من لطيف التدبير والحكمة .

تعب إذ لولاه لضعف الجسم من الجوع أو البرد أي فقدان الحرارة . ولذلك تراهم  
يطلقون على هذا النسيج الشحمي ( الكنز الثمين عند اللغات ) ومن فوائده اعطاه  
الزواء والجمال المناسب لهيكل الاعضاء إذ لولاه لكان للناس جميعهم خافتي الوجفات  
غالري العيون نحاف الابدان . فهو يملأ المسافات الفارغة ، والزوايا بين العظام  
والمضلات فيتوتر الجلد من فوقها . ومن هنا ترى وجوه المجازر والمسنين تتجمد  
وتتكش لفة الشحم تحت جلده وجوهم .

المصب : نسيج من حبيرات سنجابية اللون مع اليف بيضاء محاطة بغلاف رقيق  
وهي كخيوط بيضاء ممتدة في جميع أنحاء البدن . وهذه الالياف التي تتركب منها  
الاعصاب فسمان . إذ منها ما هي صادرة عن مركز عصبي ومنها ما هي واردة عليه ،  
فالواردة التي يسري فيها التيار الى المركز العصبي من أي جزء من اجزاء البدن تسمى  
( الحساسة ) . والصادرة التي يسري فيها التيار من المركز العصبي الى أي جزء من  
أجزاء البدن تسمى ( الحركة ) . إذ أ فوظيفة الاعصاب بجعلتها هي الادراك والحس  
مع الامر بالحركة والسكون ، وبإشارة أوضح . أن جميع الاجهزة العاملة في الجسم .  
وكافة الأنسجة الاخرى مطيعة . ومؤثرة لاوامر هذا النسيج العصبي العظيم ونواحيه  
فهو الحاكم المطلق والامر الوحيد في مملكة البدن الواسعة الارحاء .

المخ : هو المركز العصبي الأعلى ومحط العقل والادراك ومصدر جميع القوى  
الظاهرة والباطنة . ومدبر كل الاجهزة الحسية والحركة . وهذا المخ عبارة عن مادة  
بيضاء ، سنجابية بيضية الشكل . ملفوفة داخل عظام الجمجمة بثلاث لغائف حرصاً على

وقابتها من التماس والاصطدام ، بالجدران العظمية الصلبة التي تصبغها لتحميه من التأثيرات الخارجية وتلك الاغنايف ( الأضحية ) هي : غشاء الأم الرقيقة التي تلتف نفس المخ من الداخل وتحتوي عليه ، ثم الغشاء ( المنكبوتي ) ثم الغشاء الخارجي السبيك فوق الشائئين المتقدمين المسمى ( الام للصلبة ) .

المروق : هي نوعان « ١ » شرايين « ٢ » أوردة . فالشرايين هي التي تخرج من القلب وتحمل الدم الشرياني منه الى جميع الاعضاء ، والاوردة هي التي تخرج من جميع نقاط البدن وتأتي بالدم الوريدي منها الى القلب . وهما أي شرايين والاوردة يتكون كل منهما من طبقات ثلاث « ١ » الطبقة الداخلية المؤلفة من الياف مصلية منضمة « ٢ » الطبقة المتوسطة ونسبها عضلي أملس ، غير انها في الشرايين أمخنة واحمك ووظيفتها القبض والبسط لجذب الدم ودفعه « ٣ » الطبقة الفوقاوية وهي مكونة من نسيج صلب منضمة أيضا ووظيفتها محافظة الطبقتين اللتين تحتمها .

الغضاريف : وهي نسيج رخو لين بالنسبة للعظام : صلب بالنسبة لغيرها من الاعضاء ذات مطاطية كافية ومن اهم خواصها مساعدة الهيكل العظمي في حركته ومنع تصادم العظام واحتكاكها بعضها ببعض ، ثم تأمين ارتباطها مع بعضها . وهذه هي أهم الانسجة التي تتحرك منها الاعضاء .

فانظر كيف كونت حسب اقتضاء الحاجة البدنية اليها . من استقامة قوامها واجراء وظائفها في مصالحها ، على ما يجب من الحكمة والتقدير والصواب ، إذا عرفت هذه المقدمة فاعلم ان هذا الجنين إذا خرج الى عالم الوجود خلفاً سوا مستوفياً لجميع الاعضاء والاحشاء والجوارح والعوامل اللازمة لحياته وقوامه . اخذ بالنمو التدريجي تواءم متناسباً في كل عضون اعضاءه ليعملها مع المحافظة على الصورة والهيئة دون نقص أو زيادة حتى يبلغ اشده ويصبح رجلاً أو امرأة يصلح ان يستفيد من الحياة

وبقيد غيره . هذا إذا مرى في حياته الطبيعية وطوى ادوار عمره واطواره دون ان يحصل له مانع يمنه أو عائق يصدّه في سيره الطبيعي حتى يموت في يومه المحتم اما إذا مات دون محتومه اي دون أن يستوفي مدته الطبيعية فاصره وأمرنا الى الله .

واعلم ان الموت ( الاجل ) فسان محتوم ومخروم كما قال تعالى : ( هو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده ثم انتم تخفرون ) .

فالمخروم : هو المرتبط بفعل الانسان نفسه مع نفسه او مع غيره طوعاً أو كرها مثل اهل التدابي في هلة قاتلة . أو تعرضه لكارثة مهلكة . أو ارتكابه جريمة تبيع دمه ، أو أمثال ذلك مما يستوجب موته قبل مدته الطبيعية ، وهذا النوع من الآجال مما يمكن تفاديه بتوفى اسبابه ودواعيه . أو باجراء افعال دينية وارادة في الشريعة توجب تطويل العمر وتأخير مثل هذا الاجل ، كصلة الرحم . ودفع الصدقات وعمل المبرات واصلاح ذات البين . وبر الوالدين . واشباها من التعاليم الاخلاقية الاسلامية .

والمحتوم ( الاجل المسمى ) : هو الموت الذي لامتناس منه ولا مفر إذ ليس فيه تقديم ولا تأخير ( فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ) فمباح من قهر عباده بالموت .

\*\*\*

## الحكمة في خلق الإنسان منتصباً

قال عليه السلام : انظر يا مفضل ما خص به الانسان في خاقه تشرفاً  
وتفضيلاً على البهائم ، فانه خلق ينتصب قائماً ، ويستوي جالساً ، ليستقبل

ان الله تعالى لما اختص الانسان من بين مخلوقاته بتكريمه فقال تعالى : ( واقد  
كرمنا بني آدم ) جعل فيه العقل مبرزاً . ومنحه النفس الناطقة للتفهم والاعراب عما  
في ضميره ثم علمه البيان : وهده الى صنعة الكتابة والحياطة والصناعة والزراعة وما  
الى ذلك من كوامن الاسرار ومستودعات الحكم . ثم شرفه بحسن تقويمه من اعتدال  
القامة وجمال الهيئة وحسن الشكل والطياف الوضع . وما الاربع في عقلا وعلماً ان  
التناسب بين القدرات والهيئات مما يستدعى أن يكون صاحبها اشرف من غيره واسمى  
من سواه ، إذا قانتصاب القوام واعتداله يكون نصيب اشرف الحيوانات ، وعلى  
هذا خلق الانسان منتصب القامة مرتفع الرأس اشرفه بين سائر الاحياء ، ولم يخلق  
مكبوباً على وجهه كسائر البهائم وذوات الاربع ، ولأما شياً على بطنه كالتني هي اخفض  
من البهائم لتكرمة فيكون اختصاصه بالانتصاب رمزاً يدل على رفعة ، وبرهاناً  
يشير الى شرفه على حد قوله تعالى : ( وصوركم فاحسن صوركم ) . ولحسن هذه  
الصورة البديعة التي خص بها الانسان : حق للعولى جلت عظمتها ان يذكر مامن به  
عليه فيقول تعالى : ( لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ) . قال ابن عباس : قوله  
تعالى ( احسن تقويم ) أي منتصب القامة وسائر الحيوانات منكبة وقال الفراء :  
في المعنى . انا لنبلغ بالآدمي احسن تقويمه وهو اعتداله واستواء شبيهه وانتصاب  
قوامه وقال غيرها من المفسرين مثل قولهم و اضافوا حسن التمديد والتأليف في  
تركيب الاعضاء فالانسان لما كان هو الرموق الوحيد في الخلق الكونية ، بل هو الغاية

الاشياء بيديه وجوارحه ، ويمكنه الملاج والمعل بهما ، فلو كان مكبوباً على وجهه كذوات الأربع ، لما استطاع أن يعمل شيئاً من الاعمال .

والعلة لخلق ماسواه من الوجودات ، وقد انيط به كثير من الالهال الانسانية ، وهو مع ذلك خلق محتاجا الى افعال فردية واجتماعية كثيرة من كتابه وقراءة وخياطة وغيرها ، وكان قد أودع فيه حب الاستطلاع وغبزة الطموح وطلب التفوق والقدم مع وجود للعقل المميز والادراك الفائق .

أقول لما كان كذلك ، لزم أن يكون منتصب القامة ، وذلك ليتمكن من اداء تلك الواجبات الضرورية لحياته ، وليجري هاتيك الامور التي خلق لأجلها . فيستقبل الاشياء بيديه وجوارحه ، ويستطيع الملاج بهما حسب اللازم اذ لو كان مكبوباً على وجهه لفسر عليه ( أو تمدنر ) اداء ذلك ، ولما استطاع ان يعمل شيئاً من تلك الضروريات البتة . ولهذا تراه غير متساوي الاطراف في الضخامة والنحافة ، فيداه انحف من رجليه ، وكفأه ارق من قدميه طبقاً لحوائجه وواجباته ولو كان منكباً على وجهه لزم أن تضخم بداه كرجليه . لكي لا يختل توازن سيره ولئلا يبط رأسه الى الامام عند المشي اذ كانت اليدان لنحافتها غير قادرتين على استناد البدن عليهما والآن وبعد أن صارت اليدان انحف من الرجلين في الخلفة اقتضى ذلك أن يرتفع القسم المقدم من الجسم الى فوق ، وهذا الارتفاع بالطبع مما يوجب اعتدال القامة واكتساب الجسم هذه الهيئة المنتصبة المشرفة له على غيره .

أما كيف صار منتصباً مدبداً القامة ( فيسولوجيا ) فقد علل بتعاقب كثيرة غير ان اقربها الى ذهن العامة والخاصة هو ما أجاب به العلامة الفيلسوف ( مسكويه ) في ( شوامله ) لسؤال العلامة المحقق ( أبي حيان التوحيدى ) في ( هوامله ) . ما ملخصه ان الحرارة اذا كانت مادتها لطيفة ومواتية في الرطوبة واستجابة للامتداد ، فانها



تعد الجسم الذي تعلق به الى جهتها ( اي الى العلو ) مدأ مستقيماً . وإنما يمرض الليل والانكباب الى الجهة السفلى ( الارض ) لسببين . أما اضعف الحرارة في ذلك الجسم او اقله استجابة المادة التي تعلق بها تلك الحرارة . ولتوضيح ذلك انظر وتأمل الشجر فتجد ان ما كان منه ممتداً على وجه الارض غير منتصب العمود ، لا يد وان تكون الاجزاء الارضية فيه أكثر ، والحرارة فيه قليلة ضعيفة لا تقوى على مدّه نحو العلو . أما المنتصب منه ، ولتشبهه اغصانه نحو الارض بينما وشمالاً ، فذلك لأن حرارة النار ورطوبة الارض فيه قد تركبا فحدث منها الشكل المركب بين الانصباب والانحناء . لكن المنتصب المتمدن الى الأعلى دون انحناء في اغصانه وأوراقه كالقصب مثلاً ، فلان الاجزاء الارضية والرطوبة المائية فيه لطيفة ، والحرارة قوية ولا مانع فيه من الحركة المستقيمة الى العلو ، بل ذلك بالطبع يقتضي الانصباب .

أقول : وهذا الانسان الذي هو جسم ناعم كالنبات لما كانت فيه الحرارة قوية والاجزاء الارضية والمائية لطيفة معتدلة . كان في نومه بالطبع حسب هذه القاعدة الفسيولوجية الطبيعية مديد القامة معتدل الهيئة منتصب القوام .

فذلك تراه عندما تضعف حرارته في سن الشيخوخة والكبر : وتكثر فيه الرطوبات الغليظة غير المستجيبة لحرارة البدن في الامتداد . يظهر عليه الانحناء ويبدو الاحديداب في ظهره ، حتى يموت كالمرجون القديم . فسبحان المبدع الحكيم .

## العينان والحواس في الإنسان

قال عليه السلام: انظر للان يا مفضل الى هذه الحواس التي خص بها الانسان في خلقه وشرف بها على غيره ، كيف جمات العينان في الرأس كالماييح فوق المنارة ، ليتمكن من مطالعة الاشياء ، ولم يجعل في الاعضاء

---

انف ذكر الامام (ع) في هذا المصل ابرز ما اودع الله تعالى في الانسان من المبدعات في الخلق ، وهي الحواس ، وخص بالذكر منها اعظم انفعاً وأكثرها خطراً وأزماً في الحياة وهي العينان ، ليستدل بهما على بدامة الصنع ، وحكمة الخلق ، وليوقظ الغافل ويفهم الجاهل ليفكر في قدرة الخالق ، ثم الاعتراف بتوحيده تعالى .  
وما أنذا أذكر لك الآن مجمل الحواس ، ثم نرجع الى تفصيل تركيب العين وكيفية ابصارها وانها لماذا جمعت في الرأس دون سائر الاعضاء .

الحواس جمع حاسة . وهي العضو الذي يدرك به نوع من المحسوسات . أما الاحساس والشعور فهو تلك القوة الغريزية التي يدرك بواسطتها الانسان عن طريق المجموع المصبي كالمحيط به من الاجسام أو لالوان أو الاشكال أو الماهوم أو الاصوات أو الروائح أو الحشونة أو الملاسه أو غيرها من سائر المدركات . وهو اي الاحساس نوعان . عام وخاص فالعام - لم يكن له عضو خاص أو موضع معين في الجسم مثل حس الجوع والعطش أو الشبع والرواء أو التعب واللام أو الخوف والفرح الى امثالها من الاحساسات العامة . والخاص هو ما يحصل للانسان بواسطة اعضاء معينة تدمي بالحواس وهي حاسة الأولى حاسة البصر : وموضعها العينان ، وبها تميز الاشكال واحجام الاجسام

التي تحتن كاليدين والرجلين ، فتعرضها الافات ويصيبها من مباشرة  
العمل والحركة ما يعللها ويؤثر فيها وينقص منها ولا في الاعضاء التي وسط

وألوانها وقربها وبمدها وهي من اعظم الحواس خطراً واهمها نفعاً ولاجل هذا خصها  
الامام (ع) بالذكر هنا قبل ساير الحواس الاخر .

الثانية حاسة السمع : وموضعها الاذنان وبها تدرك الاصوات بانواعها .

الثالثة حاسة الذوق : وموضعها اللسان وبها تميز الطعوم على اختلاف اقسامها

الرابعة حاسة الشم : وموضعها الانف وبها تدرك الروائح طيبة أو نقة .

الخامسة حاسة اللمس وموضعها الجلد عامة وبها تدرك صلابة الاجسام ومرونتها

وخشونتها ونعومتها كما تميز الحرارة والبرودة والضغط والالم وامثالها من المحسوسات

وسنذكر كل حاسة في محالها إن شاء الله . والآن نبدأ بذكر العين وتركيبها وأشرفها

ان العين مركبة ومؤلفة من اعضاء أصلية داخلية واعضاء ملحقة خارجية أما

الأصلية فهي المقلة (كرة العين) وأما الخارجية فهي الحاجبان والجفنان والعضلات

الحركة والجهاز الدمعي . ولنذكر أولاً الملحقة باختصار بيانها فنقول :

الحاجبان : هما قوسان من الشعر فوق العجاجين ، يحميان العين من الأشعة

الضيائية الشديدة القامحة . ويعانان انحدار العرق من الجبهة الى العين . ويقبانها من

الأجسام الساقطة من الاعلى .

والجفنان : جلدتان مكونتان من أغشية جلدية وعضلية ، تضمنان المقلة وتحفظانها

بانطباقها عليها بشكل نصف دائرة . وقد خلق الله على حافتيها السائبتين صفيحتين منظمتين

من الشعر الرقيق الزاعم يسمى كل واحد منهما (هدبا) يحميان العين من الأنوار

الشديدة والقيح . ويحسبان سد الاجفان عند انطباقها على العين .

والجهاز الدمعي : جهاز مركب من الغدد الدمعية التي تمتد منها قنوات صغيرة

البدن كالبطن والظهر فيعسر تغلبها واطلاعها نحو الاشياء فلها لم يكن لها في شيء من هذه الاعضاء موضع ، كان الرأس اسنى المراضع للحواس ، وهو بمنزلة الصومعة لها .

رفيقة تحمل الافرازات الدمعية المرطبة للعين والفاصلة لها من الغبار والجراثيم الخارجية الطارئة عليها . وهذا الافراز الدمعي بمداده هذه الوظيفة للعين ، يذهب قسم منه الى الخارج عن طريق الانف وهو الزائد على الحاجة ، ويخزن قسم آخر منه في القناتين الدمعيتين عند المقل من كل عين : ليخرج منه عند البكاء ، أو عند بعض الحالات النفسية التي تستدعي خروج الدموع .

والعضلات المحركة : هي عضلات صغيرة رقيقة وعددها ستة ، تقع داخل الجوف المحجبي بين كرة العين واحدى نقاط الوجه الداخلى من جوف الحجاج : وهى التي تحرك العين وتدبر المقلة من الاعلى الى الاسفل ومن اليمين الى الشمال : بل وجميع الاطراف حسب ارادة الانسان وحاجته . هذه هي الاعضاء الملحقة .

أما المقلة : فهي عضو مركب من خمسة أغشية ( طبقات ) وثلاث رطوبات أما الطبقات فهي :

( اولاً ) الطبقة القرنية الشفافة المعروفة ( بسواد العين ) ومحملها في وسط الطبقة الصلبة ( بياض العين ) وهى مستديرة الشكل محدودة بوضع .

( ثانياً ) الطبقة الصلبة ( الملتحمة ) المعروفة ببياض العين ، وهى غشاء صلب أبيض قوي مفروش على العين كلها حافظ لجميع اجزائها .

( ثالثاً ) الطبقة ( القرزية ) وهى المشاء المتحرك تحت القرنية والمثقوب في وسطه ثقباً صغيراً يسمى ( البؤبؤ ) أو ( الحدقة ) . وهذا الغشاء يتلون بالوان مختلفة من

أسود وأزرق وأصهب وأخضر، وهو ينقبض وينبسط حسب شدة الأشعة الواردة عليه أو ضآلتها .

(رابعاً) المشيمية وهي غشاء أسود خلف الطبقة الصلبة . ينص الأشعة الضوئية

ويكسر حدتها عن أن تصدع نور العين .

(خامساً) الطبقة الشبكية وهي آخر الطبقات إلى الداخل وأهمها ، لأنها تحتوي

على الاعصاب الكثيرة المنبثقة عن العصب البصري من نفس الدماغ وفي هذه الطبقة المهمة تنطبع جميع صور المرئيات فتوصلها إلى الدماغ لتأخذ منه الحكم بتمييزها ومعرفتها أما الرطوبات الثلاث فهي :

(أولاً) الرطوبة البللورية السماة (العدسة) لمشايتها بحبة العدس في تعديب

وجهيتها - وموضعها خلف الطبقة القرزحية بمحاطة بمهفظة من غشاء قوى وقالدها كسر الأشعة الضوئية الداخلة إلى العين من الخارج ، ثم جمعها فوق الشبكية .

(ثانياً) الرطوبة الزجاجية ، وهي مايع صاف أبيض كالزجاج يشبه في قوامه

الزجاج أو الخاط وهي تملأ الفراغ من الكرة العينية . ولولاها لكأت العين مثل الكيس ملتصقة جدرانها بعضها ببعض . وموضعها خلف الرطوبة البللورية .

(ثالثاً) الرطوبة المائية . وهي سائل مائي القوام ، يملأ الخزانين القدامية

والخلفية المفصول بينهما بالطبقة القرزحية .

هذا هو مجمل تركيب العين، وقد ذكر صاحب الرسالة (المعلم بدهو إلى الأيمان)

ص ١١٢ عظم إبداع الخلق في هذا العضو المهم العجيب فقال : أن عدسات عينك

تلقى صورة على الشبكية فتتظم العضلات بصورة آتية إلى بؤرة محكمة . وهذه الشبكية

تتكون في سبع طبقات منفصلة . هي في مجموعها ليست اصمك من ورقة رقيقة دقيقة

والطبقة التي هي في أقصى الداخل منها تتكون من امواد ونحروطات . وبقل أن عدد

الأحواد فيها تبلغ للثلاثين مليوناً، وعدد المحروطات فيها تبلغ الثلاثة ملايين، وقد نظمت هذه كلها في تناسب محكم بالنسبة لبعضها . وبالنسبة للعدسات . ولكن العجيب أنها تدبر ظهورها للعدسات ، وتتنظر نحو الداخل لانحو الخارج . وإذا استطعت ان تنظر في خلال العدسات ، فإليك ترى عدوك مثلاً مقلوب الوضع والجانب الايمن منه هو الايسر وهذا امر يربكك إذا حاولت ان تدافع عن نفسك . ولذا فإن الطيعة قد عرفت بطريقه ما ماذا سيحدث ، ولذا اجرت ذلك التصميم قبل أن تقدر العين على الابصار ، وربته بنظم كاملة عن طريق ملايين خويطات الأعصاب الؤدية الى المخ . ثم رفعت مدى ادراكها الحسي من الحرارة الى الضوء . وبذا جعلت العين حساسة بالنسبة الى الضوء وعدسه . هناك مختلف في كشافه ، ولذا تجمع كل الاشعة في بؤرة . ولا يحصل الانسان على مثل ذلك في أي مادة من جنس واحد كزجاج مثلاً . وكل هذه التفانيات العجيبة للعدسات والعبدان والمحروطات والأعصاب ، وغيرها لا بد وانها حدثت في وقت واحد لأنه قبل أن يكمل كل واحد منها كان الابصار مستحيلًا . فكيف استطاع كل عامل ان يعرف احتياجات العوامل الاخرى . وبرائم بين نفسه وبينها ( انتهى ) .

اقول: ولا يخفى ان لهذه الآلة البديعة الخلقه ، للعظيمه الفائدة (عدا الابصار) وظائف اخرى تجعل العقل المحدود في ادراكه في حيرة واندهاش . فانها هي المرآة التي تنعكس فيها جميع المشاعر الحياتية . وصرورها وهي تلك النقطة الصغيرة التي تتجمع فيها ثم تشع منها مختلف المواطف التي تجول في خاطر الانسان . فاذا كان مسرور الخاطر بان في عينيه قبل أن يرسم على وجهه . وإذا كان غضباً تطاير الشرر منها . وإذا كان خائفاً زاغ بصره . وإذا كان خجولاً قرأ الخجل في عينيه . بل وحتى الحب الذي ينطوي على كبد حرى فيكنم هواه ، لا يخفى أمره بل تتكلم عيناه . كما قال الشاعر

وهيون أحاديث بلا كلم وكلم لها في الهوى شرح وتبيان

وكم تناعي المحبون وتغامم الشعراء بلفه النظر وحدث العميون إذا ما نعترت  
عليهم لفة الكلام كما قال شوقي .

وأعطت لفة الكلام وخاطبت عيني في لفة الهوى عينك  
إذا فالعين هي المرآة الصافية التي تنمكس فيها كل الخواص الحيوية والمؤثرات  
النفسية ، أما إذا انطأمت جذوة الحياة . تعتمت قرنيه العين . وانطقاً مصباح نورها  
كما ينطق . المصباح الكهربائي حينما ينقطع عنه التيار . والى هذا أشار الامام (ع) بقوله  
( جعلت العينان كالمصابيح فرق المنارة ) ثم انها مضافا الى ما ذكرنا ، تنم عن شخصيه  
الانسان من عزيمته أو ضعف أو تردد أو همه أو اي صفة جبل عليها او اعتادها . كما  
تضفي على الوجه نوعاً من الرفق والجمال لا يجمله الكثير من الناس ، وهي عنوان الصحة  
والمرض ودليل انحراف المزاج واستقامته بل المقياس الهادي لدى الاطباء لتشخيص  
ومعرفة الصحة والداء وهي ان تشابهت اجزاؤها عند جميع افراد الانسان ،  
فان لكل عين طابعها وسحرها وجمالها وحورها وكملها وجذابتها . وأخيراً فانها  
د ن سائر الاعضاء جزء من المخ تكونت منه ثم تطورت الى وضعها المرئي ، وإن  
العصب البصري خاصة تمتد من خلايا نفس المخ فلاغرابة إذا ما أصبحت تمرب عن  
كل ما يجري فيه من انطباعات واحاساس ، فهي مترجمه له . حاكية همافيه ، إذا  
فلتح مبعث المواطف والاحساسات والعين لسانه اللناطق وترجمانه الصادق .

د من هنا يعرف السبب في تخصيص الامام (ع) بعينه في العينين اولا وقبل

جمع الحواس .

فاذا عرفت عظمة هذا الضوء المهم . تهانق لديك وحبوب الضبابية به في الخفاة  
ثم وقايتة وصيانتة من الطوارئ . ثم ادركت الحكمة في جعل العينين في الرأس اعلى  
الاعضاء واسماها . لاني البدن أو الرجلين لانها اعضاء جوارح وعوامل تتصادم مع

الأجسام الخارجية مما يجعلها معرضاً للآفات التي قد تصيبها من مباشرة العمل والحركة فتؤثر فيهما وتمرضهما كالأحسن أن يجعلها في الأعضاء التي في وسط الجسم ، كالبطن والظهر لأن من أبرز وظائف المينين الاستطلاع والتطلع على الاشياء . فيكون جعلها في وسط الجسم مما يعرفها من الاطلاع على شيء البتة . فنتج من ذلك لزوم وضهها في الرأس لا غير ، بل هو الذي ينبغي ان يكون ولا يكون غيره .

وإنما كان الرأس كالصومع تشبيهاً له بصومع العايد على رأس الجبل ، بعيداً من الناس مشرفاً عليهم ، والرأس كذلك بعيد عن الأعضاء مشرف عليها .

وفي هذا من الابداع والحكمة والاتقان . مالا يدركه الا ذو عقل سليم وذوق معتدل فسبحان الخالق عما يتشدد به الجاهلون .

\*\*\*



## البصر والسمع واعمالهما واسرارهما

قال عليه السلام: فجعل الحواس خمساً تلقي خمساً، لكي لا يفوتها شيء من المحسوسات فخلق البصر ليدرك الالوان، فلو كانت الالوان ولم يكن

الحواس الظاهرة خمسة لاسته ولا اربعة . وذلك لأن جميع المحسوسات لم تكن الا تلك الاجسام الموجودة في المحيط الخارجي ، وما لا وجود له ليس بمحسوس البته . وهذه الأجسام حسب الحصر الطبيعي الاستقرائي . لا تفلو انواعها من خمسة انواع فقط لانها أى المحسوسات . أما أن تكون اجساما واشكالاً والواناً أو نسبة قرب وبعد بعضها لبعض ، وهذه بدر كها البصر . وأما أن تكون ذات روائح طيبة أو نتنه قوية أو ضئيفة . وقد خلق الانف لتمييزها . وأما أن يكون لها طعم خاص من حلو أو حامض أو مالح أو مر أو غيرها عند استدواقها . فقد تكفل اللسان بمعرفتها . وأما أن يكون لها لمس خشن أو ناعم أو ذا خفة أو ثقل أو حرارة أو برودة . وقد جعل الله تعالى لها حاسة اللس في جميع الجلد بدر كها وبمميزاً . وأما أن يكون لها صوت يحدث عن حركاتها وسكنيتها ، فقد خلق لله تعالى لها السمع اى الاذنين لتدرك انواعها ومختلفتها . الى غير ذلك مما يدخل تحت احدى هذه المحسوسات . ولم يجد المتبع محسوساً آخر غير ما ذكرنا الا وكان مدر كها باحد هذه الحواس الخمس المذكورة . ولو وجد غيرها مما هو غير داخل فيها ، لخلق لله تعالى له حاسة سادسة ، كما انه لو كانت هذه المحسوسات لآتفة مما يدخل بعضها ضمن الآخر أى لو كان نوعان منها بدر كان بحس واحد لكانت الحواس اربعة . ولكن شاءت الحكمة في الخلق أن تجعل هذه

بصر يدركها لم يكن فيها منفعة، وخلق السمع ليدرك الاصوات، فلو كانت  
الاصوات ولم يكن سميع يدركها، لم يكن فيها ارب، وكذلك سائر الحواس  
ثم يرجع هذا متكافئاً، فلو كان بصر ولم تكن الالوان، لما كان للبصر معنى

---

الحراس خمسة هي الازمة للحياة، وان تكون هي المستوفية لادراك كافة النواحي  
المحسوسة المحيطة بالانسان لا أقل ولا أكثر .

وقد ذكر الامام (ع) على سبيل المثال بعض تلك الحواس اعني البصر والسمع  
فقط وبعض المحسوسات اعني اللون والصوت لاغير ذلك لأنها أقرب إلى اذهاب  
أكثر الناس فقال (ع)؛ فخلق البصر ليدرك الالوان، وخلق السمع ليدرك الاصوات  
الح أي ان الخالق الحكيم لم يخلق خلقاً عبثاً ( سبحانه ) ما خلقت هذا باطلا فلم يوجد  
عضواً له عمل ما، الا ووجد معه معموله. ولم يخلق حاسة الا وخلق لها محسوساً وبالعكس  
لم يوجد محسوساً الا وخلق له حاسة، فلو كانت الوان ولم يكن بصر يدركها، لما كانت  
في وجود الالوان منفعة، كما انه لو كانت اصوات مخلوقة، ولم يخلق لها سميع يدركها،  
لما كان في خالق الاصوات ارب أو غاية، وكذلك سائر الحواس الخمس مع مدراتها  
ثم يرجع الأمر متكافئاً. إذا لاحظنا الحاسة قبل المحسوس فنقول : لو كان بصر  
ولم تكن الوان لما كان للبصر معنى . ولو كان سميع ولاصوت مسوع له، لم يكن للسمع  
موضع وثقلها بقي المحسوسات مع حواسها . فسبحان من قدر في حكمته وابدع في  
خلقه أن يلقى بعضها بعضاً حيث جعل لكل حاسة محسوساً ولكل محسوس حاسة  
والآن يحسن بنا أن نذكر تشریح هذين الموضوعين الجليلين والحليتين  
المذكورتين مع بيان كيفية احساسهما وهما السمع والبصر .

أما البصر فقد تقدم تفصيل تشریحه في الفصل السابق، غير اننا نذكر هنا  
كيفية الابصار حسبما ذكره القدماء والتأخرون في كتبهم فنقول :

ولو كان سمع ولم تكن الاصوات، لم يكن للسمع موضع فانظر كيف قدر  
بعضها يلقي بعضا فجعل لكل حاسة محسوسا يعمل فيه ولكل محسوس  
حاسة تدركه .

لقد اختلفت اراء المتقدمين من الاطباء والتأخرين منهم في كيفية الابصار  
فالقدماء يقولون انها تحصل بخروج شعاع من العينين على هيئة مخروط فاعده تلي  
الرئي وزاويته عند العين ، ثم اختلفوا فيه فقال بعضهم ان هذا المخروط مصمت كله ،  
وقال الآخر انه مصمت عند الزاوية وإذا بمدنها تفرق الى خطوط لا يكون بينها شعاع  
ولكن الهواء الذي بين الخطوط يستحيل الي طهيقتها فيقوم مقامها في الابصار . ومنهم  
من قال ان ذلك الشعاع كخط مستقيم ينتهي الى الرئي ثم يتحرك على سطحه حركة  
سريعة جداً في طول الرئي وعرضه . ومنهم من قال بالاحالة . بمعنى ان الهواء الذي  
بين البصر والرئي يتكيف بكيفية الشعاع الذي في العين ليصير آلة الابصار . وقال  
بعض متأخريهم بانطباع صورة الرئي على الرطوبة الجليدية بتوسط الهواء المشف ومنها  
تنطبع على ملتحق صحي العينين ، ومنه تنتقل الصورة الى الحس المشترك فتتأثر الحاسة  
بها هناك ، وتنتبه النفس فتترك الرئي الخارجي . والقول الاخير لهم ان صورة الرئي  
(شبهه) يقع على ثقبه العنبرية وهناك تدرك النفس . هذا مجمل أقوال المتقدمين من الاطباء  
أما الطب الحديث فيقول في فلسفه العين رؤيه الاجسام : ان العين تمثل  
بتركيبتها و عملها الآلة المصورة ( الكاميرا ) فالجزء الذي يقوم بالابصار في العين يقابل  
الروح في الآلة وهو الطبقة الشبكية الحساسة . أما الطبقات والاجسام الاخرى فتقوم  
بجمع الاشعة و ابعادها الى الشبكية لكي تتكون فيها اشباح الاجسام المرئية . وهذه  
الطبقة هي ارق شيء في العين تكثفها انسجة متينة تصونها من الاذى .

فهذا المنور الواقع على العين من أي جسم مضيء يعاني في سيره قبل أن يصل

الى الطبقة الشبكية عدة انكسارات متعاقبة .

اولا عند سطح القرنية والسائل المائي ( الرطوبة المائية ) .

ثانيا عند العدسة البلورية المحدبة ثم السائل الزجاجي ( الرطوبة الزجاجية ) .

ونقوم جميع هذه الاقسام بوظيفة عدسة كبيرة محدبة الطرفين تجمع الاشعة الضوئية كلها على الشبكية فتكون اشباحاً للاجسام الخارجية بصورة مقلوبة ، هل أن النور المنعكس على الشبكية لا يؤثر مباشرة على الالياف العصبية المنتشرة على هذه الطبقة من العين بل إنما تؤثر على الحبيبات التي تنتهي اليها فروع العصب البصري وهناك تحدث بعض التنويرات الكيماوية والطبيعية التي تنبه بها منتهيات اليف العصب البصري ، وهكذا ينتقل التأثير الى المراكز البصرية في المخ ، فينشأ من ذلك شبح الجسم الحقيقي بصورة معتدلة ويؤل الامر الى الرؤية . ومن هنا يظهر ان الذي يرى في الحقيقة هو المخ لا العين نفسها . الا ترى ان لقطع العجل التلغرافي الذي يوصل بين العين والمخ ، لمز اليمين شيئاً ، كما انه اذا نعت العين لا يرى للمخ وحده لانه فقد الآلة الموصلة لاوراسه . إذا فكلاهما ضروري لرؤية الصورة . لا يستغنى أحدهما عن الآخر وإن كان الاصل هو المخ .

وأما السمع وعضوه الاذنان وكل منهما مؤلف من ثلاثة اقسام :

١ - الاذن الظاهرة

٢ - الاذن المتوسطة

٣ - الاذن الداخلية

أما الظاهرة ( الخارجية ) : فهي عبارة عن الصوان أي القسم البارز المفرطح المنتصق على جانبي الرأس الأيمن والايسر . ووظيفته جمع التمجوجات الهولوية المتكونة من الاصوات الخارجية . ثم القناه السمعية المسماة ( بالصماخ ) وينتهي بالطبلة ووظيفته

نقل تلك التموجات الى الطبلة وتوجد في هذه القناة مادة شمعية مرة الطعم جداً تسمى (الصملاخ) وقادتها تمنع دخول الحشرات والميوانات الصغيرة الى داخل الأذن ، وقتها اذا دخلت بمرارتها الشديدة .

والاذن المتوسطة : هي غشاء الطبلة الموضوعه فوق تجويف واقع بين القناة السمعية والاذن الداخليه ، مع نفس التجويف المحتوى على ثلاث عظيمات دقيقة جداً ، أولها وهو متصل بالطيه (العظم المطرق) وبهده (العظم السندانى) المتوسط ثم (العظم الركابى) وهو الاخير ، وهذه العظيمات ، تتصل بعضها ببعض اتصالاً مفصلياً على شكل سلاسة متحركة أحد طرفيها متصل بالطبلة وهو المطرق والاخير متصل بقنعة الدهليز الداخلي من الاذن الداخليه وهو الركابى ثم ان هذا التجويف الطبلي ايضاً متصل بالقسم العلوي من البلعوم بقناة دقيقة تسمى (بوق استاكيوس) وقائدة هذا البوق هي ايصال الهواء الجوي الى التجويف المذكور من البلعوم ليتوازن الضغط الخارجى والداخلي لهوائين الواردين على الطبلة ، حتى يستقيم السمع بذلك ولا تنصدع الطبلة . أما الاذن الداخليه : فهي الجزء المهم من حاسة السمع ، وقد الفت من ثلاثة اجزاء « الدهليز » و « القنوات الهلالية » و « القوقعة » .

أما الدهليز فهو تجويف صغير يوصل القنوات الهلالية بالقوقعة ، والقنوات الهلالية عبارة عن ثلاث قنوات منحنية أنحناء هلالياً . وعملوه مسائل لمفاوى قابل . والقوقعة قناة اخرى حلزونية الشكل تدور حول هود مركزى ، وتنقسم بواسطة صفيحة لولبية الى قسمين ، وتنتشر عليها فروع العصب السمعي الموصلة لتموجات الاصوات الى المخ ( الحاكم المطلق ) . هذا هو تركيب الاذن التشريحي على وجه الاجمال .

أما كيفية السماع ، وهي ان الامواج لهوائيه التي تحدثها الاصوات في الخارج

تدخل أولاً إلى الصوان ، فتولد فيه اهتزازات تطرق غشاء الطبلة ، فيحدث اهتزاز آخر في العظام السمعية ، من المطرف إلى السندانى إلى الركابى ، وهذا الأخير ينقلها إلى غشاء داخلي آخر يسمى ( غشاء الكوة البيضاء ) الذي ينقله بدوره إلى السائل الموجود داخل الدهليز فيهتز بما فيه من القنوات الحلالية والقوقعة ، وبذلك تلتبس الحيوط العصبية السمعية السابحة في ذلك السائل . ومن هنا تصل انطباعات تلك الجموجات إلى المخ ، فيدركها ويحصل السماع . فسيحان المبدع العظيم .

قال صاحب كتاب « العلم يؤيد الإيمان » عند بيان عظمة خلقة الاذن واتقان صنعها ، مستدلاً على استحالة وجود الصدفة في مثلها ، ووجوب صدورها من حكيم : ان خزائن اذن الانسان ، سلسلة في نحو أربعة الاف حنية « قوس » رفيقة معقدة متدرجة بنظام بالغ في الحجم والشكل . ويمكن القول بان هذه الحنيات تشبه آلة الموسيقى ، ويبدو انها معدة بحيث تلتقط وتنقل إلى المخ بشكل ما كل صوت أو ضجة من قصف الرعد إلى حفيف الشجر ، فضلاً عن المزيج الرائع من كل أداة موسيقية وإذا كان المراد عند تكوين الاذن ان تحسن خلاياها الأداء كي يمشى ، فلماذا لم يمتد مداها حتى تصل إلى ارجاف السمع . فهل القوة التي ورآه نشاط هذه الخلايا قد ترقبت حاجة الانسان في المستقبل ، لا الاستماع الذهني فقط ، أم الصدفة شاءت تكوين الاذن خيراً من المقصود . كلا نم كلا . ( انتهى ) .



## الضياء والهواء وسيط بين السمع والبصر

قال عليه السلام : ومع هذا فقد جمعت اشياء متوسطة بين الحواس  
والحسوسات لا تتم الحواس الا بها - كمثل الضياء والهواء - فانه لو لم يكن  
ضياء يظهر اللون للبصر ، لم يكن البصر يدرك اللون ، ولو لم يكن هواء  
يؤدي الصوت الى السمع لم يكن السمع يدرك الصوت . فهل يخفى على  
من صح فطره ، واعمل فكره ، ان مثل هذا الذي وصفت من تهيئة الحواس  
والحسوسات بعضها يلق بعضها وتهيئة اشياء اخرى بها تتم الحواس لا يكون  
الا بعمد وتقدير عن لطيف خبير .

---

عرفت كيفية الابصار والسماع ، ولا بد لك الآن أن تعرف ايضا انها لايمان  
ولم يؤد البصر والسمع وظيفتهما ما لم تتوسط بينهما اشياء اخر غيرهما ليتم عملهما المطلوب  
وهذا الوسيط هو الهواء والضياء فقط . وافد ذكرنا تفصيل ذلك في رسالتنا ( طب  
الامام الصادق ع ) ( و الآن نعيد ذلك هنا اتماماً للقاعدة فنقول :

لقد ثبت في علم الطب الحديث ، واصبح من البديهي المسلم لدى طلس الاطباء  
بعد التجارب الكثيرة والبحث العلمي في كيفية السماع ، ان بين منبع الصوت والاذن  
السامعة توجد على الدوام مسافة وهذه المسافة لا بد وان تكون مملوءة بمجسم ذي مرونة  
لدرك الصوت بتموجاته ، وهذا الوسط المرن لم يكن بوجه عام سوى الهواء فادا لم يكن  
هذا الوسط المرن بين السامع والمسموع لم يدرك الصوت ، ولذلك لم يسمع صوت في المحل الخالي

من الهواء البتة . هذا وقد اجمعوا ايضاً على أن الرئيات ، مطلقاً لا ترى ما لم يشع  
 عليها ضوء خارج عنها كضوء الشمس أو نور القمر أو شعاع المصباح أو نور النجوم  
 أو اشباهها فان هذه الاشعة المنعكسة من أي سوائي كانت ، تدخل في العين من  
 القرنية الشفافة ونمر بالحدقة ( البؤبؤ ) ثم تسقط على الشبكية وترسم عليها صورة المرئي  
 إذا فلا سماع الا بالهواء ، ولا رؤية الا بالضياء .

وهذا القول الناتج بعد البحث والتنقيب من قبل العلماء، وبعد التجارب الكثيرة  
 مدعاة عوام وأجيال جاء بلاربيب مطابقاً لقول الامام الصادق (ع) بل هو عين ما ذكره  
 الامام (ع) قبل الف ومائتي عام حيث يقول في هذا الفصل : ومع هذا فقد جعلت  
 اشياء متوسطة بين الماوس والمحسوسات لانتم الماوس الا بها . كمثل الضياء والهواء  
 فامظر بعين الانصاف واحكم بوجدانك أن ترى للطب الحديث أني بغير ما ذكره

الامام (ع) الامفضل في هذه المحاضرة القيمة ، وبمباراة واضحة سهلة ؟

ثم هل ينبغي بعد التأمل على من صح نظره واعمل فكره ، ان مثل هذا القدي  
 وصفه الامام (ع) من تهيئة الماوس والمحسوسات ، وكون بعضها يلتقي بعضها ، مع  
 تهيئة اشياء آخرها تتم الماوس ، يمكن أن يكون من طريق الصدفة وبدون قصد  
 وحلم وقدرة وحكمة من مكونه بل لا يتصور أن يحصل إلا بعلم مقصود من الطيف خبير .





## حال من عُدِمَ البصر والسمع

قال عليه السلام : فكر يا مفضل فيمن عدم البصر من الناس ، وما يناله من الخلل في امره ، فإنه لا يعرف موضع قدميه ، ولا يبصر ما بين يديه فلا يفرق بين الالوان ، وبين المنظر الحسن والقبيح ، ولا يرى حفرة ان هجم عليها ، ولا عدواً ان اهوى عليه بالسيف ولا يكون له سبيل الى ان يمل شيئاً من هذه الصناعات مثل الكتابة والنجارة والصياغة حتى انه

---

ان للانسان في حياته واجبات ضرورية ولو ازم لا يستغنى عنها بالنسبة لنفسه ولمحيطه الخارجي ، وان له حالات واوراعاً مختلفة متغيرة تحدث مما بطراً عليه من داخله وخارجه ، أما الطوارئ الداخلية فمثل اختلال الاجهزة ( الهضمي والدوري والتنفسي ) فانها ان صحت صح البدن ، وان انحرفت انحرف البدن ، اذ هي مدار صحته وسقمه وأما الطوارئ الخارجية فمثل الجهاز العصبي بكلا قسميه من مدرك ومحرك ولا سيما الحواس الظاهرة ، فإنه ان صح كان كفيلاً بانماش البدن وحفظه ورقابته ، وان اختل اختلت الحياة وعمدت سعادتها ولم يبق لحياة الانسان لذة ولا رغد في العيش وحيث ان السمع والبصر هما من أم تلك الحواس ، وأكثرها خطراً وأثرآ في النفس والبدن ، كان اصابة الجسم وسقمه ، وانتظام الحياة واختلالها وتنبؤ الجسم ونحلله ولنشاط النفس وخولها اعظم الأثر بسبب استقامة هاتين الحاستين واختلالهما في الانسان . وقد عرفت أنّ ما لعين الباصرة من الوظائف والفوائد الكثيرة صدا

اولا نفاذ ذهنه لكان بمنزلة الحجر الملقى . وكذلك من عدم السمع يحتمل في امور كثيرة ، فانه يفقد روح المحاطبة والمحاوره ، ويسدم لذة الاصوات والاحوار المشجبة والمطربة ، وتنظم المؤنة على الناس في محاورته حتى يتبرموا

وظيفة الابصار . إذ هي كما قلنا المرآة الصافية التي ينعكس فيها جميع المشاعر والمواطف من فرح ورح و غضب ووداعة وخوف وخجل الى غيرها من الحالات التي تنعري الجسم والروح وتقيم النفس والبدن وتقدمها ، هذا عدا ما لبهر من فوائد اخرى كمعرفة الطريق ، وقضاء أكثر الحوائج الحيوية مثل اكتساب الرزق وتحصيل العلوم وتعلم الصناعة وعمل الزراعة ومعرفة اكتسابه وما الى ذلك من الاعمال .

وكذلك حاسة السمع (الاذن) فان في سماعها لانواع الأصوات والنفثات اثرأ بليفاً في صحة الجسم والنفس وانحرافها . لأن الأصوات إذا كانت ذات انقام حسنة انمشت البدن وابهجت الروح والنفس ، والعكس بالعكس ، كما انها إذا كانت بخيفة أو مكدره أو مبهجة أو مخجلة أو محبوبة جاذبة أو بغيضة مزعجة ، كان لها اثرها فيها ، على ان السماع يتوقف عليه سير السامع في ماملاته مسع الناس وفي محادثاته ومحاوراته معهم ، وفيما يكسبه من علم وصناعة وفي تدريسه وتعليمه وفيما يؤثر عليه مما يحسن به من همس الناس وكلامهم له أو عليه ، الى كثير من امور اخرى لاغنى له عنها في حياته الفردية والاجتماعية .

أما إذا عدم البصر : فان ما يناله يفقده من الحلال في اموره . وما ينزاه من التزلزل والاختلال في سير حياته ، لا يمكن تقديره بموض ولا تعويضه ببدل ، إذ يصبح غير عارف موضع قدمه اذا مشى ، ولا مدرك ما بين يديه إذا قصد حاجة ، ولا مفرقا بين الاشكال والالوان ولا مميزاً بين الحسن والقيبح حتى انه لا يرى المفرة في طريقه ، ولا يستطيع أن يحدد حدوداً من أهوى عليه بسيفه مثلاً . بل لا يمكنه أن

به ولا يسمع شيئاً من اخبار الناس واحاديثهم ، حتى يكون كالفأب وهو  
شاهد او كالكيت وهو حي .

يعمل شيئاً من لوازم العيش من صناعة أو كتابة أو صياغة أو نجارة أو أي عمل يحتاج  
فيه الى نظر . ولكن أفه نعالى بلطفه وفضله قد ابقى له بعد ذهب بصره ذهنًا نافذاً  
يمكنه به أن يسير في الحياة سيراً بليغاً يخرج به عن أن يكون كالحجر الأصم الملقى على  
الأرض وبالجملة فانك لا ترى في جميع منكوبي العالم من بني الانسان اجر لطف والرحمة  
والحنان ولا أكثر استحقاقاً للاشفاق . من نكبوا بابصارهم وحرروا نعمة العين  
البلصرة . فهم لا يستطيعون أن يضر بوا في الأرض كيف شئوا ومتى شاؤوا . ولا أن  
يعملوا الاعمال التي يعملها غيرهم في الحياة . بل هم عاجزون حتى عن تحصيل قوتهم  
وكسب موارد الرزق . فهم سجناء في ليل داس من الظلام المستمر ، أموات وهم  
احياء . مزولون عن الناس وهم معهم . محرومون عن القراءة والكتابة والعلم والتهديب  
وسائر الأعمال الحسنة التي تجعلهم قديماً فدون المصائب العظام والشاق الجسماني في سير  
حياتهم . بل قد يصبحون احياناً كالأعلى الناس ثقله حتى على ذويهم وأقرب الناس  
اليهم ، وربما تبرموا منهم . وهنا تعرف قيمة العين ومكانة البصر ونعمة الخالق .

وكذلك إذا عدم السمع . فانه ولا شك يختل في امور كثيرة . لان الانسان  
اجتماعي بالطبع يحتاج الى المحاطبة والمحاوراة في معاملاته ومعاشرته مع غيره وهذه كلها  
يفقدها إذا فقد السمع . إذ لا يستطيع عند فقده ان يفهم ما يقال له ولا أن يتفهم في  
مطلب من الطالب مضافاً الى ما يفقده من لذة استماع الأصوات والضحك مطربة كانت  
أو مشجبة ، ومن استفادته من مجالسه وجلساته حين يتكلمون ، فلا يسمع اخبار  
الناس واحاديثهم ، بل ولا يعرف ماله وما عليه ، فهو كأنه غائب وهو شاهد ، أو ميت  
وهو حي ، وبهذا تظم مؤنثه على الناس في محاوراته ، ويصبح ثقيل الظل حتى على أهله

وأصحابه ، ويدعي ان هذه الحال مما يكدر الحياة ، يجعلها جميعا على عديم السمع ، بحيث لا يطاق تحملها البتة .

فيالها من نعمة عظيمة جليلة ، لا يعرف قيمتها إلا فاقدها ، ولا يدرك ضرورتها الا من حرمها ، فسبحان واهبها من منم منفضل .

## العقل وحال من عدمه

قال عليه السلام : فاما من عدم العقل ، فانه يلحق بمنزلة البهائم ، بل يحول كثيرا مما تهندي اليه البهائم ، أفلا ترى كيف صارت الجوارح والعقل

---

العقل مخلوق عجيب الصنع ، عظيم الانز ، كبير الفائدة ، تكرم به الله تعالى على الانسان ليميزه عن سائر مخلوقاته ، وليجعله اشرفها اذا اطاعه ، واخسها اذا عصاه . واهرض عن رشاده . ومن الغريب ان هذا الخلق الجليل لم يعرف بالكنه والحقيقة بل إنما يدرك بآثاره ولوازمه ، ولم يميز إلا بافعاله واحكامه .

وقد عرفه العلماء والعقلاء بتأريف كثيرة ، مآل الكل واحد ، فقد قيل :  
انه ملكة تدبر الحركات الارادية من أي نوع كانت ، وقيل :  
العقل ملكة كسبية تتولى ضبط الافعال ضبطا اراديا بتدبير خاص وتفرض خاص ، وإن عقول الاشخاص تتفاضل باختلاف وسائل الكسب ، فنتنوع الاهمال الناجمة عنها بل قد تتفاوت أفعال عقل الشخص الواحد باختلاف اطواره والمؤثرات فيه وقيل : العقل هو الذي بصوغ الاحكام بالقياس على ماخبره بنفسه وبما عرفه من غيره ، الى غيرها من التماويف التي تدور كلها مدار معرفة آثاره وافعاله .

وسائر الخلال التي بها صلاح الانسان ، والتي لو فقد منها شيئاً ، لعظم ما يناله في ذلك من الخلل ، يوافي خلقه على التمام حتى لا يفقد شيئاً منها ، فلم كان كذلك ؟ الا انه خلق بعلم وتقدير .

وبالجملة فان ما يؤخذ من مجموع التعاريف هو : ان العقل هو الذي يسير الانسان في اعماله اليومية الذاتية والتي يجربها مع غيره ، وبدونه تقف اعمال الحياة ، أو انها تسير سيراً بطيئاً ، متمراً .

فاذا عرفت ذلك فاعلم ان الانسان منذ ولد ودب الى ان شب في الحياة ، كان عرضة للمهالك ، محاطاً بمكاره الطبيعة ، وصدومات المحيط على انه لا يملك من القوة الطبيعية والالهامات الفطرية مثلما يملك الحيوان . فانه خلق قاصراً عاجزاً محتاجاً جاهلاً ، ولا كذلك الحيوان الذي منح الهاماً خاصاً وادراكاً محدوداً يسيرانه في طريق الحياة بدافع فطري لا يختلف ، ولا يحتاج الى روية وفكر ، بمعنى ان عيشته عيشة بهيمة غير قابلة للتفسير والاختلاف .

ولكن الله تعالى بعد أن ساب الانسان ذلك الالهام الخاص ، أودع فيه جوهرية مينة اضادت جسمه الكثيف حتى جعلته يشع في هذا الكون المليء بالمخلوقات الاخر غيره اعني منحه عقلاً جباراً ، وجعل في خزائنه اسراراً كامنة ككون النار في الزناد ، تزيد وتقص ، وتظهر وتختفي ، حسب احتياجه لاستعمالها في أمر العاش أو الامداد ، وتدبير وسائل الحياة من جانب فقع أو دفع ضرر ، وتسهيل طرق السعادة في الدارين .

فالانسان ضعيف بالنسبة للحيوان مالم يميل بقواه العقلية وعاجز بمفرده من مجاراته الحيوان في طرق العيشة الفطرية . الم يدبر اموره ، وهو محتاج لمساعدة غيره من بني نوعه لتدبير حياته البشرية . ولولا ان الحكمة الالهية كانت قد اودعت فيه هذا

العقل ومنحته هذا الادراك المميز ، لما امكنه أن يعيش .

إذا فالعقل هو الدعامة المتينة الوحيدة لاعماله ، والصدق الناصح والمرشد المحب له بل هو النور الذي يقذفه الله في قلب من يشاء من عباده ، ليفرق بين الحق والباطل والحسن والقيبح والخير والشر ، فيستمد منه ما يستمد من علوم يحصلها ، ومعرفة لعواقب الامور التي تترضه ، وليبتدي به لما ينجمه ، ويتجنب به عما يشقيه .

فهو خير المواهب السماوية ، واعظم النعم الالهية التي تخرج الانسان من ظلمة البهيمية الى نور الانسانية، تميزه عن الملائكة ان تابهها وشايعها وتغلب بها على الشهوات . كما انه يسفل عن البهائم إذا عدم العقل أو غلبت الشهوة الحيوانية عليه .

والى هذا المعنى اشار الامام (ع) بقوله : فاذا عدم العقل فانه يلحق بمنزلة البهائم بل يجعل كثيراً مما تهتدي اليه البهائم، يعنى الالهامات الفطرية والهداية الطبيعية ثم استدل (ع) على ذلك فقال: الاتري كيف صارت الجوارح حتى الاعضاء العاملة مع اعضاء الحواس المدركة . المحركة مع سائر الخلال التي بها صلاح الانسان مع العقل نفسه بحيث لو فقد الانسان واحداً منها اعظم ما يناله ، بفقدانه اياها من الخلل في احواله وافعاله ، وانها توافي خلفه على التمام . وبعبارة أوضح أنه يقول (ع) : افلا ترى ان كل هذه النعم والمنح التي وهبها الله تعالى للانسان، كيف صارت توفى وتلائم وتناسب خلقه بالتام وعلى التمام غير منقوصة ولا مختلة ولا زائدة فاذا عدم شيئاً منها وحرم احدها ، فقد ذهب عنه ما كان يحصله من نعمة وجودها من الصلاح والضرورة . أجل فلو فكرت فكراً صحيحاً ، وتفعلت ذلك امرت انه لماذا كان كذلك ولتحققت انه لم يخلق هكذا الا وقد كان خلقه بعلم وتقدير ، ولم يوضع كل عضو موضعه الخاص به الا عن حكمة وتدبير ، فتمالى الحكيم القدير .

## الحكمة في فقد بعض الناس لشيئ من الجوارح

قال المفضل: فقلت: فلم صار بعض الناس يفقد شيئاً من هذه الجوارح فيناله من ذلك مثل ما وصفته يامولاي؟ فقال عليه السلام: ذلك للتأديب والموعظة لمن يعمل ذلك به، أو انيره بسببه، كما يؤدب الملوك الناس للتكامل

بديهي ان لكل موجود في العالم غاية في ايجاده، وغرضاً مقصوداً من خلقه هل ان هذا لا ينافي أن يصدر منه احياناً ما لم يكن من الغرض المقصود. خذ لك مثلاً القراض الذي اعد للخياط وقطع الاثواب عادة؛ فإنه قد يستعمل القص الاظافر، أو بدلا عن السكين؛ أو قطع اشياء اخر غير الاثواب.

وهل هذا الغرار ترى الاعضاء التي خلقت بالطبع لغاية حكيمة مقصودة وحمل خاص معلوم قد نستعمل لها جيبات اخرى لم تخلق هي لأجلها، كالاسنان التي خلقت لتقطيع الغذاء وسحقه، ولا استقامة الحروف والنطق قد نستعمل للعض والتمش، وكاليدين اللتين قد يمشي عليهما الانسان وكالرجلين اللتين خلقتا لَمْشي قد يكتب بهما الى غير ذلك. وهذه سنة جارية في جميع المخلوقات بما فيها الانسان. ولن نجد اسنانه الله تبديلاً.

وهنا مسألة مهمة يجب الالتفات اليها انهم مفرى كلام الامام (ع) في قوله: وذلك للتأديب والموعظة - الخ فنقول:

ان الانسان إنما شرف وكرمه الله تعالى على غيره، ليس ذلك لحسن شكله

والمواظفة ، فلا ينكر ذلك عليهم ، بل يحمد من رأبهم ، ويتصوب من تديبرهم . ثم ان للذين تنزل بهم هذه البلايا من الثواب بعد الموت - ان شكروا وانابوا . ما يستصغرون منه ما ينالهم منها ، حتى انهم لو خيروا بعد الموت لا اختاروا ان يردوا الى البلايا ليزدادوا من الثواب .

أوداعة هندامه أو صفاء لونه ، أو جمال تخطيط أعضائه ، أو انتصاب قوامه . كلا . بل إنما كان ذلك لوجود النفس الناطقة فيه . وما واهه المدركة للخير والشر والمبجزة بين الحسن والقبیح والشاعرة بالحق والباطل وبالجملة لوجود الانسانية الجامعة لكل تلك الفضائل فيه . وسلم ان هذه الفضائل كلما كثرت فيه كان اشرف وأفضل ، وكلما كان اشرف في أهله وأهله في أعماله كان اقرب إلى ما خلقه الله لأجله . والعكس بالعكس . وبعبارة أوضح - أن الانسان مهما استعمل - وراحه فيها خلقت لأجله ، ومهما شغلها بما أعدت له ، فإنه يسمو بذلك الى صفوف الملائكة ويقرب الى الملا الأعلى كما انه كلما أهملها أو استعملها فيها لا يربده الخالق : يرد الى أرذل الوجود : وانعط عن مقام شرفه الرفيع الذي خلق له الى منحدر البهيمية والحيوانية السافلة .

ولاجل تحصيل هذه الغاية السامية ارسل الحكيم التفضل رسله وانبياءه الى عباده بشربين ومنذرين يشررون بالثواب الاخروي والسعادة الدنيوية لمن عمل صالحاً واستعمل جوارحه فيما يريده الحكيم : وينذرون بالعقاب الاخرى والشقاء الدنيوي من خالف تلك النواميس الهادية والقوانين الصالحة المرشدة . وبدبهي ان ذلك الانذار ليس الا لتأديبه وتقويم أوده حتى يسير مستقيماً الى حيث الانسانية للصحيحة والسعادة المطروبة . فلا يزل عن طريق الحق فبهوى شرفه باستعمال جوارحه في خسانس الافعال التي فعمله اخس من البهائم . فيكون لذلك بالطبع مجرماً مقصراً مع نفسه وانسانيته مبدءاً نفسه عن خلفه ، مقرباً لها الى الناحية التي لم يخلقها الحكيم لاجلها .



وهنا يحكم العقل والوجدان بان هذه الخلة مما توجب التوبخ والتأديب طلباً  
لنعمه عن افساد نفسه الشريفة وتوخياً لاعادته الى صلاحه واصلاحه، إذا فيكون هذا  
التأديب من الحكيم الخبير موعظة وتنبهاً له على خطاه ، وعبرة لغيره من بني نوعه ،  
حتى نستقيم الحياه الانسانية للفرد والمجتمع .

ولا بدع فان التأديب والتوبخ سنة طبيعية جارية ، وطريقة بشرية اتخذها  
حتى الملوك مع رعاياهم إذا خالفوا قوانينهم السنوية المقررة فتراهم يتكلمون بالمقصرين  
وبمعاقبون المجرمين بأنواع العقاب بقصد التأديب لهم وصد غيرهم أن يعمل مثلهم ، ومع  
ذلك لا ينكر عليهم ، بل ولا يرى ذلك ظلماً منهم أو اجحافاً في حقوق أولئك المخالفين  
بل يحمد رأبهم ويصوب تدبيرهم في سياسة امورهم هذا وهم يي الملوك اناس مثلنا ،  
عقولهم محدودة ، ومداركهم مملومة ، يصيبون ، يخطئون ، بل هم لي الخاطئ أقرب ،  
والى الظلم اميل ، فكيف بالخالق الحكيم عالم الغيب والشهادة والله اعدل الكريم القدي  
لا بأس الا بما هو صالح للعباد ولا ينهي الا عما يفسد حياتهم ويضرهم . وفوق ذلك  
كله فانه تعالى وتقدس رحمة منه ورافة بعباده لم يبدع هؤلاء الذين المقصرين الذين  
ابتلام بتلك البلايا تأديباً ، وحرهم من تلك النعم في الدنيا تنكلاً أقول : لم يبدعهم  
محرومين في الآخرة كما حرروا في الدنيا ، بل عوضهم نفعا اخروريا ، ثوابا جزئيا بعد  
الموت ، ولكن بشرط ان يشكروه وينيبوا اليه ، فانه تعالى سيُعطيهم إذا صبروا  
وشكروا من الآخرة والثواب ما يستصرون منه كل عظيم من البلاء ، ويستهلون كل  
صعب مما ينالهم في دار الدنيا ، حتى لو خيروا بعد الموت بين البقاء على نعيم الجنة  
وهي الرجوع الى الدنيا في بلاياها ، لا اختاروا أن يردوا الى البلايا والهن طمعاً في  
زيادة الثواب وحزبى النعم ، وطلباً للزبد مزاراً في الآخرة بسبب ابتلائهم في الدنيا  
ولقد تواترت الاخبار الصحيحة عن النبي (ص) وآله لاطهار ، في تعظيم اجر من

اصيب في الدنيا ثم صبر واناب وشكر. وحيث لم نحمدتها عملاً فذكر الأخبار والأحاديث  
للـمخينة في ذكر عظم ثواب الصاب بالبلايا والمحن الصابر ملها والشاكر لله عند  
نزولها . فاننا نرجع ذلك الى عمله من كتب الفقه والاخبار فليراجعها من شاء .

## حكمة خلق الأعضاء أفراداً وأزواجاً

قال عليه السلام: فكري ما فضل في الأعضاء التي خلقت افراداً وأزواجاً  
وما في ذلك من الحكمة والتقدير والصواب في التدبير . فالرأس مما خلق  
فرداً ولم يكن للانسان صلاح في ان يكون له أكثر من واحد ، الا ترى  
انه لو اضيف الى رأس الانسان رأس اخر لكان ثقلاً عليه من غير حاجة  
اليه . لان الحواس التي يحتاج اليها مجتمعة في رأس واحد ثم ، كان الانسان

لو فكرت في تركيب بدن الانسان ونظرت بعين البصيرة متأملاً في تناسب  
اعضائه وأحكام اجزائه لادركت معنى قوله تعالى - لقد خلقنا الانسان في احسن  
تقويم - ولوقفت على بعض تلك لهجائب البهرة للمعقول . وقبل من الحكمة التي نهب  
الالاب ، والابداع الذي يخبث لديه الب الواعي والفكر السليم ، ولكنك مردداً  
قول الامام أمير المؤمنين (ع) .

انزع منك جرم صغير وفيك انطوى العالم لاكبر  
نعم لو تأملت في الاعضاء التي خلقت افراداً والتي خلقت أزواجاً فانك ليجد  
في ذلك من الحكمة والتقدير والصواب والتدبير ما يجعلك تخضع لمنظمة الخالق خاشعاً  
وتخضع لجلالته صاغراً .

ينقسم قسمين لو كان له رأسان ، فان تكلم من احدهما كان الاخر معطلا لا ارب فيه ، وان تكلم منهما جميعاً بكلام واحد ، كان احدهما فضلاً لا يحتاج اليه ، وان تكلم باحدهما بغير الذي تكلم به الاخر ، لم يدر السامع باي ذلك يأخذ واشياء هذا من الاخلاط . واليدان مما خلق لزوجاً ، ولم يكن للانسان خير في أن يكون له يد واحدة لأن ذلك كان يخل به فيما يحتاج الى معالجته من الأشياء الأتري ان التجار والبناء او شئت احدى يديه لا يستطيع ان يعالج صناعته ، وأن تكلف ذلك لم يحكمه ولم يبلغ منه ما يبلغه إذا كانت يدها تتعاونان على العمل .

خذ لك مثلاً رأس الانسان الذي خلق فرداً ، ونأمل فيه فهل تتصور صلاحاً في أن يكون له رأسان أو أكثر . لا ارب انك لن تجد صلاحاً في ذلك ، لانك لو فرضت ان كان له رأسان ، ألم تكن تحمك بعقلك ان الثاني سيكون ثقلاً عليه من غير حاجة اليه فان هذا الرأس الواحد كان قد جمع جميع الحواس المحتاج اليها الانسان في حياته ، ولم تبق له حاجة الى غيرها لتكون في رأس ثاني : هذا من جهة . ومن جهة اخرى انه لو كان له ثاني لا تنقسم الانسان الى قسمين ، لانه إذا تكلم باحدهما بما يريد أصبح الثاني معطلا لا ارب فيه ولا منفعة ، وإن تكلم بها جميعاً ، فلا يخلو أما أن يتكلم ما بكلام واحد ، فيكون احدهما بالطبع فضلاً زائداً ، وإن تكلم احدهما بغير الذي تكلم به الآخر ، بقی السامع متعيراً بآبائها بأخذ ، وهذا بحكم العقل يكون خلاف الحكمة . وبدهي ان خلاف الحكمة لا يصدر من خالق حكيم عالم خبير . فيكون حينئذ أكثر من رأس واحد غير صالح ولا لزوم له في الخلقة .

وهكذا إذا فكرت في خلق اليدين ازواجاً ، فانك ستجد بالضرورة ان

الانسان لا يستغنى عنها بيد واحدة بتاتا ، ولم يكن خيرا له في احواله ومعالجته واجباته أن تخلق له يد واحدة لان ذلك يحل به ويقصر في يحتاج الى معالجته من الاشياء الأخرى ان النجار والبناء وكل من تكون صناعته يدويه ، لو شئت احدى يديه أو قطعت أو أصيبت بما يوقف العمل المطلوب منه ، فانه لا يستطيع ان يعالج صناعته بالآخرى الصحيحة وحدها ، وعلى فرض انه استطاع بتكسلف أن يعمل بها ما يريد أهل ترأه بحكم عمله أو أن يبلغ فيه ما كان يبلغه عندما كانت يدها سالتين تتعاونان معاً على العمل ؟

ومثلها الرجلان اللتان خلقنا زوجاً ليحصل بهما الشيء والانتقال والقيام والقعود وحمل الاجسام والانتصاب وغير ذلك مما لا غنى للانسان عنها فانه لو كان له رجل واحدة لامتنع عليه كل ذلك . وهكذا لو كان له أكثر من رجلين لكثرت الزائد زائداً لاحكة تفتضيه ولا حاجة تطلبه . وعلى هذا الفرار خلقت الميزان زوجاً والانف فرداً والاذنان زوجاً والقدم فرداً ، الى غيرها من الاعضاء التي شامت الحكمة والابداع خلقها زوجاً أو فرداً وحيث ان هذا المختصر لا يفي ببيان الحكمة والصواب في خلق كل عضو عضو زوجاً كان أو فرداً ، كذلك نجد الامام (ع) لم يذكر هنا سوى الرأس واليدين على سبيل المثال - ولم يبين من المنافع الا ما أراد أن يكون نموذجاً يسير عليه الفكر في قياسه ، ويدرك العقل ابداع الصانع عند التفكير في حكمة الخلقات ومعجائب الصنعة وغرائب الابداع ، يعتبر للمعتبرون ويتنبه الغافلون ، والله الهادي الى الصواب .

## في الصوت والكلام

قال عليه السلام : اطل الفكر يا مفضل في الصوت والكلام وتبأه  
الانسان في الانسان ، فالنجرة كالانبوبة لخروج الصوت ، واللسان والشفتان  
والاسنان لصياغة الحروف والنغم ، الا ترى ان من سقطت اسنانه لم يقم

الصوت ظاهرة طبيعية وحركة عوجية تدركها حاسة السمع ، وهو يتولد من  
اهتزازات الاجسام الصلبة أو السائلة أو الغازية . ثم من انتقال هذه الاهتزازات خلال  
الهواء أو أي جسم من غيره الى الاذن حيث يحصل فيها ما يسمى (صوتاً) وبمختلف  
هذا الصوت شدة وضعفاً حسب القديذبات التي يحدثها الجسم الضارب للهواء أو بحسب  
اختلاف كثافة الهواء واطافته ، إذ كلما كان الهواء ا كثف كان للصوت اعلى وكما  
كان الطف كان اخفى . الا ترى انك تسمع الصوت في اعلى الجبال اضعف منه في  
الاماكن الواطئة أو المحصورة . ثم ان هذا الصوت إذا كانت اهتزازاته منتظمة  
ومتناسقة القديذبات متعاقبة النظام سمى ( صوتاً موسيقياً ) أو ( نغمة موسيقية ) . فاذا  
انمكس لاصطدامه بسطح صاب كما تنعكس الموجات المائية باصطدامها بالشاطئ مثلاً  
ثم طرق طبله الاذن ثانياً دعى (صدى) . واذا قوى بانحدار الموجات الاصلية مع الموجات  
المنعكسة اصطاحوا عليه ( رنيناً ) . اما اذا كانت الموجات فيه غير منتظمة القديذبات بل  
كانت مختلفة غير مؤتلفة ولا متناسقة فيدمى ( دويًا ) .

هذا هو الصوت المطلق ، أي الصوت الحادث من أي جسم مصوت على وجه  
الاجمال اما صوت الانسان ( وهو المقصود في هذا البحث ) والذي ذكره الامام ( ع )

السبين ، ومن سقطت شفته لم يصح الفاء ، ومن ثقل لسانه لم يفصح الراء  
واشبهه شئ ، بذلك المزمار الاعظم . فالحنجرة تشبه قصبه المزمار والرثة تشبه  
الزق الذي ينفخ فيه لتدخل الريح ، والعضلات التي تقبض على الرثة ليخرج  
الصوت كالأصابع التي تقبض على الزق حتى يجري الريح في المزمار ،

هنا فهو عبارة عن الهواء الخارج من داخل الرتين بواسطة التنفس . ضارباً وترى الصوت  
في الحنجرة ليتموجا فيحدثنا الصوت الانساني بذلك التموج . كما يحدثه اوتار العود اذا  
تموجت بالضرب . ثم يتحول هذا الصوت بمساعدة الفم والاسنان والشفتين الى مقاطع  
وانغام فالماظ فكلام .

ولتوضيح ذلك يلزمنا ذكر اعضاء الصوت وكيفية حدوثه ومعرفة مخارج

الحروف وترتيب صيرورتها الفاعلاً ثم كلاماً مفهوماً أو غير مفهوم ، فنقول :

أما اعضاء الصوت فهي (١) الحنجرة (٢) الوتران الصوتيان داخل الحنجرة  
وهما حبلان من نسوج من اصفر ، وبينهما فتحة تدعى ( المزمار ) تقسع اثناء الشيق  
والزفير بواسطة ابتعاد أحد ذلك الحبلين عن الآخر واقترابهما من بعضهما مرة اخرى  
وقد تضيق احياناً عند التنفس الهادى . أما عند الكلام فيقرب أحد الوترين نحو الآخر  
كثيراً .

أما كيفية حدوث الصوت فهي ، ان الهواء الخارج من الرتين بواسطة التنفس  
لا بد وان يمر من القصبه الهوائية ( الحنجرة ) بين وترى الصوت في فتحات تجمل هذين  
الوترين بهتان امتزازاً يتولد منه الصوت . ثم ان هذه النفخات الصادرة عن الوترين  
تتحول بواسطة الحنجرة والفم والاسنان والشفتين الى مقاطع مختلفة تتركب منها الحروف  
الهجائية . ثم ان هذه الحروف تتركب الفاعلاً وكلاماً في الامة ، وهذه الالفاظ المتكونة

والشفتان والأسنان التي تصوغ الصوت حروفاً ونمماً كالاصابع التي تختبئ في فم الزمار فيصوغ صفيره العائناً. غير انه وإن كان مخرج الصوت يشبه الزمار بالدلالة والتعريف، فإن الزمار في الحقيقة هو المشبه بمخرج الصوت مجموعاً إن أفادت في أداء الغرض سميت (قولا) وهذا القول إن كان مفرداً فهو (كلمة) في اصطلاح النحويين وإن ركب من اثنين أو أكثر وكان مفيداً لنسبة مقصوده فهو (كلام) عندهم وإن لم يقد ذلك فهو (قول مركب) .

وهذا النوع من حدوث الصوت مختص بالنوع الانساني دون غيره من انواع الحيوان ولا ريب ان ذلك نعمة عظيمة خص الله تعالى بها هذا المخلوق الذي ميزه على سائر خلقه بلفظه وكرمه فقال تعالى : ( الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان ) . هل انالوا تاء انما خلقه نفس الانسان ووضع حياته الدينية والاخرية ، لهلنا انه محتاج الى النطق والكلام احتياجاً ضرورياً بحيث يصبح بهيها حجراً صامداً . أو حيواناً من العجاياوات التي لا تنفع ولا تنفع ، ألا ترى انه بالكلام يكون نعت الانبياء والرسل وبالكلام يحصل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وبالكلام تدرك خبايا الضمائر ومكنونات القلوب ، وبالكلام تعي النفوس وتكتسب العاوم والمعارف ، وبالكلام تعرف المقاصد والاعراض من للتكلم والمخاطب ، بل وبالكلام تدير الحياة الفردية والاجتماعية سيراً مستقيماً ، وبالكلام تنظم القوانين والنواميس التي يمتدل به العيش الخاص والعام الى غير ذلك من الامور الحيوية . إذاً فنفع النطق والكلام عام لعالله وسامعه ، وهو ضروري لا يمكن بقاء الحياة الا به .

أما كيف تتولد الحروف الهجائية التي هي الاساس لحدوث النطق وصورته كلاماً فذلك مما يلزمنا معرفة مقاطعها ومخارجها أولاً وهي الاسنان واللسان والفم والشفتان .

فالأسنان وعددها في العالب ( ٣٢ ) سناً وهي أربعة أقسام :

أولاً : الثنايا وهي أربعة في مقدم الفم ، اثنان من الأعلى واثنان من الأسفل

ثانياً : الرباعيات وهي أربعة كذلك في جانبي الثنايا فوقاً وتحتاً .

ثالثاً : الأنياب وهي أيضاً أربعة في طرفي الرباعيات اعلى وأسفل .

رابعاً : الأضراس وهي عشرون على الأكثر ، أربعة منها (الضواحك) متصلة

بالأنياب، واثنان عشر منها ( الطواحن ) على جانبي الضواحك ، وأربعة منها (النواجذ)

في أخريات صفي الأسنان من الأهل والأسفل ، وتسمى هذه أيضاً (بأسنان العقل)

قد يخرج منها اثنان عند البعض ، وقد لا يخرج عند الآخرين .

فهذه الأسنان مع الشفتين مع اللسان مع فضاء الفم كلها تكون مخارجاً للحروف

وبها تحصل مقاطعها وصيغها ونغماتها . وقد عد علماء علم التجويد تلك المخارج خمسة

عشر مخرجاً وهي :

( أولاً ) مخرج - ه - و - وهو أقصى الحلق ( الثاني ) مخرج - ع - ح -

وسط الحلق .

( الثالث ) مخرج - غ - خ - في ادقاه ( الرابع ) مخرج - ق - وهو أصمحل

اللسان وما فوقه الى الحنك ( الخامس ) مخرج - ك - بعد القاف ( السادس ) مخرج

- ش - ج - هـ - وسط اللسان وما فوقه من الحنك ( السابع ) مخرج - ض - وهو

أول حافة اللسان . يستعمل الى ما يليه من الأضراس ( الثامن ) مخرج - ل - وهو

أقصى حافة اللسان الى منتهى طرفه مع ما حاذاه من الحنك الاصل فوق الناب والضحك

والرباعية ( التاسع ) مخرج - ن - وهو فوق اللام قليلاً ( العاشر ) مخرج - ر -

وهو من مخرج النون الى ظهر اللسان قليلاً ثم يخرج الى مخرج اللام ( الحادي عشر )

مخرج - ط - د - ت - وهو طرف اللسان واطراف الثنايا العليا ( الثاني عشر ) مخرج

- ظ - ذ - ث - وهو طرف اللسان واطراف الثنايا السفلى ( الثالث عشر ) مخرج



ص - س - ز - وهو وسط اللسان واطراف الثنايا العليا ( الرابع عشر ) مخرج  
ب - و - م - وهو بين الشفتين ( الخامس عشر ) مخرج - ف - وهو في باطن  
الشفة السفلى واطراف الثنايا العليا .

والخلاصة ان الضابط لمعرفة مخرج كل حرف من الحروف الهجائية : هو أن  
تسكن الحرف المطلوب معرفة مخرجه ، ثم تدخل عليه الهمة المفتوحة ، ثم تلتفظ به  
وتصني اليه بحيث انقطع الصوت كان ذلك مخرجه . فنلا نقول . اب - اخ - اس -  
وهكذا .

فاذا عرفت ذلك عرفت مقصد الامام ( ع ) بقوله : إذا سقطت اسنانه لم يحم  
السين لان مخرج السين كما تقدم هو وسط اللسان واطراف الثنايا العليا ، فان سقطت  
الثنايا لان مخرج السين مفهومة معلومة . كما ان من سقطت شفته لم ينصح الفاء لانها تخرج  
من باطن الشفة السفلى واطراف للثنايا العليا . اما الراء التي يكون مخرجها فوق حافة  
اللسان الى منتهى طرفه ، وإلى ظهره قليلا . إذا ثقل اللسان لم تنصح بالضرورة .

وقد ذكر الامام ( ع ) هذه الاحرف الثلاثة على سبيل المثال : ولانها اظهر  
الحروف وأكثرها استعمالا . ولبيان بذكرها ايضا ان اعضاء صياغة الحروف ومدار  
الكلام هو الفم والاسنان والشفتان والحنجرة فقط .

ثم شبه عليه السلام هذه الاعضاء الصوتية للكلامية - تقريبا للذهن - بالزمار  
المعروف فقال : فالحنجرة تشبه الزمار والرئة تشبه الزرق الخ وهو اي الزمار عبارة  
من قصبة مستطيلة ذات ثقب من جوانبها . تنتهي من اسفلها بزق ينتفخ بنفخات الزامر  
وإذا ضغط هذا الزامر على الزق خرج للريح الى القصبة ، فيحصل بذلك ترجيع  
واهتزاز بواسطة اختلاف وضع اصابع المازف على تلك الثقوب المنفرقة في جوانب القصبة  
كأنه يزداد ذلك الاهتزاز بتحريك اصابع الزامر أو المازف على فم الزمار : فنحدث  
من مجموع ذلك انغام موسيقية منتظمة . فالحنجرة شبيها بالقصبة لطولها ونحويها ،

والرئة بالزق المنفوخ حينما تنتفخ بهواء الشهبق والزفير . وشبه العضلات التي في اطراف الرئة والتي يحصل بها القبض والسيط على الرئة بالاصابع من المازف القدي بضخمة الزق لاخراج ريمه ، وهكذا شبه الشفتين والاسنان التي تقطع الصوت الانساني لتدعوه حروفا وانظاماً ، باصابع الزامر من اليد الاخرى التي تلعب على فم الزمار لتجعل الريح الخارج من فم صغيراً والحاناً .

ثم لما كان عرف المنطق يفتضي أن يكون المشبه به اجلى واعرف من المشبه ، وهنا كان القسبه بالعكس : فقد نبه الامام (ع) الى ذلك بقوله : غير انه وإن كان مخرج الصوت يشبه الزمار بالدلالة والتعريف ، فان الزمار بالحقيقة هو المشبه بمخرج الصوت الخ فتأمل يا مفضل وفكروا طل الفكر واعتبر بالصوت والكلام ومعرفة آياته واحكامها واتقانها وجداعة صنعها ، فهل من صدفة تحدث ذلك .



## في المآرب الأخرى من أعضاء الصوت

قال عليه السلام: قد أنبأتك بما في الاعضاء من الغذاء في صنعة الكلام واقامة الحروف . وفيها مع الذي ذكرت لك مآرب أخرى . فالخنجرة ليسلك فيها هذا النسيم الى الرئة فتروح على الفؤاد بالنفس الدائم المتتابع الذي لو حبس شيء يسير منه لهلك الانسان، وبالاسان تذاق الطعوم فيميز

---

ان لاعضاء منافع اخرى ومآرب كثيرة غير ما ذكرنا بينها الامام (ع) في الفصل الانف ، وخصص هذا الفصل بذكر البعض الآخر تكميلا للفائدة كما يلي: اما الخنجرة : فهي قناة خاصة بالصوت موصلة في اسفل الاسان امام الباهوم ولها فتحتان عليا وسفلى، والعليا اكبر من السفلى تتصل بالباهوم والسفلى تتصل بالقصبة الهوائية التي تنزل على طول العنق امام المري الى الرئتين حيث تقسم الى قسمين (شعبتين) تدخل كل شعبة منها الى احدى الرئتين يمينا وشمالا لغاية ادخال الهواء المسد شق من الخارج اليها بواسطة الشبقي واخر اجه منها بالزفير، وبهذا تعرف معنى قول الامام (ع) : ليسلك فيها هذا النسيم الى الرئة فتروح على الفؤاد (القلب) بالنفس الدائم المتتابع . فان الغرض الاصلي من التنفس بعد تنقية الدم وتصفيته هو ترويح القلب وتسكين حرارته التي لو بقيت فيه كما هي ولم تبرد بالترويح: لآثرت فيه انبهاكا وانحلالا واخيرا وقفا عن العمل والحركة اللتين هما مدار جميع الحركات في حمل بدن الانسان، ويوقوف القلب تغف جميع الاعضاء عن اعمالها، وهذا هو الموت ،

بينها ويعرف كل واحد منها حلوهامن مرها، وحامضها من مزها، ومالحها من عذبا، وطيبها من خبيثها وفيه مع ذلك معونه على اساعة الطعام والشراب والاسنان لمضع الطعام حتى يلين، وتسهل لساعته، وهي مع ذلك كالسند للشفتين تمسكهما وتدعمهما من داخل الفم، واعتبر ذلك فانك ترى من سقطت اسنانه مسترخي الشفه ومضطربها وبالشفتين يترشف الشراب

ولذلك فقد جعل الله تعالى هذا المعضو المهم (القلب) بين شقي الرئة وصيرها كالروحيتين له لروحانه بسيم التنفس المتتابع المستمر لكيلا تنقف حركته فيهلك صاحبه أما اللسان : فهو عضو الكلام والذوق ، وهو عبار عن كتلة عضلية مغطاة بفشاء مخاطي خشن ذي نتوآت كثيرة تعرف ( بالهلمات مزوداً بمدد عظيم من الغريمات النهائية للاعصاب الخاصة بالذوق ، وفيه كثير من الاوعية الدموية الدقيقة، واعصاب اخرى تسمى ( العصب تحت اللسان ) وهي المحركة له نحو الجهات الاربع. أما وظيفته الكلامية فقد مر الكلام عليها ، وأما وظيفة الذوق المختص هو بها دون سائر الاعضاء فان الأعصاب الذوقية التي ذكرناها لك الآن هي التي تميز الطعوم والنكهة : وتعرف جودة الغذاء وردائه ولذته وبشاعته فاذا نلذذ بما كول أو مشروب تناوله الآكل ، وإذا اشأزت منها نفسه تركها . ولكن هذه الاعصاب ليست هي الحاكمة : بل انها توصل الطعم مذاق الى الدماغ حين ملاسته له فيحكم الدماغ نفسه بذلك النوع من الطعوم ، من حلالة او مرارة أو حموضة أو ملوحة أو عذوبة أو طيب أو حث الى غيرها . وهذه الحاسة تقوى وتلتبه بالتمرين والممارسة وتضعف أو تنفقد باستعمال اللذيات القوية كالتغ الكثير والحمر والمواد الحريفة أو بواسطة بعض الامراض ولسان ايضا وظيفة اخرى غير ما ذكرنا وهي : جمع الطعام المضوغ ثم دفنه الى الحلق ، ثم اعانته على لاذرداد ، هذا مضافاً الى ان الطيب الحاذق قد يستعمل

حتى يكون الذي يصل الى الجوف منه بقصد وقدر ، لا يشج نجا فينص به الشارب أو ينكا في الجوف ، ثم هما بمد ذلك كالباب المطبق على القم ، يفتحها الانسان إذا شاء ، ويطبقتها إذا شاء ، وفيها وصفتان هذا بيان ان كل واحد من هذه الاعضاء يتصرف وينقسم الى وجوه من المنافع ، كما تتصرف الاداة الواحدة في اعمال شتى ، وذلك كالفاأس تستعمل في النجارة والحفر وغيرها من الاعمال

على صحة البدن وسقمه بالنظر الى شكله ولونه ونقائه وجفافه ورطوبته الى غير ذلك من المنافع .

أما الاسنان : فقد مر عليك تفصيل تركيبها وتكوينها ومنافعها في الفصل الآف ، بيد انا نذكر هنا بعض فوائدها الاخرى . فانها بالاضافة الى انها الواسطة الكبرى في ايجاد مخارج الحروف ومقاطعها وتكوين الالفاظ وتجهين النطق ، فهي تعين المعدة على هضم الطعام بسبب اجادة المضغ وتليين اجزاء الطعام ومزجه بلعاب القم لتسهيل بذلك اساعته وببها للمضم في المعدة بعد نزوله اليها . ومن فوائدها المهمة أيضاً تجهين شكل الوجه وتكامل تدويره باسنادها للشفتين ودعمها ومسكها عن ان يسترخيا ويضطربا : ثم انها ترفع الحديد لكي لا يفوسا في القم فيقبح الشكل كما يحدث للسنين الذين تسقط عند الكبر اسنانهم . الى ذلك من المآرب التي افنتضها الحكمة الالهية واظهرتها الحاجة الانسانية في الحياة .

أما الشفتان : فهما عضوان لحيان لاعظم فيهما ، بل فيهما عضلات أربع لتحريكها الى الجانبين والى الاعلى والاسفل ، وقد خالطتها هذه العضلات مخالطة لا يقدر الحس الجرد على ادراكها وتمييزها . كما وان لها من الفوائد عدا مساعدتها للاسنان واللسان

على تكوين الحروف وتميز المقاطع ، فاللثة سترها للسان من ان تظهر فيقبح منظر  
الوجه وبذلك يطمأن للوجه رونقاً وجمالاً . كما انه بسببها لا يدخل الشراب الى الفم  
دفعة واحدة فينكأ في الجوف أو ان يشج ثجاً فيتنفص به الشارب ، بل بواسطتها يترشف  
ترشيقاً بقصد وقدر ، ثم ما بعد ذلك كالباب المطبق على الفم يفتحها الانسان متى شاء  
ويطبقها متى شاء الى غير ذلك من المنافع .

وبعد ذكر الامام (ع) فوائد تلك الاعضاء وما أودع فيها من الحكم المقصودة  
قال «ع» : وفيها وصفنا من هذا بيان ان كل واحد من هذه الاعضاء يتصرف الخ  
اي أن هذه الاعضاء كانت قد خلقت لاعمال خاصة ولكنها مع ذلك مستعدة وقابلة  
لاجراء اعمال اخرى غير المقصودة فهي كالقاس مثلاً حيث صنع لأن يستعمل في  
النجارة والحفر ولكنه قابل لتكسير الخشب مثلاً أو للضرب أو للقتل أو للتهديم  
أو لغيرها من الاعمال التي لم تصنع هي لاجلها فتأمل .

## الدماغ وعظمته

قال الامام عليه السلام : ولو رأيت الدماغ اذ كشف عنه لرأيتة ، قد لف بحجب بعضها فوق بعض ، لتصونه من الاعراض ، وتمسكة فلا يضطرب ولرأيت عاية الجمجمة بمنزلة البيضة كما تقيه هدا الصدمة والصكة التي ربما وقعت في الرأس ، ثم قد جللت الجمجمة بالشعر حتى صارت بمنزلة القرو للرأس يستره من شدة الحر والبرد . فمن حصن الدماغ هذا التحصين الا الذي خلقه وجهه ينبوع الحس ، والمستحق للحيطه والصيانة بملو منزلة من البدن وارتفاع درجته وخطير مرتبته .

---

ان المجموع العصبي العظيم هو ذلك الجهاز الحيوي الذي يقوم بجميع ظواهر الحياة من حس وحركة وسمع وبصر وشم وذوق ولمس وتكلم وتمقل وحب وكراهية وخوف وشجاعة وحزن وفرح وقراءة وكتابة الى كثير غيرها من الاعمال الحيوية الانسانية المختلفة مضافاً الى تنظيمه لوظائف سائر الاجهزة الاخرى كالتفذية والنمو والافراز والتنفس بل وكلها هولازم المجموعة البدنية . فهو إذا اساس الحياة وقوامها ومديرها .

وهذا المجموع العظيم مركب من جهازين « اولهما » الدماغ والنخاع الشوكي « وثانيهما » النخاع المستطيل مع الاعصاب والعظم السميانوى ، ونحن نذكر لك الآن ماهو موضوع البحث اي «الدماغ» ونرجي ذكر الباقي الى موضع آخر من هذه الرسالة

فالدماغ اى المخ والهَيْخ : عبارة عن عضو نخاعي رخو ، يكون من مادة بيضاء في  
الداخل سنجابية في الخارج ، يحيط به غشاء رقيق فوقه غشاء وفوقها ثالث وتسمى  
هذه الأغشية الثلاثة عموماً (بالسحايا) وبالأفراد تسمى الأولى الام الحنون وفوقها  
الغشائية وفوقها الأم الجافية .

وينقسم المخ الى قسمين يميناً وشمالاً يصل بينهما جسر يسمى (فروليبوس)  
وهذا المجموع من جرم المخ والأغشية قد حفظ ضمن وعاء من المظام يقال له  
(الجمجمة) أو (القحف) ثم غطى بنسيج بين النعومة والخشونة يدعى جلدة الرأس  
وعليها شعر كثير كالقرو وتمنظله توازن الحرارة والبرودة الواردة عليه صيفاً وشتاء .  
وهذه الجمجمة قد تركبت من ثمانية عظام اتصلت بعضها ببعض بواسطة شوّون  
ودروز بينها فكونت من اتصالاتها هذا التجويف الجمجمي الذي يحفظ الدماغ أما  
عظامها فهي (١) العظم الجبهي (٢ - ٣) العظام الجداريات (٤) عظم القفا  
(٥) العظم الوتدي (٦) العظم المصفوي أو المرالي (٧ - ٨) الصدغان .

أما المخ وهو أعظم جزئي الدماغ وثقله قدر تسعة ائشار الدماغ ، جميعه ومحلّه  
الجزء العلوى المقدم من تجويف الجمجمة اعني من الجبهة الى المؤخر ، ويحتوي على  
مئات من الخلايا الدقيقة للسماة (بالتلافيف) وهذه التلافيف لا يكمل خلقها قبل  
بلوغ الطفل السنة الثالثة من عمره ، كما انها تختلف اختلافاً ظاهراً في أطوار الحياة  
حيث تكون عند الولادة كل خلية منعزلة عن جاراتها ، وعند الطفولة تأخذ أشكالها  
في الاستدارة مع فتوات صغيرة ، وعند الرجولة تعظم ويمتد الربط بينها ، ثم يزيدها  
التمرين نمواً واتصالاً .

ومن المعلوم ان لكل خلية من تلك الخلايا قوة خاصة اذا فقدتها بأى سبب  
كان ، ظهر للصف في لداة وظيفتها بمعنى ان كل خلية تختص بادراك معنى جزئي  
خاص لا تتركه خلية أخرى ، وبهذا يمكن ان يقال ان التعليم هو العمل المقصود به



تهذيب وتنمية هذه الخلايا الحية وتوثيق عراها واحكام الصلة بينها لانها كلها مترابط  
معاً بخيوط شعرية دقيقة تسمى ( الاعصاب الشعرية ) .

ولتوضيح ذلك اعني لمعرفة ان لكل خلية قوة خاصة في الادراك ، نضرب  
الك مثلاً بأنك قد تنظر الى وردة فترأها ثم تنطق باسمها ثم تسمع وصفها ثم تشم  
عرفها ثم تذوقها ثم ترسم شكلها ثم تكتب وصفها بقلمك ثم تقبصها بنبرها الى غير  
ذلك من المعاني الجزئية فهذه الحركات الذهنية والتنقلات في المعاني ، ينضم شمل  
الخلايا المتنوعة التي اختص كل واحدة منها بادراك معنى جزئي خاص من هذه الامور  
الكليه فاذا كان التعليم بهذه الصورة ، فان المعاني تدخل الذهن جيماً وفرادى من  
ابواب النفس المتفرقة ، وتثبت اثارها في الحافظة ويتم اندماجها مع ما في الذهن  
من المعاني الآخر المخزونة هناك ، فتصبح لديك مادة للحياة الفكرية لا يستهان بها .

فالمخ على هذا يكون سلطان الارادة ، ومدبر الحواس الخمس ، والحاكم العام  
على كل تلك الوظائف المهمة ، ومنبع الاعصاب الممتدة الى كل الاعضاء لتوصل له  
الارادة فيحكم بها ومركز القوى الفكرية ، ومجلس العقل وال عاطفة . اما قشرته  
الرفيعة فهي صحيفة حساسة تنطبق عليها صور العالم لتكون التذكارات .

ولو نظرنا الى هذا الجهاز العظيم بعين البصيرة والتأمل لرأينا نسخة كاملة  
مطابقة لآلة التصوير (الفوتوغراف) فان موجة الشعور فيه كوجة النور في الآلة ودخول  
شعاع الشمس الى الهجرة السوداء من الآلة كدخول الشعور بواسطة الاعصاب الى  
الدماع . وكما يمر النور بالعدسة فيها يمر الشعور بالحيل الشوكي الذي يمثل العدسة  
فينعكس جزء منه (من الشعور) ويسرى باقى الاهتزازات الشعورية مكلاً طريقه الى  
الدماع . وهناك تتأثر المادة العصبية بالشعور ، كما يتأثر ملح الفضة بالنور ، ثم بانطباه  
فيه بخلف صورة اي تذكاراً للامر الآتي اليه من الخارج وليس هذا التشبه من قبيل  
المبالغة أو الخيال ، لان التيار العصبي في المخ ليس سوى مثال لتحول اهتزازات النور

أو الحرارة أو الكهربائية في الآلة الصورة .

والآن يجب ان يميز بين القوى الفكرية والقوة العاقلة في الدماغ المعبر عنها بكلمة « انا » والتي تمثل الذاتية للانسان . فان الدماغ فوتين عظيمتين هما (١) القوة المدبرة التي هي فوق الادراك والسيادة لدى العلماء النفسيين « العقل الظاهر » (٢) القوة الكائنة التي هي تحت الادراك « العقل الباطن » ، ولكل من هاتين القوتين أو العقلين وظيفة خاصة وعمل معروف .

فالفترة تحت الادراك « العقل الباطن » هي القوة التي تتناول حياتنا المادية من سمع وبصر وحس وحركة ونطق وكتابة واملاها من القوى التي لا حقي للانسان عنها في سير حياته الفردية والاجتماعية وهذه القوة قابلة للتغيير والزيادة بما يضاف اليها من المعارف والاختبرات المستمرة المتعاقبة وبما يخزن فيها من صور الحاضر والماضي أما العقل الظاهر ( القوة فوق الادراك ) فهي التي ليس للاختبار والدرس فيها بد أو تصرف ؛ بل انها قائمة بنفسها وهي التي تشرف على الانسان كالنور من اعلى الافق . فتنزل عليه الوحي وتمنح له أبواب النبوغ والعبقرية ، وتهديه الى طريق الاختراع والاكتشاف . وهي موجودة في كل انسان ، بمعنى ان لكل انسان استعداداً لأن يكون نابضة أو مخترعاً أو فيلسوفاً مثلاً ولكن كيف ومتى تظهر هذه القوة فيه ؟ وبأي وسيلة تنال ؟ فذلك ما لا نعلمه ولا يلزم به غيرنا حتى اليوم نعم انها تنبخر في ذهن بعض الناس اغتباراً وتظهر في فرد من أفراد هذا النوع ظهوراً منوطاً باصدفة أو التوفيق المقدر له .

وتقد أثبتت الحوادث وحقت التجارب ان العقل مرتبط باللمخ ارتباطاً وثيقاً لا يمكن انفصاله ، خصوصاً بعد ان رأَت الاطباء تأثير احدها على الآخر في الصحة والمرض ففي حوادث ارتجاج المخ بضربة أو صدمة ترى العقل يضطرب والفكر يتعطل . كما ان الحوادث الفكرية تراها تؤثر في المخ فتخلخل كميانه وتضطرب

أعصابه أو تنفجر خلاياه حتى قد يحدث الشلل أحياناً في الجسم وأحياناً بصعقه بالموت ولا فرق في أن يكون الأثر هذا من فرح أو حزن أو غيرها من المؤثرات الفكرية القوية الأخرى

هذه المقدمة التي عرفتك عظمة الدماغ وجلالة منزلة المخ وخطر مكانته في البدن هي التي فهمتك تدرك سر تخصيص الامام (ع) الدماغ بالذكر دون غيره من الاعضاء ذلك ليعتبر العتبر ، ويحجب الجاعد العاند . كما استفهم الحكمة في تخصيصه وصيانته بهذه الكيفية المتقنة ملفوفاً بحجب ثلاثه صميكة السبك قوية النسيج - فظاً له . والوارض ومسكاً له من ان يضطرب ثم ستعرف انه لماذا وضع وسط صندوق الجمجمة التي هي بمنزلة البيضة لكي الفارس القوي يضمها على رأسه في ميدان الحرب عندما يكافح ويتنازل الاقران لنقيه أثر الصدمة والصكة التي ربما كانت تقع على الرأس . ثم تأكيداً في المحافظه جلت هذه الجمجمة القوية الصلبة بالجلد السميك المليء بالشعر ليكون هذا الشعر كالغرو يقي الرأس ويستره من شدة الحر و-ورة البرد

فتنبه ايها العاقل . وتعقل ايها الجاهل . وتأمل ايها العامل . لماذا حصن هذا العضو العظيم بهذا التحصين القوي المهم ؟ ولماذا صين بمثل هذه الصيانة المحكمة ؟ ومن الذي حصنه وصانه ؟ أتري يكون ذلك صدفةً وبلا قصد . أم انه يتكون هذا الخلق العجيب بلا مكون عالم قادر . مبدع حكيم ؟

تلهم لاجمال للصدفة والاهمال ان يأتي بمثل هذا بل القدي خلفه هو الذي ابدع في خلقته واحكم صنمته . فجعل هذا العضو ينبوع الحس والحركة مستخفاً لمثل هذه الحيطه والصيانة وعلو المنزلة وارتفاع الدرجة على سائر الاعضاء فديحانه من مبدع حكيم ومصور قادر .

## الجفن والأشجار

قال عليه السلام: تأمل يا مفضل الجفن على العين كيف جعل كالنشاء،  
والأشجار كالاشراج، وأولجها في هذا الغار، وأظلمها بالحجاب وما عليه من  
الشعر .

الاجفان هي أغشية العين المتحركة من فوقها وتحتها والجفن عضو ذو طبقات  
ثلاث فظاهره مستور مجلد رفيع رخو ، وباطنه طبقة ملتصقة تسمى (النضفة)  
وفيا بين هذين المشائين قريبا من الحافة غضروف مثلث الشكل هلامي الازرع وفرفره  
أرتار العضلات الجاذبة للجفن نحو الأعلى ، وما بين هذه العضلات والاورتار غدة  
صغيرة تفرز على الغوام مادة دهنية لترطيب العين وتلينها ، كما ان هناك أيضا  
عروقا دموية كثيرة دقيقة جداً لتغذية الجفن ، ثم ان حافة كل جفن مكسوة  
بالأهداب وهي شعيرات صفار دقاق مقوسة تثبت في نتوءات ممتدة على طول الحافة  
التي هي منت تلك الشهيرات الهدبية ، وهذه النتوءات البارزة في شعار الاجفان  
أي حافاتها تكون كالاشراج أي العرى .

أما فائدة والحكمة من خنقة الاجفان هي (١) منع ما يلاقي امدقة من الاجسام  
الصلبة الخارجية (٢) حفظ العين من دخول الأشياء الغريبة فيها (٣) صيانتها من  
وصول الضوء الشديد الكثير اليها لكيلا تنصدع (٤) سقل العين وغسلها (٥) ابعاد  
ما قد يصيبها من الغبار والقذى (٦) تنبيه الغدد الدمعية والغدد الدهنية للافراز  
لللازم لعين في حركاتها المتواصلة ، الى غيرها من الغوائد .

وكذلك الحكمة في خلق الأهداب هي (١) صد الأشعة الضوئية الشديدة عن العين (٢) حفظها من الغبار والهواء العاصف والجسيمات الصلبة التي قد تدخل في العين عند انفتاحها (٣) صبرورتها كالسياح حول العين لمنع بعض الأشياء التي لا يذمها الجفن حال انفتاح العين (٤) كونها زينة وجهه (٥) أنه قد تنصل الأهداب العملية بالسفاهة فيحصل بذلك ما يشبه الشبكة ينظر الإنسان من خلالها عند هبوب الرياح الشديدة المتربة، مع حصول الرؤية دون فتح العين كثيراً، إلى غير هذا من المنافع. والى هذا كله أشار الإمام (ع) بقوله: كيف جعل كالفشاء والاشفار كالاشراج ثم قال «ع»: وأولها في هذا القار أي وأدخل العين في وسط الحجاج تشبهاً للحجاج بالقار لأنه نجوف عظمي حافظ للقطرة كما يحفظ القار ساكنة من الحيوانات وقد يسمى هذا الحجاج «المحجر»، وهو عظم واحد صلب نجوف يقي العين من الصدمات والارتجاجات الداخلية والخارجية وحتى مما يجاورها من الأعضاء. كما وقد اظله بالحجاب أي الجفن والشعر أي الأهداب. كل ذلك التحمين والهيانة والمحافظة لم تكن إلا لأهمية هذا الموضع الجليل وعظم مقامه للإنسان في حياته.

## الفؤاد المراد به القلب

قال عليه السلام : يا أفضل ، من غيب الفؤاد في جوف الصدر وكساه المدرعة التي هي غشاؤه ، وحصنه بالجوانح وما عليها من اللحم والمصب ، ثلاثا يصل اليه ما ينكاؤه .

المراد بالفؤاد هنا هو القلب . والقلب عضو عضلي صلبوري الشكل مخروطي الوضع يشبه الكعبري ، وحجمه كقضة يد صاحبه ، محاط بنشاء مصلي بميك قوى يسمى « الشفاف » أو ( التامور ) وهو كدرعة الكي الشجاع المناضل حيث تشبه من جميع الجهات عجوانبه لثقيه من كل صدمة قوية أو رجة مزعجة أو مضايقة عضو مجاور له يمتك به . وموصه في الفص الصدري بين الرئتين أنجاه للثلاث الاخير من القص بين الضلع الخامس والسادس تحت الثدي الابرص مباصرة ، وهو مرتكز على الحجاب الحاجز ، وقاعدته متجة نحو الاعلى ورأسه الى الاسفل ، يميل قليلا الى اليسار .

وهو منبع الروح الحيواني ، ومركز الدورة الدموية . لذلك تراه خلق شبيها بالمضخة الدافعة الدم نحو جميع انحاء البدن بانقباض عضلاته انقباضاً شديداً والجنذبة له مرة نالية بانبساط عضلاته انبساطاً وازنحاءاً . وبهذه الحركة الانقباضية لانبساطية المستمرة ينشأ الصوت السموع منه اللوس المسمى ( بالنض ) أو ( ضربات القلب وقرعاته ) . هذ عه ، أما وصفه وتركيبه ؛ فهو ينقسم الى شعبتين يحوى كل تنق منهما تجويضين ، فيكون على هذا فيه أربعة نجوميات اثنان من الاعلى ويسميان

« الأذنين » اليمنى واليسرى واثان في الاسفل وبسميان « البطيئين » اليمنى واليسرى ويفصل بين الأذنين جدار رقيق صقيل بخلاف الفاصل بين البطيئين فإنه صلب قوى . كما ان بين الأذن الايمن والبطين الايمن فتحة ، وبين الأذن الايسر والبطين الايسر فتحة اخرى ، وعلى هاتين الفتحتين صهارات مكونه من شرفات غشائية تتصل بالجدران المضطية للبطين بواسطة حبال عصبية قوية . وقد مررت عليك كيفية الدورة الدموية بالتفصيل غير انا هنا نقول : ان القاب أول ما يدفع منه يكون في الشريان الايمن المتصل بالبطين الايسر . ثم منه يتفرع الى عروق رقاق ، وهذه العروق الدقيقة ايضاً تنوزع الى ارق منها . وهكذا حتى تكون تلك الفروع الدموية رفيقة جداً بدرجة انك لو رصفت ثلاثة آلاف عرق منها لبلغت مسافة  $2/5$  سنتيمتر فقط ، وهي منتشرة متفرعة في جميع اسجة البدن ومتلاصقة ببعضها تلاصقاً متقارباً بحيث لو غرزت ارفع ابرة في لحم جزء من الجسم لم تقع الابرة الا على عرق من تلك العروق . فتأمل في هذه الآيات الباهرات والحلقة الحكيمة ، وانظر الى القلب وحده لترى كيف يبدأ بالحركة والنقبض منذ صيرورة الانسان جنيناً ثم يظل يدق وينضض طيلة عمر الانسان معها طال حتى الموت ؟ ومن هو المحرك له ؟ ولماذا اذا وقف هذا العضو الصغير في البدن آناً من الحركة سكنت كل حركاته ومات ؟ ولماذا لا يمكن ان يمكن ارجاعه ؟ ولماذا لا يكمل ولا يعمل عن العمل في حين انه لا يمتنع حركته ليلاً ونهاراً وبقظة ونوماً .

فلمعري انه لآلة عجيبة تبرز باعاجيبها كل اعاجيب البشر ومخترعاتهم المدهشة وآلاتهم العظيمة ، على ان كل تلك الآت الباهرة لمقول والمعيرة للالاب ، هي تحت ارادة الانسان في تسييرها وايقافها ، ولكن القلب لا تسيطر على تسيير حركته أو ايقافها ارادة البتة ، اللهم الا ارادة من خلقه فقدره وجعله نابضاً متحركاً مستمراً في تأدية هذه الوظيفة للهمة مدى الحياة .

ومن هنا تظهر لك عظمة هذا المصنوع الخبير في بقاء الفرد والنوع ، وتعرف جيداً لماذا اسر الامام « ع » تلميذه الفضل بالتأمل والتفكير فيه - من كونه غائباً في جوف الصدر وتدرعه بالفشاء القوي للنبية بمدرعة الكي ، ثم تحصنه بالجوامع كالقص والاضلاع حفظاً له من الصدمات من الداخل والخارج . ثم مع ذلك كله غطاه بالاجم والعصب ليقيه حتى من نفس الحصاصات ايضاً فسبحان الباري الحكيم .

## الحلق والمرى والقصبه

قال عليه السلام : من جعل في الحلق منفذين احدهما لخرج الصوت وهو الحلقوم المتصل بالرئه ، والاخر منفذاً للغذاء وهو المرى للتصل بالمعدة الموصل للغذاء اليها ، وجعل على الحلقوم طبقة يمنع الطعام ان يصل الى الرئه فيقتل .

الحلق هو مجرى الطعام من الفم . ويتصل بالانف والاذنين بواسطة ثقبين بينهما كما يتصل من الاسفل بالحنجرة والمرى ، ومن هنا يكون ملتقى طريقي المضم والنفس وهذا هو المراد بقوله ( ع ) : من جعل في الحلق منفذين الخ إذاً فيكون المنفذان هما - القصبه الهوائية والمرى .

أما القصبه الهوائية فهي قناة غضروفية غشائية تبتدىء من اسفل الحنجرة وتنتهي بالقصبتين الداخليتين في جوف الصدر والماتمه احدهما في الرئه اليمنى والثانيه في اليسرى ، وهذه القصبه مفروشه في شئبائها الداخليتين الى الرئتين ، متموجه كاهداب الخوخ والحكه في جود هذه الاهداب هي مك وضبط الدقائق



الغرابية وغيرها من ان تدخل فنصل الى داخل الرئتين فتؤذيها ، فهي تنف على الامداد حتى تطردها الطبيعة البدنية خارجاً .

وأما المري وهو المغذ الثاني الذي ينفذ الغذاء الى المعدة فهو عبارة من قناة طويلة اسطوانية غشائية عضلية امام القصبة الهوائية خلف القلب والرئتين وبين قائمي الحجاب الحاجز ، ووظيفته ابصال الكنتة الطعامية أو أي مشروب سائل من البلوم الى المعدة بواسطة انقباض الياف المنتشرة فيه .

ثم ان بين هذين المغذن اي القصبة والمري عضو غير يشبه نصف الدائرة يدعى ( اسان المزمار ) أو ( اسان الموت ) موضوع في اعلى الحنجرة ومرتكز على الحافة القدامية من فوهتها العليا ، وقد عناه الامام ( ع ) بقوله : جعل على الحلقوم طبقاً .

وهذا الطبق وظيفته سد فوهة الحنجرة عند انحدار القمه الى المري لكيلا تنزل عن طريق القصبة الهوائية الى الرئتين فتؤذيها بثقلها وتنكاسها ونجرحها بصلابتها وربما سبب ذلك تدرنهما أو انفجار عروقها الدموية : فيحدث المرض أو الموت عاجلاً أو آجلاً . وهذا هو قصد الامام ( ع ) بقوله : فيقتل .

ثم ان هذا الاسان الزماري عند عدم وجود لقمه أو مشروب يبقى مرتفعاً واقفاً على الدوام ، تاركاً فوهة الحنجرة مفتوحة لجذب النسبم الى الرئتين بالتنفس .

## الرئة ومنافذ البول والغائط

قال عليه السلام: من جعل الرئة مروحة للفؤاد لا تفر ولا تختل ، لكيلا تتحير الحرارة في الفؤاد فتؤدي الى التلف ؟ ومن جعل لمنافذ البول

ان في تجويف الصدر كما مر عليك وتبين قد اكتنفنا جسم القلب بمينا وشمالا ، واحتضنتاه من جانبيه ابرو حاهليه حرارته دون أي فتور او اختلال في نظام حركتيها وهاتان الرئتان قد خلق نسيجهما اسفنجي البنية مرنا خفيف الوزن رقيقا ذا لون احمر باهت أو رمادي قائم حسب تقدم الانسان في العمر ، وقد تخلل كل واحدة منهما عدد كبير من الانابيب الهوائية والاعصاب والاورعية الدموية والحوصلات الهوائية وغلى سطحاها بنشاء رقيق قوى يسمى ( البلورا ) أو ( غشاء الجنب ) . وهذا الغشاء المنطى لهما قد ضلى معهما ساير الاعضاء الصدرية الداخلية بما فيها القلب ، ليكون مانعا من احتكاك النسيج الرؤى الرقيق بالمعظام الظلمية ، ثم ليسهل افتتاح الرئتين المستمر عند توسعها بالشهيق وتقلصها بالزفير في حال التنفس ، بواسطة الافراز الملى من حجيرات النشاء المخاطي المنتشرة فيه . وان أم مافي الرئتين من اجزائهما هو الحوصلات الهوائية التي هي عبارة عن انتفاخات أو أكياس صفار مجوفة ومحاطة بشبكة من الاوعية الدموية الكثيرة . لذلك خلق غشاؤها الداخلي رقيقا جدا ، لكي يساعد على مرور الغازات المحترقة « الكربون » من الدم الى الهواء ، وعلى دخول نسيم « الاوكسجين » من الهواء الى الدم ، لان في داخل هذه الحوصلات تقع عملية جذب

والغناظ اثر اجاً انضبطها لثلايجريا جريانا دائماً فيفسد على الانسان عيشه  
فكم عسى أن يحصي المحصي من هذا ، بل الذي لا يحصى منه ولا يعلمه  
الناس أكثر .

الاكسجين ودفع الكربون ولاجل هذا قبل لمرقة ( مروحة الفؤاد ) التي  
لاقترو ولا تختل .

أما الغاية من الترويح فقد عبر عنها الامام ( ع ) بقوله : لثلا تتهير الحرارة  
في الفؤاد فنؤدي الى التلف . ومعنى ذلك ان القلب لاستمرار حركته تشتد فيه الطاقة  
الحرارية فاذا بقيت ولم يحصل لها مبرد او منفذ الى الخارج انرت في القلب انتهاكاً  
واضعلاً وأخيراً ووقوفاً في الحركة التي يكون مآلها الموت ، وهذا الاشدتاد في الحرارة  
وعدم وجود منفذ أو مبرد لما هو المقصود من كلمة ( تنهير ) ولكن عملية للتنفس أي  
جذب النسيم الصافي ودفع الكربون المحترق هي التي تبرد القلب وتروح حرارته ونجمه  
قادراً على الاستمرار في عمله الضروري للحياة ولولا ذلك لانتهكت تلك الحرارة  
وأدت الى التلف ووقوفه عن الحركة الواجبه للحياة .

أما منافذ البول والغناظ : فقد جعل الله لهما اشراجاً هي موائناً وموانعاً كالمرى  
فيها تضبطهما عن الجريان الدائم . فالبول الذي تدفعه المثانة بعد اجتماعه فيها الى مجرى  
البول دفعة واحدة بواسطة تقلص عضلاتها ، قد اقتضت الحكمة الالهية ان تخلق على  
قم المثانة عضلة قوية تتمتع وتنفق بالاختيار والارادة على قم الاحليل ( مجرى البول )  
عضلة اخرى ايضاً لمسكه وضبطه عن الجريان المستمر الدائم قبل دفعه بالارادة ، ولولا  
هاتان العضلتان لسال البول وجرى جريانا دائماً ينفص على الانسان عيشه ولا يهنا في  
حياته ، بل لا يمكنه مع هذا الحال على ان يعمل اي عمل أو أن يجلس مجلساً مستقراً  
مادام بوله جارياً . ومن هنا صار ( سلس البول ) مرضاً يجب علاجه ودفعه . وأما الغناظ

(البراز) وهو الفضلة المعدنية التي تدفعها المنة الى الماء السقيم ليغذفه الى الخارج بطريق الشرج (الأست) فقد اقتضت الحكمة أيضاً أن يكون هذا الماء السقيم محاطاً بمضلة قوية تسمى «المضلة العاصرة» تمنع من خروج العائظ بلا ارادة باتقباضها للشر ، كما انه قد خلق في نهاية الاسماء قبل المستقيم تجويف واسع يجتمع فيه الثقل قبل أن ينحدر الى المستقيم لتلك الناية أيضاً ، وهو يقابل المثانة مجتمع البول وعلى طرف هذا التجويف توجد عضلة اخرى عاصرة تمنع تلك المواد المجمعة فيه من الانحدار حتى تحصل الارادة بدفعة ، فاذا حصلت الارادة تنبسط هذه العضلة فيدفع البراز الى المستقيم وفيه ايضاً يتوقف حتى تاتيه الارادة فتنبسط عضلة مرة اخرى ليخرج الى الخارج ، ولولا ذلك لكان المستقيم مفتوحاً على الدوام ، وحيث ان فيه متجه الى الاسفل يلزم أن يكون الخروج مستمراً لعدم وجود المانع وبهذا يفسد عيش الانسان بقذارة المدفوع ورطوبته وثبوته مضافاً الى نجاسته عند من يراه نجساً في مذهبه .

والى هذا كله اشار الامام (ع) بقوله : لتضبطها . فتأمل وانظر وتدبر هذه الحكم الباهرة ، وتمقل هاتيك النعم العظيمة التي انعم الباري بها على هذا الخلق العاجز القاصر الجاهل تفضلاً وابتداءً . فهل ترى ان المحصى لها يستطيع ان يحصيا وكم عسى ان يحصى منها المحصون ولو اجتمعوا مستعينين بمقولهم المحدودة الادراك؟ بل الذي لا يحصى منه والذي لا يعلمه ولن يعلمه الناس أكثر وأكثر ، فعلى النعم المتفضل والسلام على من اتبع الهدى .

## المعدة والكبد

قال عليه السلام : من جعل المعدة عصبانية شديدة ، وقدرها لهضم  
للطعام التليظ ؟ ومن جعل الكبد رقيقة ناعمة لقبول الصغور اللطيف من

المعدة هي العضو الاساسي المهم لهضم الطعام كما مر عليك ، وقد خلقت على  
هيئة كيس مخروطي عضلي غشائي قاعدته نحو اليسار ورأسه الى اليمين ، وموضعا في  
أعلى تجويف البطن واسفل الحجاب الحاجز تحت الرئة والقلب متوسطة بين الكبد يميناً  
والطحال شمالاً . ولها فتحتان احدهما من فوق وتصل بالمرى وتسمى عرفاً « الفؤاد »  
والثانية من الاسفل وتصل بالماء الاثني عشرى وتسمى « البواب » . ولكل من  
هاتين الفتحتين وظيفة مهمة . فوظيفة الفؤاد اغلاق المعدة بعد تمام وصول الغذاء اليها  
ليكون كغطاء القدر حفظاً لحرارة الهاضمة ؛ ولأجل هذا يوصى الاطباء بعدم الاكل  
بمد الشبع ، أما البواب فوظيفته ان لا يسمح بمخروج شيء من المعدة الى الامعاء حتى يتم  
الهضم ويكمل طبقه ، كما يمنع من رجوع الخارج منها اليها .

وهي اى المعدة مركبة من ثلاث طبقات (١) الطبقة الداخلية أو الغشاء المخاطي  
(٢) المتوسطة أو الطبقة العضلية (٣) الطبقة المصلية أو الخارجية . فن الطبقة الداخلية  
تفرز العصارات المعدية الهاضمة التي تعد الغذاء ليكون كيموساً حاضراً لا متصصاً رقيقه  
الى الكبد . وفي الطبقة المتوسطة شظايا دقاق كثيرة تشبه شظايا الاعصاب وتسمى  
( الالياف ) محاطة بالحم وهي مختلفة الامتداد فيها حيث يكون بعضها ممتداً في طول  
المعدة وعملها جذب الغذاء ، وبعضها في العرض وعملها دفعه الى الخارج بعد الهضم

الغذاء ، لتبضم وتعمل ما هو اللطف من عمل المدة الا الله القدير ؟ أترى  
الاهمال يأتي بشيء من ذلك ؟ كلا . بل هو تدبير مدبر حكيم قادر عليم  
بالاشياء قبل خلقه اياها ، لا يمجزه شيء ، وهو اللطيف الخبير .

وبعضها موربه وعملها مسك الغذاء وايقافه فيها حتى يتم هضمه ، فسبحانه من مدبر .  
أما الكبد : فهي أكبر خدة في الجسم واهمها لحفظ الحياة . وهي معدية الاعلى  
مقعره الاسفل ، ذات نسيج صفيق هش ولون أحمر الى حمرة . وقد وكبت من  
حيديت صغيرة بحجم حبة الدخن تنتهي باوعية دموية دقيقة كثيرة وتخرج منها  
الاقنية للفرزة للصفراء ، وهذه الاقنية تجتمع مع بعضها لتكون فرعاً يفلظ تدريجياً  
حتى يكون القناة الصفراوية الخارجة من اسفل الكبد التي تنتهي في الماء الاثنى عشرى ،  
وفي اثناء هذه القناة توجد ( المرارة ) وهي كيس غشائي صفيق قوى خلق كستودع  
لزائد المادة الصفراوية .

وهذه الكبد تنقسم الى فصين كبيرين ايمن وأيسر ، يفصلهما شق مستطيل  
كما تنقسم الى فصوص ثلاثة اخرى صغيرة ايضاً ، كل واحد منها فدة مستقلة لحالها  
ذات عروق دموية واهصاب واضنية .

والحكمة في خلق الكبد رقيقة ناعمة ، لكي تقبل الصفو الرقيق من الغذاء الذي  
تمتصه الماساربقا من المدة كما تقدم فاذا حل فيها استحال دماً بهضم ثاني وعمل غير  
عمل المدة .

ولكبد أعمال اخرى غير تكوين الدم مثل افراز الصفراء وهي تلك المادة  
المررة المكونة من الاملاح المعدنية كالفوسفات والاملاح العضوية التي قد ترسب  
فتكون الحصوات ، ومثل افراز السكر عند احتياج البدن اليه الى غير ذلك .

فانظر الى هذا التدبير الحكيم والصنع المتقن البديع ، ثم تأمله بعقلك السليم

وبصيرتك النافذة . أهمل ترى ان مثل هذا يحدث باهمال وبوجود بالمصادفة ؟ أم هل تراه يحصل من طبيعة عمياء ؟ كلا . بل انك ستعرف موقفاً وتصر مدعناً ، ان مثل هذا الخلق العجيب الصنع لم يوجد الا عن تدير سدير حكيم عالم قادر ، وهو الذي لا يعجزه شيء . وهو هو العليّ الحكيم .

## النخاع والدم والأوردة والشرايين والأظفار

قال عليه السلام : فكر يا مفضل ، لم صار المخ الرقيق محصناً في انايب المقام ؟ هل ذلك الا ليحفظه ويصونه ؟ لم صار الدم محصوراً في العروق بمنزلة الماء في الظروف ؟ الا ليقبضه فلا يفيض ، لم صارت الاظفار على اطراف الاصابع الا وقاية لها ومعوثة على العمل .

---

لا يخفى ان الاستفهام هنا وفي اكثر مواضع هذا الكتاب هو استفهام تقريرى يحمل السائل أو السامع على الافرار بان الصانع حكيم عالم قادر ولا سيما بعد التفكير والتأمل والنظر في عجيب صنعه وبديع خلقته ، فانها امور فطرية وعقلية لا ينكرها الا عارف معاند أو جاهل لا يدرك . أما العاقل المتأمل النصف فانه لامناص له من الاعتراف والافرار .

قال (ع) : فكر يا مفضل لم صار المخ الرقيق محصناً الخ ؟ أقول : ان المراد من المخ هنا هو النخاع الشوكي ( الحبل الشوكي ) الذي هو عبارة عن الجزء الاسطوانى المستطيل الممتد من المخ الاصلي في الجمجمة الى اسفل فقرات الظهر بشكل جبل وبقطع الاصح الصغير ، على طول القناة الشوكية المعروفة ( بالموود الفقري ) حتى ينتهي بمزمة

ومن الاعصاب تسمى «ذيل الفرس» وقد حصن هذا النخاع وسط تلك القناة العظامية الشوكية ملفوفاً بنفس اغشية الدماغ الثلاثة المذكورة . وهذه القناة هي المقصودة بقول الامام «ع» ( انابيب العظام ) وهي مكونة من « ٢٤ » عظماً وكل عظم منها يسمى « فقره » وهذه السلسلة من العظام المجوفة تتصل بنخويات الجمجمة ، ومعلوم ان كل هذا التحصين المتين ؛ والصيانة الكاملة بهذا المضوليس الا لاهمية ماخلق هو لأجله من الآرب السامية والمنافع الجليلة واهما أنه تخرج من جانبيه خيوط عصبية حساسة بيضاء كثيرة تفرق في جميع أنحاء البدن وجزئيات الجسم وتسمى ( الاعصاب الشوكية ) بحيث لا يخلو منها محل البتة ، وبها تحصل حركات جميع العضلات في الاعضاء بارادة الدماغ فانها تنقل كل الاحساسات والتأثيرات من الاعضاء الى الدماغ ليحكم عليها او يحكم بها . إذا فالاعصاب هذه هي الواسطة الوحيدة بين الأمر المطاع وهو الدماغ والمأمورات الطبيعية وهي الاعضاء .

وهذا النخاع الشوكي هو المر الوحيد لصمود الاحكام ونزول الحكم أو هو محل اتصال اعصاب الحس واعصاب الحركة . وهذه لمعمرى وغذبة عظيمة جليلة تضطر حكمة الاتقان ان تحفظ مثله في مثل هذه الانابيب القوية الصلبة .

أما الدم : وهو ذلك السائل المغذي للبدن ، والموصل للاوكسجين من الرئتين الى القلب ، والخرج للكربون المحترق منه اليهما ، وهو الحافظ للطاقة الحرارية في جميع الجسم ، والواقي له من غازات الجرثام المرضية عليه ، واللين الرطب لانسجته على الدوام كما تقوم بوظائفها ، الى غيرها من المآرب .

وهو يتركب من مواد كثيرة أهمها « ١ » السائل القلوي الزلالي الباهت اللون المسمى « بلازما » « ٢ » عدد كبير من أجسام كروية حمراء تسمى « الكرات الحمراء » « ٣ » أجسام صفراء شفافة بيضاء تسمى « الكرات البيضاء » « ٤ » الاملاح « ٥ » الحديد



الى غيرها من المواد الاخرى المفصلة في الكتب المطولة .

أما الكرات الحمراء : فانها تحتوي على مادة زلاية ملونة حديدية تسمى ( هيموغلوبين ) ووظيفة هذه الكرات هي جذب الاكسجين .

أما الكرات البيضاء : التي هي أقل من الحمراء واصغر حجماً ، فهي كجند الحرس ووظيفتها ان تحرس الجسم وتحفظ صحته بإبادة الجراثيم المرضية الهاجمة على الدم وبامتصاصها المواد الفاسدة من الانسجة .

وقد حفظ هذا السائل الدموي وسط العروق الدموية ، كما يحفظ الماء في الظروف والاوراني حتى لا يسيل أو يفيض فيذهب وتذهب فوائده ، واعلم ان هذه الأواني الدموية ثلاثة أقسام (١) شرايين (٢) أوردة (٣) عروق شعرية دقيقة .

أما الشرايين فهي أنابيب ذات جدر مميكة مرنة ركبت من طبقتين وفيها عضلات والياف كثيرة قابلة للتمدد انقباضاً وانبساطاً . ووظيفتها حمل الروح الحيواني من القلب الى الاعضاء مع نقل الدم النقي اتخذيتها . والاوردة ايضا تشبه الشرايين إلا انها ذات طبقة واحدة ووظيفتها إعادة الدم غير النقي منها اليه . اما العروق الشعرية فهي التي توصل نهاية الشرايين بنهاية الاوردة ، ثم تنشعب في جميع اجزاء الجسم وانسجته لكي يترشح منها الدم لتغذية الاعضاء ترشيحاً .

أما الاظفار : فهي الاعضاء القرنية الصلبة المرنة المسطحة بتربيع والموضوعة على الوجه الظهري لاطراف الاصابع في اليدين والرجلين . وتتكون كالشعر من فضلات الدم المدفوعة الى الخارج وقد جعلت غائرة الاطراف في اللحم لاجساد الآفات عنها ، وخلق صلبة مقرونة بلين لتسلم من عوارض الكسر والتفتت ، وهي للانسان كالحجاب والظلف والحافر للحيوان ، الى ما رُب كثيرة اخرى في الحلقة كوقاية اطراف الاصابع من تأثير المصادمات والملامسات ، ثم اعانة الاصابع على مسك الاشياء الدقيقة

أو التقاطها وأخيراً صبرورتها كآلة لبعث الاعمال التي قد تكون احياناً ضرورية  
مثل الجرد والحك والتفت واشباهها .

وحيث ان هذه الاظافر ترق وتتشعب بواسطة كثرة الاستعمال والاعمال ،  
خلقت ناميه ، ولكونها إذا نمت طالت ، وإذا طالت قد تنوق من كثير من الاعمال ،  
مضافاً الى انها تصبح بشعة للنظر . فقد أمر الشارع بقضها وتقليمها كلما طالت ، ولما  
كان القص والتقليم مؤلماً إذا كانت حساسة ، فقد خلقت عديده الحس رفماً لتلك  
التألم عند تقليمها أو مسها الاشياء الصلبة ، وهذا هو مقصود الامام (ع) بقوله : وقاية  
لها ومعونة على العمل .

## الأذن وحكمة حمل اللحم على الفخذين والآلية

قال عايه السلام : لم صار داخل الاذن ملتويًا كهيئة اللولب ؟ الا ليطرد فيه للصوت حتى يقضي الى السمع ، وايكسر حمة المريح فلا ينكأ في السمع . لم حمل الانسان على فخذه وأيقبه هذا اللحم ؟ الا ليقبه من الارض فلا يتألم من الجلوس عليها كما يتألم من نحل جسمه وقل لحمه اذا لم يكن بينه وبين الارض حائل يقبه صلابتها .

المقصود من الاذن هنا هو مجرى الاذن الخارجي المفتوح خارجاً بالصوان وداخلاً بالطبلة ، فانه لما كان مجرى لجذب الهواء والصوت ، وكان معرضاً للبرد ودخول الضرار ومجابهة الصدمات من شدة الهواء وهزات الرعد والضججات القاسية القوية ، خلق واسماً ذا عطفات وتماريج ملتوية على هيئة اللولب لتأمين موازنة ضغط الهواء الداخل في الاذن بدخوله تدريجياً فيها فلا يصل الى السمع دفعة واحدة وبشدة وعنف بل يبقى في المنعطفات والتماريج مصدوداً ربثاً بطرد الصوت وتنكسر حمة ( سورة ) الريح فلا تنمدع الطبلة ولا ينكأ السمع بهزانه ولذلك رآه خلق من نسيج غضروفي لهذه الغاية نفسها .

أما حمل الاليتين والفخذين لحوم الكثير فحكمة واضحة جلية لأن اللحم يقي الجالس على الارض من تألم العظام الصلبه بصلابه الارض عند ملاقاتها لها ولما كانت عليها ترتكز فقرات الظهر وهي الحامله لثقل البدن كله فلا بد وان يتألم البدن كله بتألمها . الا ترى ان من نحل جسمه وقل لحم اليديه وغذيه كيف يتألم وبضجر عند

جلوسه على الارض المجردة من الحائل العرقي لعظمه .  
 ذلك فقد اقتضت الحكمة أن تمنح هذه العظام باللحم الكثير والعضلات  
 المختلفة في الاتجاه والوضع لمنظها من الرض والصدع الوجيه لتألم فسبحانه من  
 حكيم مفضل .

## الذكر والأنثى وتناسلهما

قال عليه السلام : من جعل الانسان ذكرا وانثى الا من خلقه متناسلا  
 ومن جملة متناسلا الا من خلقه مؤملا .

التوجه الى الكمال والسير قدما الى الافضل طبيعة ثابتة في كل شيء في الوجود  
 والانسان متجه بمقتضى هذه الخليقة المركبة فيه الى طلب الكمال ، ثم انه اى الانسان  
 منذ يميز عن الحيوانية الخاصة بفرأثره وميوله وعواطفه ، ومنذ انفصل عن البيمية بعبه  
 وادراكه ، اندفع بحكم العقل طبعاً الى طلب الكمال والسير قدماً نحو الافضل ، والابتعاد  
 عن كل ما يبيط به الى حيوانية الأولى التي انفصل عنها ، لذلك فقد أصبحت الغاية  
 القصوى من حياة الانسان هي حفظ السلاة وبقائه النوع مستمراً في سيره من الكمال  
 الى الاكل بصفه وتهذيبه الذين بها يكون قابلاً لكسب الكمال المطلوب ومستعداً  
 للارتقاء نحو المثل العليا التي بها يكون اكل ، ولقد تكفل كل من العقل والغريزة  
 الذين أودعهما الله الحكيم فيه بأنهاز شطر من تلك الغاية . فالغريزة تكفلت بحفظ  
 النسل والسلاة وبقائه النوع ، والعقل تكفل بالفضل والتهذيب واعداد تلك السلاة  
 لقبول الكمال والرفق نحو الاكل .

ولذلك فقد شامت الحكمة الالهية ان يكون جوهر الحياة مزدوج الفاعلية اعني  
أن يكون مؤلفاً من عنصرين اصليين يتفاضلان مع بعضهما ، لتكون النتائج الحاصلة من  
تفاعلها مختلفة باختلاف الظروف والاحوال المحيطه بالحياة ، ومتنوّه في اشكال الحياة  
والوانها وصفاتها وحتى في غرائزها وعاداتها . فان هذا التنوع والاختلاف هو المهذب  
والمثقف الذي يصقل الانسانية ويجعلها مستعدة لتسهم مرافق الكمال .

وهنا شاء الخالق الحكيم أن يجعل الانسان الفرد شقين ذكراً وانثى ، وان تقوم  
بها عملية التناسل الذي به يحفظ النوع وتكمل الانسانية وتنوع اشكال الاحياء .  
إذا فطلب التناسل هو الذي اقتضى أن يكون للتناسل نصفين ذكراً وانثى لأكمال  
العملية المتصورة ، وذلك باتسالمها وعودتها الى وحدتها بالزواج والازدواج ، حيث  
تلفها مع بعضها الغرائز وتوحيدها عملية التناسل .

ثم ان من البديهي المسلم ان أكبر عامل وأقوى محفز للانسان على اجراء عملية  
التناسل الاقدام عليها ، هو الامل والرجاء لاغير ، إذ لولا أمل الانتفاع بالقرية ولولا  
تصور السمادة والراحة بالاولاد ، ولا تخيل المساعدة للابوين من الابناء عند المعجز  
والكبر . لما اقدم على الزواج ، وخضعا لتعبيد بقيوده الثقيلة للرهقة من تحمل للاتهاب  
والمشاق والسهر في سبيل تربيتهم وتعليمهم ، حتى لترى الأبرين بكدرات عيشها  
وينهكلن قواها في سبيل اراحتهم واسمادهم ، ولكن الامل والامل وحده هو الذي يحدد  
بهذين الشقين ، ويجفز الابوين على تقم هذا الميدان الوعر ، وبهون طيها كل حقة  
كؤود في سبيله .

والخلاصة ان الله تعالى قد جعل الانسان ذكراً وانثى ليتناسل ويكمل الامل  
فيه ليقدم راحياً على عملية التناسل المطلوب .

فتأمل في قول الامام (ع) كيف بين هذا للطلاب الجليل والمعنى السامي البليغ

بعبارة وجيزة بسيطة لكي تدرك عقولنا الفاصرة هذا المعنى الغامض دون تأمل كثير  
او تفكير زائد .

أما معنى الامل : فهو تلك الغريزة الثابتة في النفس ، والتي كلما قوبلت صبت  
الطريق للأمل فهو النجاح ، وحققته له الخلود والبقاء فالحياة والأمل - كما قيل -  
صنوان لا يترقان ، وشقان لا ينفصلان . ولولا ه لغارت من الانسان قواه وقوت عزيمته  
ومراه اليأس في كثير من اعماله ، فهو مشجع بنوره على اقتحام ظلمات الحياة ، والسبل  
اصاحبه سبل النجاح والراحة ، ولولا لادى اليأس بالمرء احياناً الى الانتحار والموت  
المجمل ، قال الشاعر :

اهل النفس بالآمال ارقبها ما اضيق العيش لولا فسحة الامل  
فالآمل فضيلة من اسمى الفضائل ، وغريزة من أجل الفرائز ، بها تدرك المايات  
وبها يعتمد الآمل من كثير من الرذائل والجرائم ، مضافاً الى ما فيه من الذة الفكرية  
الوقتية ، بل هي خير الذات لمن ادركه ، وفي الحديث الشريف : خلق الأمل رحمة  
لامني ولولا الامل ما ارضمت ام ولداً ولا فرس فارس شجر أفسبحان المبدع الصور .

## آلات العمل وحاجة الإنسان إليها

قال عليه السلام : ومن اعطاء آلات العمل الا من خلقه عاملاً . ومن خلقه عاملاً الا من جملة محتاجاً . ومن جملة محتاجاً الا من ضربه بالحاجة . ومن ضربه بالحاجة الا من توكل بتقويته .

هبط الانسان الى معترك هذه الحياة الواسعة مجرداً عديم القوة اعزل من كل شيء ، حتى من الثقل ، لا يملك إلا الحاجة ، وهو مع ذلك جاهل بها غير عارف بطريق علاجها ، وكلما شب ونما اشتدت حاجته وتعددت شهواته وأمانيه ، بل وكلما تقدم في عمره تقلبت احواله وملكانه واختلفت ميوله ومطامعه ، حسب اختلاف نشأته وأدوار حياته . ولكنه كلما اتسعت معارفه وارتفعت مداركه وتماثلت مقدراته ، فهو لم يزل ولا يزال بعد مضموراً بجهه مرتطاً بعبئيه ، معقوداً على جيبته الحاجة ، شأن كل موجود ممكن خلق محتاجاً ولا ينفك محتاجاً . لان الله تعالى كان قد ضربه بالحاجة ، أي جعل فيه نواحي توجب له الاحتياج والفاقة ، ولكنه توكل بتقويته اضيها له الاسباب والاعدات التي تسد حاجته تلك وقفي بها كما ينبغي . ومعنى الحاجة وان كان يطلق في اللغة على الاحتياج والشيء المحتاج اليه إلا ان المراد منها هنا هو الاول بقربينة قوله ضربه بالحاجة ومعنى ذلك . انه خلقه محتاجاً للأكل مثلاً ولكن احتياجه للأكل لا يلزمه ان يأكل نعم هو من شأنه أن يأكل ، فاذا لم يخلق له ما يأكله لا يلزمه فعل الأكل . ولكن الله هياً له مواد الأكل من انواع الطعام النباتي والحيواني برياً وبحرياً ونباتياً . كما هيأ الطعام هذا اسباباً باخر توجد كاسعة الشمس والمطر والرعد والبرق والارض والريح وما الى ذلك

أما في الانسان والحيوان فقد جسر . فإياكل به ومعدة تمضم ما كوله وكبداً تهذب صافيه وقلباً يوزع ما احالته الكبد من الغذاء دماً الى الاعضاء وجمل لقمب شرانين توصله اليها ثم خلق له شهوة تدعوه لتناوله ، ويدأ تتناوله ومخرجاً تدفع منه فضلاته الى غير ذلك من الاسباب التي اوجدت لتنفيذ حاجة الانسان التي ضربه الله تعالى بها . وهكذا خلق محتاجاً لشراب مثلاً اعني خلق ومن شأنه ان يشرب ، ولكن لم يلزمه ان يشرب لولا ان الله تعالى هبأ له اسباباً لانجاز هذه الحاجة ، اذ جعل في قلبه حرارة تلتهب جوفه ، وادراكاً يشربه وعطشاً يدموه لشراب الماء . هذا بعد ان خلق له نفس الماء وسهل تحصيله . ومثلها سائر الاحتياجات التي لو اردنا بيانها ، أو ما يمكن للبشر أن يدركها ، لما وقت بذلك مجلدات ومجلدات وكلها قد جهلها الله تعالى ضربة لازب لا تنفك عنه ولا ينفك عنها . فهو محتاج لها أبداً ، وهي سبابة له ابداً .

ومن المعلوم ان هذه الحاجات وتمنيذها مما يوجب على الانسان أن يكون عاملاً في تحصيلها ، وهذا العمل بالضرورة يحتاج الى آلات يستعين بها العامل . لذلك فقد اوجد له الخالق اعضاء عاملة وآلات ينجز بها عمله قبل أن يكون عاملاً كما انه تعالى لم يخلقه عاملاً إلا بعد أن خلقه محتاجاً للعمل ، ولم يجعله محتاجاً للعمل إلا بعد ان ضرب به بالحاجة كما تقدم توضيحه .

ثم انه لما كان هذا المحتاج العامل الذي ضرب بالحاجة ، جاهلاً لا يعرف كيف يعمل وماذا يعمل ، وكان من المحتمل ان يضر نفسه بجهله وتختل اموره بواسطة افراطه أو تجريطه . فان المبدع الحكيم قد تفضل عليه لطفاً وكرماً ، فتوكل هو بتقويم اوده وتمكثل هو برفع حاجته . وذلك بارشاده الى سيره المستقيم وعمله المعتدل ، لكيلا يزل فيهوى ويحيد عن محبة الصواب فيضل ، فسبحانه من نعم .



## ذكر بقايا نعمه على الإنسان والزامه بالحجة

قال عليه السلام : ومن خصه بالفهم الا من أوجب الجزاء ، ومن  
وهب له الحيلة إلا من ملكه الحول ، ومن ملكه الحول إلا من ألزمه الحجة

قال تعالى : وما خافت الجن والانس إلا ليهيدون - أي يعرفون فان أول  
الدين معرفة الله ، كما عليه اعدل المفسرين وأقرب التفسير الى الحقيقة ، وذلك لان  
العبادة بذاتها لم تكن غاية لخلقها لم تقرر بمعرفة الله ، ومعلوم ان العبد إذا لم يعرف  
ربه ، ولم يقصد من يعبد ، لم يعرف كيف يعبد ، ولم يدرك ماذا يعبد ، وهذا ما لم يقدم  
عليه عاقل البتة . ثم ان الله تعالى كلف عباده بتكاليف أوجب لهم عليها الجزاء والثواب  
ولم يكلفهم بها حتى منحهم العقل والفهم الهادي لهم فهو مصالحهم ، ثم ابدها العقل بارسال  
الرسول مبشرين بالثواب ومنذرين بالمقاب . ثم لم يكتف الخالق المتفضل بكل هذه  
النعم على عبده حتى خلق له جوارح عامة واعد لكل جارحة منها عملاً خاصاً من اعمال  
الحياة وحاجياتها فالعين للبصر والاذن للسمع والاسان للنطق الذوق وهكذا دواليك  
ثم بعد ذلك كله وهب له الحيلة والتدبير في اعمال تلك الجوارح واشغالها في مقاصده  
ومآربه ، ولكن جعل ذلك التدبير بيد القوة العاقلة التي خصه بها دون غيره ، ثم  
ملكه الحول والقوة على الاستعانة من ذلك التدبير وتلك الحيلة في تشغيل الجوارح  
والاعضاء واخضاعها لاوامر العقل ومقاصد الفهم كل ذلك ليعرف فيعبد ، وبمحل  
فيثاب . فكانت كل هذه النعم الموهوبة للإنسان الزاماً له بالحجة - وقد على الناس  
الحجة البالغة .

ومن يكفيه ما لا تبلغه حيلته إلا من لم يبلغ شكره ، فكر وتدبر ما وصفته  
هل نجد الاهمال يأتي على مثل هذا النظام والترتيب تبارك وتعالى عما  
يصفون .

---

ثم انه تعالى بعد أن أوجب له الثواب والعقاب حين بشره وانذره اضاف  
الى نعمه نعمة اخرى وهي تأخيرها الى دار الآخرة وبعد الموت ، وذلك ليبقى مفكراً  
فيها مادام في دار الدنيا فيعشى ويرجو ليكون ذلك تاديباً له وحثاً على طلب ما يصلحه  
وبهذا يسير النظام العام على ما ينبغي ويكون من صالح الفرد والمجتمع ويقل انتشار الفساد  
بنسبة الخوف والرجاء .

هكذا كانه قد كان ، بعد ان منحه عقلاً وفهماً ، وجعل له الخيار في طلب السعادة  
أو الشقاء ، فن تبع عقله وفهمه وعمل بما كلف به من أمور دينه ممثلاً لآواصره ومنزجراً  
من نواهيه عد مطيعاً يستحق الثواب ، ومن حاد عن جادة العقل وخالف المولى هوى  
الى هوة العقاب وخسر ما كان يرجو العاقل الفهم من عمله ومن هنا قيل - العقل ماعبد  
به الرحمن - إذا فالؤمنون هم ذرو العقول السليمة الذين عرفوا الله فعبدهه فآثام في  
الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ووقاهم عذاب السعير .

وبعد هذا فاعلم ايضاً ان للانسان حوائج اخرى كثيرة لم يصل اليها بالمصل ولم  
يدركها بالعقل والفهم ولم يبلغ اليها بحيلة أو تدبير وهي خفايا الامور وخباياها أو من  
الاشياء الظاهرة المعروفة ، ولكنه لم يستطع جلبها اليه لنفعه أو دفعها عنه للوقاية من  
ضررها على انه محتاج اليها غير مستغن عنها مثل ازال الغيث لزرعه أو منعه للاكتفاء  
منه في نظره ومثل تكثير النسل أو تقليله أو منعه الى غير ذلك من الحوائج الضرورية  
التي لا تمضى ولكن العليل الخبير قد كفاها اياها دون علمه ، ويسر له حصولها دون

طلبه وآتى بها له فى محل نفعه ، ودفعها عن حيث لا يصلح بضررها تفضلا منه وكرماً  
قلبك فقد استوجب عليها الشكر من العبد . ولكن أنى للعبد ان يبلغ مدى شكر هذا  
النعم المتفضل على كثير نعمه وجزيل آلائه ، وكيف يستطيع أن يقابلها بحمده ، إلا أن  
يبدى عجزه عن الشكر والاعتراف بالجليل .

فتأمل وتدبر ايها القاري الكريم هذا الوصف الباهر والبيان المحكم الصادق  
الذي أملاه الامام (ع) وأبان مكنونه في هذه الكلمات القصاره ثم فكر جيداً أهل  
تجدد للاهمال والصدفة في هذا النظام البديع الحكيم سيلاً ؟ أم ترى ان مثل هذا  
الانقاع الباهر يصدر عن غير الحكيم العالم القادر ، اللهم الا أن يكون القائل عارفاً  
ممانداً أو جاهلاً امى القلب .



## الفؤاد وثقبه المتصل بالريئة

قال عليه السلام : اصف لك الآن يا مفضل الفؤاد : اعلم ان فيه ثقباً موجهة نحو الثقب التي في الرئة روح عن الفؤاد ، حتى لو اختلفت تلك الثقب وتزاييل بمضما عن بعض ، لما وصل الروح الى الفؤاد ، ولهذا الانسان أفيسته غير ذو فكرة وروية ان يزعم ان مثل هذا يكون بالاهمال ولا يجد شاهداً من نفسه يزعه عن هذا القول .

لقد سبق القول مكرراً إن القلب هو ذلك العضو المهم المفندي لجميع اعضاء البدن بالروح الحيوان والدم بواسطة حركته المستمرة المنظمة ودوران الدم دورته الصغرى والكبرى كما عرفت ايضاً ان المراد من الفؤاد في قول الامام (ع) هو القلب فاعلم الآن ان المراد من ثقبه المذكور هنا هو البطين الايمن منه الذي يدفع الدم الى ثقب الرئة اعني الوريد الرئوي الذي ياخذ الدم من البطين الايمن ليدفمه في شعبه ثم الى الرئتين اليمنى واليسرى كما عرفته مفصلاً في الفصول للتقدمة .

فهذان الثقبان اعني البطين الايمن من القلب والوريد الرئوي من الرئة لم يزاالا متقابلين اعني ان احدهما موجه نحو الآخر لا يزا بلان ولا يختلفان إذ لو تزايل احدهما رزل عن مقابلة الآخر لاختل محل الدورة الدموية الصغرى وإذا اختلف لم يجذب الاكسجين للروح عن القلب ، وعند ذلك تشتد حرارته وباشدادها تنتهك قواه

فيضعف عن العمل الضروري للبشر كله ، وإذا دام هذا الحال وقف القلب عن الحركة ومعنى وقوفه هو الهلاك والموت المحتم .

والآن وبعد أن تحققت هذا الصنع الحكيم ، انرى بستييز ذو فكرة وروية  
أر أن يتصور أي عاقل مدرك لئن مثل هذا يمكن أن يحصل أو ان يكون بالاهمال  
والمصادفة . وبدون قصد و اراده ؟ ثم الايجدهذا الزاعم في نفسه هو ما يكون له شاهداً  
على وجود الصانع العالم؟ وهلا ينظر فيعتبر ببعض ماخلق فيها من عجائب الخلقه وغرائب  
الصنعة ثم يرتدع من هذا الزعم الكاسد والقول الباطل السخيف ويرجع الى عقله  
الرشد وفهمه الهادي فيعترف بالخالق ويقرب وجود الصانع . اللهم إلا ان يسلب عقله فيهبط  
الى مصاف البهائم وعندئذ لا كلام معه ولا عتب عليه إذ لم يكن انسانا .

\* \* \*

## الذكر والانثى كمصراعين مهياين للإلتقاء

قال عليه السلام: لو رأيت فرداً من مصراعين فيه كلوب ، أكنفت  
تتوم انه جبل كذلك بلامعنى ؟ بل كنت تعلم ضرورة انه مصنوع يلقى  
فرداً آخر فيبرزه ، ليكون في اجتماعهما ضرب من المصلحة . وهكذا نجد

---

قالت الفلاسفة والموحدون من الحكماء : ان الحياة الانسانية هي أن يبش  
الانسان لعمل ، وإن يعمل ليعيش ، فهي دائرة مستمرة الحركة لا تبثدي حتى تنتهي  
ولا تنفهي حتى تبتدي ، وهكذا ادواليك كلها حلقات متسلسلة متصلة بعضها ببعض  
ابتدأت منذ المخلقة ، وستبقى سائرة على هذا النظام الى ماشاء خالقها في علمه للكون  
وبذلك تكثر أفراد الانسان وبدوم النوع متمشياً نحو الكمال الانساني الذي خلق هو  
لأجله اعني التمتع في الدنيا ، ومعرفة الله تعالى كما نطق بها القرآن الحكيم بقوله :

( وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون ) وكما أشار اليها الحديث القدسي  
الشريف بقوله : ( كنت كئزاً مخفياً فاحيت أن اعرف خلقت المخلوق لكي اعرف )  
ونحن الآن نتكلم عن التمتع الدنيوي الذي هو غاية الحياة الدنيوية . وهذا  
التمتع يختلف في الانسان عنه في الحيوان ، لأن تمتع الحيوان يكاد ينحصر في شهوة  
التناسلية ، ولا يتخطاها الى غيرها . أما تمتع الانسان فانه يشملها ويشمل غيرها مما  
يصر حصرها ، وكلها تجذب له الحياة وترغبه على استمرار النوع ونموه ، وتجهه طامها  
لتمتوق على غيره وقد اختص هذا الانسان بتمتعه بالجمال والكمال ، وهما من أعظم

الذكر والاتي من الحيوان كانه فرد من زوج ميبأ من فرد اثني ليهتميان  
لما فيه من دوام النسل وبقائه . فتباً وخيبة وتمسكاً لمتعلمي الفلسفة ، كيف  
عميت قلوبهم عن هذه الخلقفة العجيبة حتى انكروا التدبير والمد فيها .

للقومات الحيوية التي يكتسب بها الرقي في الحياة الروحية والجسمية ، فالجمال للجسد  
والكمال للروح ، ومعلوم ان الحياة الجسمية التي تقوم بالجمال هي الاساس للحياة الروحية  
التي تقوم بالكمال ، بمعنى أن للانسان حياتين أو دورين . وقد أوجبت عليه الطبيعة  
الكونية أن يتأهب في الدور الاول للدور الثاني ، لذلك تراه قد منح في حياته الجسمية  
حب الجمال والميل الى الشهوة التناسلية ، فصار متأهباً لتمتع بالحياة المائتية وطلب الاولاد  
والبنين ، فهو سائر بكل رغبة في تكثير النسل وابقاء النوع بدافع من نفسه دون جابر  
وعلى هذا يمكننا أن نقول ان جوهر هذه الحياة الجسمية المتمتع بالجمال مزدوج  
الفاعلية اعني مؤلفاً من عنصرين متعاقلين لحصول النتيجة التناسلية ولكن شاء الله  
تعالى أن يكونا منفصلين في الخارج ، لاقتضاء الحكمة في تقوية عملية التنوع وتوسيع  
دائرة افراد النوع ، ويحصل له التطور الذي يتسنى به الصعود الى الكمال الروحي  
والوصول الى المثل العليا المطلوبة التي اساسها معرفة الله تعالى .

وحينئذ وجب أن يكون جوهر الحياة هذا مزدوج العمل ايضاً أي ذا عاملين  
منفصلين في الظاهر مندغمين في الحقيقة ، وان يكون لكل واحد منهما عمل خاص وان  
لا يظهر عمله بالانفراد ولا تكون له نتيجة محسوسة مالم يندغم كل واحد منهما بالآخر  
ويتحد العامل الاول بالعامل الثاني . فكل من ذلك انت خلق ذكر واتي وبسبارة  
اخرى ان هذين الجزئين كليهما في الحقيقة واحد بمعنى ان كل واحد منهما نصف انسان  
ولا يكمل الانسان الا بانحداهما معاً فاذا اتحد هذان النصفان واندمج أحدهما بالآخر ،  
صدر منها حي جديد في النوع وهكذا دواليك .

ولماذا نذهب بعيداً ، ونستعين بقول الفلاسفة والحكماء في فهم الغرض من خلق الذكر والاتي وقد قربه لنا الامام عليه السلام باوضح الطرق واسهل التعابير فقال (ع) :

لو رأيت فرداً من مصراعين فيه كلوب الخ - ومعلوم ان الكلوب انما يصنع ليتصل بكلوب ثاني فيحصل بها الاتصال والخلق والسد ، وأنت إذا رأيت أحد المصراعين وفيه كلوب ، حكمت بالفطرة والوجدان بان ذلك لم يصنع شيئاً ولم يعمل بدون معنى مقصود ، بل كنت تقول جازماً بأنه مصنوع ليلقى فرداً آخر مثله فيحصل باتصالها الغرض المطلوب ، وليكون باجتماعها ضرب من الصلحة .

وعلى غرار هذا المثل نجد الذكر من الحيوان كأنه فرد من زوج مهياً لفرد آخر هو الاتي ، وكأنه ناقص يحتاج في انفاج الغاية المطلوبة منه الى مكمل آخر . وعلى هذا نحكم بأنه لا بدوان يكون الخالق قد هيأ له نصفاً آخر ليلتقي به فيكون بذلك دوام النسل وتكثير النوع ، ومثله الانسان في خلقته ذكراً واتي وان كل واحد منهما بانفراده نصف انسان بكل منهما الآخر .

فتياً وخيبية وتعباً لمتحملي الفلانة ، ومدى معرفة كنه الاشياء وحقائق الامور كيف لم ينظروا الى دقائق هذه الحلقة العجيبة ، ولماذا حيت بصائرهم عن الوعي لهذه الغرائب في صنعة الخالق . وبمبدأ لهاتيك المدارك النافسة التي أنكرت تدبير العالم ، وزعمت انه خلق لامن قصداً وحمداً ، بل خلق نفسه بنفسه ووجد بالاهمال والمصادفة . اللهم انا براه من هذه العقول السقيمة والمدارك النافسة التي حيت عن ادراك الواضحات وجملت حتى البدبيات ونحن نقول بكل اعتقاد وایمان - ربنا ما خلقت هذا باطلا -



## فرج الرجل والحكمة فيه

قال عليه السلام: لو كان فرج الرجل مسنرخياً، كيف كان يصل  
الرقم الرحم حتى يفرغ النطفة فيه؟ ولو كان منغظاً أبداً كيف كان الرجل  
يتقلب في الفراش أو يمشي بين الناس وشيء شاخص امامه. ثم يكون في  
ذلك مع قبح المنظر تحريك الشهوة في كل وقت من الرجال والنساء جميعاً.

---

المراد بفرج الرجل هو ذكره، العضو الخاص بالتناسل، وهو يتركب من  
ثلاثة أقسام أصلية هي: (١) الحشفة المكونة من نسيج اسفنجي قابل للانتصاب،  
وقد سترت من القيد (الحز) الذي في أسفلها إلى رأسها بجلدة تسمى (القلفة) وفيها  
من القيد إلى التاج مركز معظم الشعور باللذة التناسلية (٢) الاحليل وهو القناة التي  
تبتدىء من عنق المثانة إلى رأس الحشفة، ولهذا القناة في رأس الحشفة فتحة صغيرة  
عامودية تسمى (الصماخ البولي) ونسيج هذا الاحليل كله اسفنجي قابل للانتصاب  
والشعور باللذة الجنسية (٣) الاجسام الكهفية المكونة من نسيج خلوي رقيق الحواشي  
يتخلل تشكيلاؤه أوعية دموية كثيرة يتصل بعضها ببعض بصورة يمكن أن يملأها الدم  
دفعة واحدة حال صعود اللذة الجنسية ليمحدث الانتصاب والنعوظ، غير أن الذي  
يجعل للاجسام الكهفية صفة خاصة بها، هو أن ليس بين شرائين هذه الآلة واوردها  
شبكة من العروق الشعرية الدقيقة كما في سائر الاعضاء الاخر، ولذلك ترى أن مسرور  
الهمم الوربدي في شرائينها فجأة وعلى الفور: كما يرجع ايضاً إلى مراكزه بسرعة.

فقدر الله جل اسمه أن يكون أكثر ذلك لا يبدو للبصر في كل وقت ولا يكون على الرجال منه مؤمنه ، بل جعل فيه قوة الانتصاب وقت الحاجة الى ذلك ، لما قدر أن يكون فيه من دوام الدمل وبقائه .

أما كيفية الانتصاب فهو أن يحصل بتفلس المضلات الكائنة بين الشرج والصفن وفي قاعدة القضيب ، وبهذا التفلس تسد الاوردة التي فيه وتمنع رجوع الدم الى مراكزه ، على الشرايين تستمر في ارسال الدم وهذا بالطبع يؤدي الى امتلاء خلايا الاجسام الكهفية ، وبذلك تتوتر الاعصاب على طول الآلة ، وهذا هو معنى الانتصاب .

وبهذا النحو تستطبع هذه الآلة ان تقذف النطفة ( التي ) الى قعر الرحم أما اذا استرخت فانها لا تصل الى قعر البته . وقد اقتضت الحكمة أن يسترخي الذكر ما لم يكن به حاجة : وينتصب عند الحاجة له . اذ لو كان منتصباً على الدوام دون استرخاء لا وجب اموراً لا تنطاق . منها انه يمنع عليه أو يعسر تغلبه في الفراش لكونه يصبح كالمصابين تخفيه تمنه من الراحة : ومنها انه يصبح ضحكة وسخرية إذا كان يمشى . وشئ شاخص امامه ، ومنها ان انتصابه إذا كان مرتباً لكل حين يكون محرراً كالمشهور في النساء والرجال في كل وقت . وهذا مما يوجب الاختلال والفساد الخاص والعام ، وبيانه يحتاج الى تفصيل لا مجال لتذكره فسيحان الحكيم الطيف .

## منفذ الغائظ ووصفه

قال عليه السلام : اعتبر الآن يا مفضل بمظم النعمة على الانسان في مطعمه ومشربه وتسهيل خروج الاذى ، أليس من حسن التقدير في بناء

ان نعم الله الكريم على عباده كثيرة لا تحصى ، وآلؤه على الانسان متوافرة لا تحصر وقد ذكر الامام (ع) هنا نعمتين منها فقط : هامن اعظم النعم واجلها ليعتبر بها المتبرر ويمتدح بها كل ذى فكرة وتأمل فقال (ع) : اعتبر يا مفضل بمظم النعمة على الانسان الخ .

أقول : لو تأملنا في نعمة الاكل والشرب ونظرنا الى نعمة تسهيل خروج فضلائها ودفع اذائها عن البدن : رأيناها نعمتين اثنتين فقط . ولكن اذا فكرنا فيها تفكيراً صحيحاً دقيقاً ، علمنا انها نعم كثيرة متسلسلة وحلقات آلاء متصلة بحيث لو سردنا بعض ما ندرکه منها لضاق به المجال التسع ، ولم يف بها الزمن المديد .

أما الطعام : فهو انباني أو حيواني ، وكلاهما لا يتها حتى يمر عليه اطوار وادوار كل دور او طور هو نعمة وحدها يجب الشكر عليها . فالنباتي مثلاً لا يبصر طعاماً أبداً حتى يطبخ ولا يطبخ حتى يتها ولا يتها حتى يمضد ولا يمضد حتى يزرع ولا يزرع حتى نحصل له ارض صالحة ، ولا نعيد الأرض الصالحة حتى يبذر فيها ، وهذا البذر أيضاً يحتاج الى زارع باذر ، والزارع يحتاج الى ماء يسقى به زرعه ، والماء لا يحصل حتى ينزل من السماء . ثم لا يكون الزرع زرعاً حتى تشرق عليه الشمس فتتميه بحرارتها وتغذيه بضيائها ، ثم بعد هذا كله ( وهو قليل مما ندرکه ) لا يمكن أكله مالم يخلق له فم واسنان ومعدة

الدار أن يكون الخلاء في أسفل موضع ؟ فكذا جعل الله سبحانه النفذ للمبأ للخلاء من الانسان في اسفل موضع منه ، فلم يجعله بارزاً من خلفه ، ولا نائراً من بين يديه ، بل هو مقبب في موضع غامض من البدن مستور

لمضمه . ثم انه وان هضم لا ينفذ غذاء لبدن حتى يجذب صافيه الى الكبد فيهضم مرة اخرى فيكون دماً يدفع الى القلب ليقسمه على الاعضاء ، ثم هذا القلب ايضاً يمكنه أن يوزع الدم ما لم تكن له شرايين واورده ، ثم بعد ذلك لا يصلح هذا الدم غذاء حتى ينقى ويصنئ بواسطة الرئة الى غير ذلك من الاعضاء الاخر والافعال الحيوية للضرورة التي لا يكرن الطعام غذاء مفيداً لبدن الا بها . ثم اذا صلح للتغذية واخذ صافيه لا بد وان يبقى منه ثقل وفضلة لاتنفع البدن بل تضره وتكون كلاله وحينئذ يجب اخراجها منه ، لذلك فقد خلق الله الحكيم لاجراها ودفع ذلك الاذى منفذاً وذلك عن طريق المعاء المستقيم . وانما عبر الامام ( ع ) عن هذه الفضلة بالاذى لان بقاءها مدة في الامعاء مما يوجب تعفنها وحدوث مواد قاسدة فيها يخشى ان تنزج مع الدم ومنه تنسرب الى عوم اجزاء البدن فيحصل منها بعض الامراض كالبحر والصداع والغازات المؤلمة أو السدد المنهكة أو غيرها من الامراض الخبيثة .

فاذا هرفت كل ذلك . أهل يبقى لك شك في أن تلك الاطوار والادوار التي مرت على الطعام حتى صار غذاءً يتنفع به الجسم ، كلها نعم جسام يجب الشكر عليها وآلاء عظام لا يحصى فضلها .

أما طريقة اخراج ذلك الاذى المسمى (نفوط) أو (برز) فانه فعل يحصل بواسطة مجموعة حركات مركبة من حركة معاء القولون وحركة معاء المستقيم وحركات العضلات العاصرة في داخل الشرج وخارجه مع حركة العضلات الرافعات للشرح وحركات العضلات البطنية . وبهذه الحركات المختلفة يتمط المعاء ويتمدد ، فيعصر الثقل ويسهل

محبوب ، يلتقي علي الفخذان ، ونحجبه الاليتلف بما عليهما من اللحم فتواريه  
فاذا احتاج الانسان الى الخلاء وجلس تلك الجلسة ، التي ذلك المنفذ منه  
منصباً مهياً لأثمدار الثفل . فتبارك من تظاهرت آلاؤه ولا نحصى نماؤه .

خروجه وانفداع تلك المواد الى الخارج .

وأما الشرب : والمراد منه على الاغلب هو الماء الذي يدخل البدن عن طريق  
الفم فان له فوائد جمة . منها امتزاجه مع الطعام لتعديل قوامه وجعله صالحاً للهضم ، ومنها  
تبريد حرارة الجوف التي تظهر بصورة العطش ، ومنها ترقيق الدم لكي يتدفق ويتبدق  
في العروق وينفذ في الشرايين والاوردة . ومنها امتصاص قسم منه في الغدد الحيوية  
للضرورة لافعال تنفع البدن بافرازاتها كالفدد المائية في الفم والغدد السمعية في المين  
وغدة الصفراء والغدد المعوية والبنكرياس وغيرها من الغدد العاملة . هذا هو القسم  
النافع من الماء في الجسم ، فان بقي منه شيء مما لا يحتاجه البدن فانه يكون عالة عليه حيث  
يحمل معه بعد الاستغناء عنه بعض المواد الفاسدة والميكروبات المضرة ، وحينئذ يجب  
اخراج . لان هذه المواد الفاسدة المختلطة مع هذا الزائد إذا ما تراكت وبقيت مدة  
صحمت الجسم واحداثت امراضاً لا يستهان بها . لذلك فقد فتضت الحكمة الالهية ان  
يطرد ذلك الزائد بطرق عديدة : منها العرق من الجلد ومنها الاوساخ الجلدية ومنها  
خروج الشعر ومنها خروج الاظافر ، وأكثر دفماً منه يكون بصورة البول كما مرفته  
وهذا المدفوع بالطبع كان اذى انعم الله تعالى على الانسان بتسهيل خروجه  
بهذه الصور المختلفة . فليس ذلك من نعم المشكورة ؟

ثم ان من جملة تلك نعم الجلييلة هي جعل هذين المنفذين أي منفذ البول ومنفذ  
الغائط في استر موضع من الانسان ، كما ترى النمل يميلون موضع الخلاء في دورهم  
استر موضع منها . وعلى الاخص منفذ الغائط الذي لم يجعله الخالق في الانسان بارزاً

من خلفه كاذلب الحيوانات ، ولاناشراً من بين يديه مراعاة لحشمته وعدم التميزاز طبع الناظر من قبح منظره بل جعله مضيئاً في موضع غامض من البدن مستوراً محجوباً عن الانظار ثم مع ذلك ومبالغة في السترة و قد التفت عليه الفخذان وحجبتة الأليتان بما عليهما من اللحم الكثير ، فهو متوارف وسط هذه الحجب الساترة والحواجز الحاجة . فاذا ما احتاج الانسان الى الخلاء أي التغوط ، وجلس تلك الجلسة المتعارفة متكأ في جلوسه على الرجل اليسرى مفرجاً بين فخذه ، كما هو المستحب في شريعة الاسلام الحكيمية . و حد ذلك المنفذ منصباً اي متجهاً اتجاهها صحيحاً لأنصيب الفضلة الى الخارج ، والى ذلك المخرج مهياً لانحدار ذلك النفل بكل سهولة وخروج ذلك الاذى بكل استراحة .

\*\*\*

## الطواحن ووصفها ومنتافعها

قال عليه السلام : فكري يا مفضل في هذه الطواحن التي جعلت  
للإنسان ، فبعضها حداد لقطع الطعام وقرضه ، وبعضها عراض لمضغه ورضه  
فلم ينقص واحد من الصفتين ، إذ كان محتاجا إليهما جميعاً .

إن خلق الأسنان من أكبر النعم عليه ، لأنها تساعد المعدة على جودة المضغ ،  
واساغة الطعام : وذلك بتقطيعه ورضه وطحنه ومضغه ليمتزج مع أماب الغدد الفمية  
فيستمد للهضم في المعدة ، ولولا ذلك لما استطاعت طيخ الطعام وهضمه ، ومعلوم أنه  
لما كان الطعام من أعظم ضروريات الحياة كان المهيب له والمساعد لوقته به أيضاً  
إذا فاهية الأسنان بأهمية عملها الجبار وفائدتها العظيمة . وقد قسم الامام (ع) وظيفة  
الأسنان التي سماها كلها بالطواحن الى قسمين ، بعضها حداد الرؤس وبعضها عراض  
الرؤس فالطواحن الحداد هي الانياب والثنايا ووظيفتها التقطيع والقرض ، والطواحن  
العراض وهي الاضراس فهي المطحن والمضغ . وهاتان الصفتان للأسنان لازمتان لأجل  
تهيأة الطعام للهضم ، وكل إنسان محتاج لهما كليهما مما فلو نقص احدهما نقص الهضم  
وساء . لذلك فقد تفضل الخالق على الإنسان بان جعلها على شكلين حاد وعريض ليكمل  
بهما القرض المطلوب ويتم واجب الهضم الضروري فسيبغانه من حكيم .

## الشعر والأظفار وفوائدهما

قال عليه السلام : تأمل واعتبر بحسن التدبير في خلق الشعر والأظفار ، فانها لما كانا مما يطول ويكثر حتى يحتاج الى تخفيفه اولا وأولا جملا عديدي الحس لئلا يؤلم الإنسان الاخذ منهما . ولو كان قص الشعر وتفليم الأظفار مما يوجد له ألم ، وقع من ذلك بين مكروهين ، أما ان

---

يتولد الشعر والأظفار من فضلات الغذاء التي تدفمها طبيعة البدن المدبرة الى الخارج وقد اقتضت الحكمة في الخلقة ان تكون هذه الفضلات المضرّة في الداخل نافعة في الخارج .

فالشعر يكون هيئة الرجال وجمال النساء ، ووقاية للرأس عن الطوارئ الخارجية واجمل واق للعين بصورة الحواجب والاهداب . وان هذه الشعرة معاهدت فهي مجوفة كالانبوب لتخرج الغازات التصاعدة من داخل البدن الى الخارج بواسطة ذلك التجويف .

أما الأظفار فهي كذلك جمال للاصابع ، وأكبر مساعد لها على التقاط الاجسام الصغيرة الدقيقة ، وبها يكون الحلك والجرد والتنف وامثالها من الاعمال الاخر ولكنها أي الشعر والأظفر لما كانا مما لا بد أن يطولا ويكثر ، وكان هذا الطول مما يوجب تشويه الخلقة ، وتعبق كثير من الاعمال المنوطة بهما ، كان من الواجب تخفيفهما بحلق الشعر وتقليم الأظفار ، وهذا بالضرورة يحدث ألماً ووجماً لا يمتثل ، وهنا يجمع



يدع كل واحد منها حتى يطول فيثقل عليه وأما ان يخففه بوجع وألم يتألم منه . قال المفضل : فلم لم يجعل ذلك خلقة لا تزيد فيحتاج الانسان الى التقصان منه . فقال (ع) : ان لله تبارك اسمه في ذلك على العبد نعماً لا يعرفها فيحمده عليها ، اعلم ان آلام البدن واداؤه تخرج بخروج الشعر في مسامه

الانسان الذي لاغنى له عن تلك العملية بين مكروهين : فانه أما أن يقيمها بطولان فيثقلان عليه ويوجبان له اضراراً آخر لا يستطيع . وأما أن يخففها ويتجرع ألم الخلق واتقلم ، وكلاهما لا يستطيع ، لذلك فقد انعم الخالق على الانسان بجعلها عديمي الاحساس لرفع ذلك الألم عند انجاز تلك العملية اللازمة .

هكذا ذكر الامام (ع) للمفضل حكمة خلق الشعر والاطفار وجعلها عديمي الحس . ولكن المفضل عاد فسأل الامام (ع) قائلاً : لم لم يجعلها الله تعالى على حد واحد معلوم لا يزيد فيحتاج الى التخفيف فقال (ع) : ان لله تبارك اسمه في ذلك على العبد نعماً اخرى لا يعرفها فيحمده عليها . اعلم ان آلام البدن الخ - وفي هذا الجواب اعلى اختصاره اشارة كاملة للرد على نظرية التطور التي هي اساس مذهب الماديين فانهم يقولون : ان الشعر والظفر من الزوائد الحيوانية الاولى التي لم يجد لها نفع كما زعموا ان غيرهما من الاعضاء زائدة . واليك بعض ما قاله الدكتور شبلي شميل في الجزء الاول من كتابه - فلسفة النشوء والارتقاء - فانه يقول : الانسان الذي هو غاية في الاتقان فيه اعضاء كثيرة لا فائدة لها ، وقد تكون مضره . وسبباً لأمراض قتاله مثل الغدة الدرعية التي ينشأ منها المرض المعروف (جواتر) ومثل الهورزين اللتين قد يسبب ورهما الالتهاب والاحتقان ، ومثل الزائدة السوداء التي هي في البدن منشأ التهابات قتالة والأعور الذي كثيراً ما تنتجع فيه للواد مجماً خطراً . وكالغدة الصمغية والمصعص وائداء الذكور . الى ان يقول : ووضع الغناتين الغذائية والهوائية الواحدة بجانب

وبخروج الاظافر من انامله وذلك أصغر الانسان بالنورة وحلق الرأس وقص  
الأظافر في كل اسبوع يسرع الشعر والاظافر في النبات فتخرج الآلام  
والادواء بخروجها أما اذا طال انخيرا وقل خرو وجها فاحتمست الآلام والادواء  
في البدن فاحدثت عللا واوجعا .

---

الآخرى وسد احدها بأسان الزمار سدا ناقصا . كل هذا نقص في التكوين .  
أقول: هذه بعض مناعهم الضعيفة وقليل من خرافاتهم الجبلية التي قد ادعوا  
فيها العلم والمعرفة ، وهما منهم برآء ، وقمصوا بزعمهم الفلسفة وهم منها عرأة ، بل وحنى  
من معرفة انفسهم ايضا .

ومن جميل الصدف ان يلوح لي وانا اتلو كتابة في هامش نفس تلك الصحيفة  
نقص صريح لزمه ان الغدة الدرقية زائدة في الحلقة ، حيث يقول في الهامش : ان  
الدكتور ( كوخر ) من سويسرا كان قد زرع نحو ( ١٥٠ ) غدة درقية من المصابين  
بمرض ( جوائر ) فظهر له ان زرعها يؤثر في الدماغ أثرآ سيئا بليغا ، فان بعض هؤلاء  
المزوعة منهم تلك الغدة قد وقعوا في البلاءة التامة ( انتهى ) . وهنا كان الدكتور  
شميل قد نقص نفسه بنفسه من حيث لا يدري ، وكفانا مؤنة رده دون تطويل كلام  
وجدال ، هذه بعض الحقائق والاسرار التي ظهرت للبعض ، أما ماخني على عقولهم  
المحدودة وبصائرهم المظلمة من الابداع الحكمة فهو مما لا يحصيه عالم ذكي ولا فيلسوف  
مبقر فيعتبر الموحدون وليخسا المطلون .

أرأيت كيف كان جواب الامام (ع) على اختصاره دحضا لتلك المزاعم الباطلة  
وافهاما لكل ذي حس وادراك بما أودع الله تعالى في كل جزئية من جزئيات هذا  
المخلوق العجيب من كمال الصنعة واتقان الحلقة .

أما قوله ( ع ) : اعلم ان آلام البدن الخ فللراد من ذلك انك كما عرفت انما من أن الفضلات الزائدة في البدن التي يجب خروجها لكي لا تحدث الآلام واسراضاً كانت الطبيعية البدنية تخرجها بطرق مختلفة كالبراز من المستقيم وكالبول من المثانة وكالعرق من الجلد وكالشعر والأظفار ، إذا فيكون خروج الشعر والأظفار ممناه خروج الاذى من البدن ، ولكنها إذا ما طالوا وكثروا ولم يخففوا كانا ايضاً مما يسبب الأمراض والآلام، فان الشعر إذا طال ولم يقصر أو يخلق تلبد باختلاط المادة الدهنية للفرزة من غدد الجلد عليه مع الغبار المتساقط من الخارج : فيكون مسرّحاً لأنواع الجراثيم والقمل وامثالها ، ومن المعلوم ان هذا يحدث امراضاً جلدية كثيرة . وقد أمر الشارع أن يخلق الرأس بالموسى ، وان يزال من العانة والابط بالنورة . اما الحكمة في اختيار النورة وطلبها دون غيرها لانها مضافا الى ما يؤثر من قلع الشعر فحذف الرطوبات المنصبة الى تلك المغايب وتقتل الميكروبات والجراثيم المتجمعة هناك .

وكذلك الظفار إذا طالت ولم تقلم في كل اسبوع مرة . أصبحت مكاناً للاوساخ التي هي أحسن مرتب وممكن للجراثيم المرضية . لذلك كان من الواجب تقليمها كلما طالت كما يستحسن شرعاً ان تزال تلك الاوساخ بعد التقليم . وهذا هو المراد بقول الامام ( ع ) - أحدثت هلا وواجاعا - وإذا خفف الشعر وقلت الاظفار نبتا مرة اخرى بخروج قسم آخر من الفضلات الفاسدة . وهكذا دواليك : وكل ذلك جلياً للمنفعة البدنية ودفعاً للضرر عنه .

ومن كل ما تقدم ظهرت لك الحكمة والمصلحة من هذه العملية المستمرة وعرفت انها نعمة عظيمة من منعم يجب شكره : وعبرة جلييلة لمن اعتبر وعظة جلييلة لمن فكر ونظر .

## الحكمة في عدم نبات الشعر في مواضع من البدن

قال عليه السلام : ومنع مع ذلك الشعر من المواضع التي تضر بالانسان ، ويحدث عليه الفساد والضرر فلو نبت الشعر في العين لم يكن يسمى للبصر ، ولو نبت في الفم لم يكن سينغص على الانسان طعامه وشرابه ؟ ولو نبت في باطن الكف لم يكن سيموقه عن صحة اللبس وبمض الاعمال ؟ ولو

يمكنك وقد عرفت ما في نيات الشعر من المفافع والمصالح المقصودة في خلقته ! ان تقول : اذا كان الامر كذلك . فلماذا لم ينبت الشعر في جميع سطح الجسم جلباً انك المنافع المذكورة ودفماً لتلك الاضرار الحادثة . نعم لك الحق في هذا السؤال ، ولكن لو فكرت قليلاً لادركت ان في كل جزئي وجزئية من جزئيات الخلقة الالهية ، وفي كل عمل من أعمال الصنعة البديهة سراً . ودعاً وحكمة مقصودة لا ينبغي ولا يصلح للانسان سواها ، تأمل نهد ان الخالق الحكيم قد أنبت الشعر في المواضع التي فيها نفع لا يستغنى عنه الانسان في حين نكبه عن المواضع الاخرى التي لو نبت فيها لاضرر وافسد بها ، فثلاً لو نبت في العين لعميت ولم تبصر ، لانه علاوة على حيالته بين نور العين والمرئيات سوف ينكأها ويحركها بدوام حركة القلة ورمش الاجفان حتى يؤثر على طبقاتها الرقيقة واءصائها الدقيقة وأخبر آ بحرب نسيجها الرخو الرقيق ويؤثر على انسان العين ونور البصر . فتمسى العين ولا يموذ بامكانها الرؤية ، وهكذا لو نبت في اللغم وهو باب الطعام وسر كرميز الطعوم واللفة : وبدبهي ان وجود الشعر فيه مما يخل باداء هذه الوظيفة

نبت في فرج المرأة وعلى ذكر الرجل ألم يكن سيفسد عليها لذة الجماع  
 فانظر كيف تمكث الشعر عن هذه المواضع لما في ذلك من المصلحة. ثم  
 ليس هذا في الانسان فقط، بل نجد في البهائم والسياب وسائر المتناسلات  
 فانك ترى اجسامها مجللة بالشعر وترى هذه المواضع خالية منه لهذا السبب  
 بينه، فنامل الخلقه كيف تنحرز وجوه الخطأ والمضرة، وتأتي بالصواب  
 والمنفعة.

المهمة في الأكل والمشروب ثم يمنع من استساغته الاغذية وتكثير ثقلها وطحنها  
 وبالاخير هضمها الواجب، وهذا هو المقصود من قوله (ع) : تنقيص الطعام والشراب  
 ومثلها باطن الكف القوي هو موضوع اللمس فان نبأه في محمول دون اتصال اللامس بالمحسوس  
 فيمتنع الاحساس بشيء من النوم أو الحشونة أو الحرارة أو البرودة أو كلما تدركه  
 هذه الحاسة كما يفسد غير هامن اعمال اليد كالاكل والقبض والقطع واشباهاها، أما إذا  
 نبت في فرج المرأة أو ذكر الرجل، فانه لاشك سيفسد عليها العمل المطلوب،  
 لأن الغاية من العمالية الجنسية ليس الاحصول اللقاح لتناسل وهذا لا يحصل إلا بقذف  
 النطفة في الرحم، والنطفة لا تقذف الا بيهجان الشهوة الجنسية وحصول الذة وحيث  
 ان مراكز الشهوة هو جلدة الحشفة وجلد الاحليل في الرجل وجلد عنق الرحم والمبيض  
 في المرأة، وهما لا ينتهان إلا بانتماس والتصاق أحدهما بالآخر فاذا نبت عليها الشعر كان  
 حائلاً من التماس، فلا تهيج الشهوة ولا تحصل الذة فلا يتم الجماع، وبهذا يتنفس على  
 الانسان عمله الجنسي، فلا تحصل الغاية الحكيمة.

ولأجل هذا اقتضت الحكمة نظراً لتلك المصالح ان لا ينبت الشعر في تلك  
 المواضع من البدن لكي لا تنفك المصلحة المقصودة.

ثم ان هذه النظرة الصالحة لم تقتصر على الانسان وحده، بل جرت بهكم الطبيعة في جميع الحيوانات المناسبة حتى البهائم والسباع وامثالها . الا ترى كيف تنكب الشمر هذه المواضع منها مع ان احكمتها مجلطة بالشمر في أكثر المواضع من أجسادها عدا العين والضم والفرج واشباهها .

فاهتبر مفكراً ، وتأمل متعمقاً ، كيف جرت سنة الكون في خلقها البديعة طبقاً للمصلحة المقصودة ؟ وكيف وزع الشمر توزيعاً حكماً ؟ ثم انصف وقل ؛ أهل يكون مثل هذا حادثاً من طريق المصادفة والاهمال دون قصد أو ارادة ، كما زعمه جهلة المطلين ، وبلهاء الطبيعيين والمدادين ، اللهم اجرنا من امثال هذه العقول القاصرة الصيانية عند مدعي القدر والملك .



## الحكمة في نبات الشعر على الركب والباطنين

قال عليه السلام : ان النناية واشباههم حين جهدوا في عيب الخلفه والممد ، عابوا الشعر النابت على الركب والباطنين ، ولم يعلموا أن ذلك من رطوبة تنصب الى هذه المواضع فينبت فيه الشعر ، كما ينبت المشب في مستقيم المياه . أفلا ترى الى هذه المواضع فانها لسروراً هيأ لقبول تلك

ان النناية ( اللانوية ) اتباع ماني الفارسي ، واشباههم من المظلة الذين أنكروا خاتماً لهذا العالم ، ونسبوا تكوينه الى الصدفة والاهمال زاهمين ان لا قصد في الخلقه ولا ارادة ، وقد عابوا تلك الحلقة وقالوا ان كثيراً منها يثبت لا فائدة في وجوده ، ثم اجهدوا انفسهم في اثبات رأيهم الفاسد وفي نفي الحكمة عن كلامهم فبهموا حكمتهم ولم يتفعلوا مصلحتهم . وعلى هذا الاصل مقدم عابوا الشعر النابت في الباطنين وعلى الركب وقالوا انه لا فائدة في وجوده في هذه المواضع ، ولو لا جهلهم وعنادهم عن أن يفهموا ان ذلك من ضروريات البدن لادركوا ان هذه المواضع هي مفاصل العظام الغليظة الكبيرة التي عليها مدار حركة اليدين والرجلين ، وهي بالضرورة تحتاج الى رطوبة كثيرة مستمرة الانصباب اليها تسهيلات الحركة ولكيلا تنجف فتقف عن الحركة التي يحصل بها الشئ والاعمال اليدوية اللازمة .

لهذا فقد شاعت حكمة الخالق ان تنصب الرطوبة الى هذه المواضع بكثرة وبصورة مستمرة لطول تلك الغاية الواجبة . ثم ان هذه الرطوبة وان كانت كما عرفت ضرورية ولكنها مع ذلك إذا كثرت اضررت وارضخت المفاصل فكان من الواجب

الفضلة من غيرها ، ثم ان هذه تعد بما يحمل الانسان من مؤنة البدن وتكاليفه  
لئله في ذلك من المصلحة ، فان اهتمامه بتنظيف بدنه واخذ ما يملوه من الشعر  
بما يكسره شرته ويكف عاديته ، ويشغله عن بعض ما يخرجه اليه الفراغ  
من الاشر والبطالة .

تحفيفها واعتدال انصبابها ؛ لذلك فقد نبت فيها الشعر بكثرة كما نبت القصب في  
المستنقعات ؛ فان الشعر الذي خلق كالقصب أو كالانابيب ليمتص منها الزائد ويقذفه  
الى الخارج فيعتدل النصب على قدر الحاجة اللازمة .

ثم بعد ذلك فان له من المصالح والمنافع الاخلاقية والاجتماعية ما لا يستهان بها  
فان الانسان لما كان ذا نفس حيوانية ، وهي مجبولة على الظلم والشر والغضب وحب  
الغلبة واليل مع الشهوات ، فاذا ما حصل لها بعض المؤهلات والمساعدات من فراغ  
وبطالة وقوة مزاج وسعة في المال ظهرت تلك الخلال وقوى عملها دون اي مانع او  
عائق ، كما قيل يد .

ان للفراغ والشباب والجدة مفسدة للرء أي مفسدة

وبدعي ان تلك الصفات وان كانت جبلية فانها لتحمل صاحبها كافة ومشقة  
ومؤنة لا يستطيع حملها ، فتفسد عليه حياته المادئة ، وتطغى شرته ، وتثير عاديته ،  
لأن الغضب والشر والجور والطميان وحب الغلبة ليس مما يربيع البدن ؛ بل يكلفه  
ما يشغل عليه ، ويكون عالة على الجسم يخلق راحته وينكد عيشه . لذلك هيا الله  
تعالى له اسباباً واموراً تشغله على ما فيها من المصلحة عن الانقياد الى هوى النفس ،  
والانحدار الى هوة الشقاء والحرمان ( ولو بعض الوقت ) مثل انشغاله بمرض أو بعم  
أو بنعم أو بفكر في اس من الامور أو بولع بشيء أو بعمل من الاعمال وما الى ذلك  
بما يلهي الانسان من تنفيذ رغبات نفسه الامارة وميولها وشهواتها ولو حبناً من الزمن



وهذا الشعر النابت في هذه المواضع كثيرا ما يحدث الاوساخ والمفونات ، وهي بالطبع نجبر صاحبها على التنظيف وازالة الشعر . وهذا العمل اهمى التنظيف وازالة ما يملأ تلك الاماكن من الشعر ، مما يكسر شرته ويكف عاديته ويخفف من فوائده وغبضه : بل ويخرجه من بعض ما يخرجه اليه الغضب والفراغ والاشم : بمعنى ان صرف هذا الوقت ( وان قل ) فيها لا بد وان ينقص من فراغه ويقلل من ساعات ظلمه ويطره على انه إذا نظر الى ما يحمله هو من الاوساخ والقذارة وما يقيح منظره من زائد الشعر في نظر الرائي ، لا بد وان يصفر نفسه ويذلها امام نفسه ، وبهذا تنكسر سورة كبريائه وتنخفض حدة غلوائه لاسيما إذا رأى وشم تعفن ابطيه وتفن مقابته ، هذا مضافاً الى ان هذا التنظيف يفتح مسام الجلد ، وإذا انفتحت المسام سببت دخول اكسيجين الهواء النقي الى داخل الجسم من تلك المسام بصورة أكثر ، فيتمتعش البدن وتهدأ حرارته التي كانت سبباً لانارة المواطف النفسية الصاخبة والحالات المصبية المزجة . وفي هذا ما فيه من النعم والصالح الذي لا يراه اهمى البصيرة ولا يدركه مريض القلب .



## الريق وما فيه من المنفعة

قال عايبه السلام : تأمل الريق وما فيه من المنفعة ، فانه جعل يجري جريئاً دائماً الى الفم ليبل الحلق والاهوات فلا تجف ، فان هذه المواضع لو جمعت كذلك كان فيه هلاك الاسنان ، ثم كان لا يستطيع أن يسبح طعاما

الريق هو اللعاب المفرز من الغدد الامامية في الفم ، وهو يزيد وينقص حسب امزجة الاشخاص ، وحسب قلة الطعام وكثرته ورطوبته وييسه وقد تقدم مفصلاً في بيان لعاب فم الاطفال مع ذكر منافعه فلاموضع لتكراره غير انا نذكر لك في هذا الفصل ما أشار اليه الامام ( ع ) من باقي منافعه مع ذكر الاعضاء التي تنتفع به وهي -  
التهات والاسنان والمرارة .

أما الهات؛ فهي زائدة عضلية مغطاة بششاء مخاطي ومعلقة بالجزء الخلفي من سقف الحنك العلوي . وتتصل بها آخرها زائدة صغيرة اخرى تسمى ( الغلصمة )  
أما وظيفة هذه الهات فهي سد الجهة الخلفية من الحفر الانفية عند البلع والازدراد ، ولولاها لدخل بعض المأكول والمشروب الى داخل الانف ، فاذا لم يصلها هذا الريق على الدوام جفت وبطلت وظيفتها من تسهيل البلع والازدراد ، وقد يسبب جفافها ودخول بعض الاكل والشرب الى الانف عطاساً كثيراً أو عسر تنفس إذا وقف شيء منه داخل الحنجر .

أما الاسنان : فانه إذا لم يصلها هذا الريق ولم تكن مبتلة على الدوام جف غلافها ( اللبشاء ) وحدثت فيه شقوق وفجوات يدخل منها الهواء أو الجراثيم الى لب السن

إذا لم يكن في الفم بلة تنفذ ، تشهد بذلك المشاهدة . واعلم ان الرطوبة مطية الغذاء . وقد يجري من هذه البلة الى مواضع اخر من المرة فيكون في ذلك صلاح تام للانسان ، ولو بدست المرة لهلك الانسان .

يفسده ، وإذا فسد اللب فسدت الاسنان كلها . وهذا هو معنى قول الامام (ع) - كان فيه هلاك الاسنان - ولا يبعد أن يكون نبات الاسنان في اللثة الرخوة الهشة الرطبة والتي كان نسيجها مرناً رقيقاً لهذه الغاية اعني لان تكون الاسنان على الدوام رطبة مبتلة .

أما عدم اسافة الطعام في الفم من دون بلة ورطوبة تنفذه ، فذلك مالا ينبغي أن يخفى عليك بعد أن عرفت كيفية الهضم وحاجته الضرورية للماء ، ومن أجل هذا قال الامام (ع) : الرطوبة مطية الغذاء . أي كما أن المطية تسير براكبها الى المواضع التي يطلبها ، كذلك المائية تسير بالغذاء من الفم الى المعدة ثم الى الكبد ثم الى القلب ثم الى الشرايين ثم الى سائر الاعضاء . ولولا هذا الماء الشروب لما حصل الهضم ولا سار الغذاء السير الواجب المنتظم .

ثم ذكر الامام (ع) للربق منفعة اخرى مهمة تتوقف عليها حياة الانسان وبقاؤه ، وهي انصباب الماء الى المرة الصفراء لترقيتها وتسهيل ترشيحها الى المعدة عند خلائها لتنبية شهوة الطعام ، ولولاها لبقيت للمعدة خالية إذ لم تطلب الطعام ولم تشعر بحاجتها اليه ، ثم لتقطع البلغم التراكم في المعدة واجلائه منها اذا كثرت وحات واشتد الجوع . ومن فوائد هذه المرة ايضاً انصبابها الى عضلة مخرج المعاء المستقيم انتقبسه لاجراج الفضلات بالتنوط .

إذا قهذه المرة لو لم تكن سيالة رطبة بواسطة هذه المائية لجفت ، وبجفافها يمدم البدن جلب الغذاء الواجب ، واجراج فضلاته الفاسدة الفسدة ، وما عا ملان معان في

الحياة لا يستطيع أن يعيش الانسان بدونها ، إذ لا يقاوم بلاكل ولا راحة بدون نفوس  
وهذا معنى قوله (ع) : ولو ليست المرة هلك الانسان .

## محاذير كون بطن الانسان كهيئة القباء

قال عليه السلام: ولقد قال قوم من جهلة المتكلمين وضغفة المتفلسفين  
بقلة التمييز وقصور العلم : لو كان بطن الانسان كهيئة القباء يفتحها الطيب  
اذ شاء فيعائين ما فيه ويدخل يده فيعالج ما اراد علاجه، لم يكن اصلح من  
ان يكون مصمتاً محجوباً عن البصر واليد، لا يعرف ما فيه الا بدلالات  
غامضة كمثل النظر الى البول . وجس المرق وما اتبته ذلك مما يكثر فيه  
الغلط والشبه حتى ربما كان ذلك سبباً للموت . فلو علم هؤلاء الجهلة ان هذا

---

الجهال قيمان ؛ جاهل لا يعلم ولكنه يعلم بأنه لا يعلم ، وهذا هو الجاهل البسيط  
وجاهل لا يعلم ولكنه لا يعلم بأنه لا يعلم ، وهذا هو الجاهل المركب . وهذا القسم الاخير  
هو البلاء اللبم الذي يضر نفسه ويضر غيره بما لديه من العلم النافس الذي اغتر به  
والذي اعتقد بسببه انه يعرف كل شئ . في حال كونه جاهلاً بكل شئ . لذلك تراه  
بفروره مغانداً يأتي الى الامور من غير وجهتها ويضر الاشياء بغير معانيها . ثم يرمب  
عليها اموراً لا أساس لها بها . وهؤلاء هم امثال جهلة المتكلمين وضغفة المتفلسفين الذين  
ظنوا انهم ادر كواكنة الاشياء وحقائقها ؛ وعرفوا علل الامور واسرارها ، في حين  
انهم جهلوا حتى حقيقة انفسهم وكنهها . فاذا ما خفي عليهم كنه بعض الاشياء حسبوه

لو كان هكذا كان أول ما فيه ان كان يسقط عن الانسان الوجع من الامراض  
والموت ، وكان يستمر البقاء ويمتد بالسلامة فيخرجه ذلك الى الموت  
والاشرف ، ثم كانت الرطوبات التي في البطن ترشح وتتعلم فيفسد على  
الانسان مقعده ومرقده وثياب بدلكه وزينته ، بل كان يفسد عليه عيشه ،  
ثم ان المدة والكبد والقوادم انما تفعل أفعالها بالحرارة الغريزية التي جعلها

عبثاً لا فائدة في خلقته ، وظنوه خطأ لا نفع لوجوده ، ولا دليل عندم سوى انهم لم يدركوا  
مغزاه وسره وحكمته . وهل ذلك الاقلية تميزهم وفصول علمهم وضآلة عقولهم ، واليك  
نموذجاً من آرائهم السخيفة الصبغانية التي زعموها خطأ وعبثاً في الخلقه بمجرد ان لم  
يدركوا حكمة صنع هذا المخلوق الذي جعل عن ان يكونوا هم من افراده .

فلقد قالوا : ان بطن الانسان لو كان مخلوقاً مثل القباء ( وهو ثوب يلبس على  
الثياب يفتح مقدمه ويطلق ) لكان اصالح للانسان والحكم في الخلقه ، لأن الطيب  
كان يمكنه أن يفتح عند حصول مرض فيه إذا شاء فيعابته ليعرف ما فيه فيعالجه بادخال  
يده أو بالنظر الى المرض بعينه ، فذلك أقرب للشفاء واصالح من أن يكون البطن مصمتاً  
مسدوداً محجوباً عن الانظار غير مفتوح مثل القباء فان المصمت لا يعرف ما فيه من  
مرض الا بالدلالات والعلامات الطيبة الغامضة الخفية التي لا تشر الاظنا واحتمالاً مثل  
النظر الى القارورة (البول) ومثل جس العرق (النبض) ورؤية اللسان والعين والبشرة  
وامثالها . وهذا كله مما يكثُر فيه الخطأ والغلط والاشتباه ، وإذا كان الاستدلال على  
معرفة المرض بهذه الصورة والاطلاع على دخائل البطن على هذه الكيفية : ربما إخطأ  
فيها الطيب فكان سبباً للموت .

هذه هي مقالهم التي ذكرها الامام (ع) وهي وان كانت سخيفة لا تحتاج الى  
رد أو نقض لوضوح بطلانها ، ولكن الامام (ع) أراد أن يوضح الجواب تنبيهاً للفاصل

الله محتسبة في الجوف فلو كان في البطن فرج يفتح حتى يصل البصر الى رؤيته واليد املاجه لوصل برد الهواء الى الجوف فمزاج الحرارة الفريزية وبطل عمل الاحشاء فكان في ذلك هلاك الانسان أفلا ترى ان كلما تذهب اليه الاوهام سوى ما جاءت به الخلق فخطأ وخطل .

ما ذهب أو يذهب اليه امثال هؤلاء الجبهة ضعاف العقول الذين لا يرجعون الى الحق جهلاً وغروراً فقال (ع) مآثره : ان لو علم هؤلاء الجبهة ان هذا لو كان هكذا اي ان البطن لو كان كالتقباه كما زعموا لزم منه امور :

أولاً : ان الانسان إذا علم ان الطبيب لا يمسر عليه علاج أي مرض بعنقه حيث يفتح البطن ويستخرج المرض ، لاستشعر البقاء واختر بالسلامة لامتناعه بأنه اصبح في أمان من فتك الامراض ، وبهذا يذهب عنه الخوف من الموت وذلك يوجب غروره وطول امله في الحياة الموجبين لعتوه واشره وطفياه ؛ وإذا فسد هذا الفرد الغرور وغيره فسد مجتمعه بكثرة هؤلاء الغرورين فيه ، وهكذا إذا فسدت المجتمعات اختلت الحياة البشرية مطلقاً بكثرة الفوضى والظلم والظلم والاضلال .

ثانياً : أنه لو كان البطن مفتوحاً كقباه وهو كما هلت مجمع الرطوبات المنسبة اليه على الدوام من الأكل والشروب والافرازات الغدبية لكان دائم الترشيح والسيلان وهذا بالطبع يفسد الثياب ويندى المقعد والمرقد ويذهب بكل زينة في المجلس والملبس بل ويذهب براحة الانسان واستقراره وينكد عليه عيشه مضافاً الى قيح الحال والنظر ثالثاً : انه من المسلم طبياً ان الاعضاء الرئيسية العاملة كالقلب والكبد والعدة والتي عليها مدار قوام البدن وحياته ، لم تكن قادرة على اداء وظائفها الا بواسطة الحرارة الفريزية التي جعلها الله تعالى محتسبة في الجوف ، كما جعلها ثابتة الدرجة دائماً بحيث لا يؤثر فيها حر الصيف ولا برد الشتاء حتى تستقيم الحياة على نمط واحد ونظام

واحد فلو كان البطن مثل القباء يفتح وينلق لدخل اليه الهواء الخارجي ، ولمزج مع هذه الحرارة الغريزية ، وبذلك تبرد وتختل درجة الحرارة الواجبة ، وإذا بردت بطل عمل تلك الاعضاء الرئيسية ، ومعنى ذلك هلاك الانسان .

فبان من ذلك ان هذا النظام الحكيم في الصنعة هو اللازم الضروري وان كلما ذهبت اليه الاوهام الكاسدة ، وتشددت به الجهة والضمفاء من المتكلمين والمنفلسة باطل وخطئ ، وان ليس هناك صالح واصح لا احسن سوى ما جاءت به الحكمة الالهية الصائبة .

ويجدد بنا هنا أن نبين لك ماهي الحرارة الغريزية التي يذكرها الاطباء والمشرحون فنقول : عرفت آنفاً ان التنفس عبارة عن حركتي الشهيق والزفير ، وان الزئمين فمجتبان بمحركتهما الاكسيجين من النقي الداخل اليهما بالشهيق وتدفعان الكربون ( حمض الكربونيك ) بالزفير ، فاعرف الآن ان هذا التبادل والاخذ والرد والجذب المدفع في التنفس مما يهبج الالياف العضلية التي بها يسخن الدم وبذلك تتولد حرارة محسوسة داخل البدن تسمى لدى الاطباء ( الحرارة الغريزية ) أو ( الحرارة الحيوانية ) وهذه الحرارة يجب ان يكون على الدوام بدرجة واحدة ثابتة في البدن لا تزيد ولا تنقص فهي إذا اختلفت واختلفت توازنها اختلفت صحة البدن وانحرف المزاج . فتأمل واعتبر .



## افعال الانسان في المطعم والنوم والجماع

قال عليه السلام: ففكر يا مفضل في الافعال التي جعلت في الانسان من العظم والنوم والجماع وما در فيها، فانه جعل لكل واحد منها في الطبع نفسه محرك يقتضيه ويستحثه عايه، فالجوع يقتضي للطعم الذي فيه راحة البدن وقوامه، والكري يقتضي النوم الذي فيه راحة البدن واجام قواه،

---

ان الحياة الانسانية قائمة في بقاء الفرد ودوام النوع على امور ثلاثة لا يلقى لكل حي منها وهي (١) الطعام (٢) النوم (٣) الجماع . إذ لو لم يكن طعام لتحلل البدن وانحلت قواه وربما ادى الى الموت . ولو لم يكن نوم تستجم به الاعضاء قواها لما أمكنها اداء وظائفها وعند ذلك يضمف البدن وتسقط قواه وان دام انتهى بالموت ايضاً . هذا بالنسبة الى الفرد . أما إذا لم يكن جماع لم يحصل الاقحاح ، وإذا لم يحصل الاقحاح لم يولد الفرد ، وإذا لم يولد الفرد انتقطع النسل وبانتقطع النسل يمتد النوع . إذا فلا غرابة اذا قيل : ان هذه الافعال الثلاثة هي قوام الحياة البشرية واساس بقائها .

وعلى هذا الاساس فقد كان من واجب كل فرد من بني الانسان ان ياكل وان ينام يجماع ابقاء على الفرد والنوع . ولكن لما كان الكثير من افراد البشر ميالاً لعباءة الراحة والكسل غير ناظر الى الامور البعيدة ولا مراعى لغاية الخلقة ، كان من الممكن له ان لا يهتم ببعض هذه الافعال أو كلها احياناً وان علم بضرورتها . فقد



والشبق يقتضي الجماع الذي فيه دوام النسل وبقاؤه ، ولو كان الانسان انا  
يصير الى اكل الطعام لمعرفة بحاجة البدن اليه ولم يجد من طباعه شيئاً  
يضطره الى ذلك كان خليعاً أن يتوانى عنه احياناً بالثقل والكسل حتى  
ينحل بدنه فيهلك ، كما يحتاج الواحد الى الدواء لشيء مما يصلح به بدنه  
فيدافع به حتى يؤديه ذلك الى المرض او الموت . وكذلك لو كان لها بصير

شامت الحكمة الالهية التي ارادت للانسان أن يفضل ذلك ، ان تجعل في طبعه التقطري  
محركاً ومحضراً يجره ويحثه على اجرائها ، وان تخلق له من نفسه داعياً بدعوه ويضطره  
الى الاقدام على فعلها ، ايصل الى المصلحة المطلوبة . فجعل الله تعالى الجوع محركاً له  
الى طلب الطعام القوم له ، والكرى يجره الى النوم القوي فيه اجمام القوى وراحة  
الاعضاء ، والشبق يدعوه الى الجماع الذي فيه دوام النسل واستمراره .

فلو كان الانسان إنما يطلب الطعام بمجرد علمه بأنه يحتاجه فقط ولم يضطره شيء  
على الاقدام عليه ، بما تناقل وكسل عن طلبه ، وهذا ان دام ادى الى انحلال البدن  
تدريجياً وربما هلك ، كالمرض الممتنع من استعمال الدواء المصلح له فان المرض قد  
يستفحل اذا امتنع عن تناوله وهو واجب له أو أن يحدث له مرض آخر بسبب ذلك  
وقد ينتهي بالموت . وكذلك اذا كان لا يطلب النوم الا عندما يفكر بان بدنه يطلب  
الراحة ويحتاجها وان قواه محتاجة الاستجمام ، ولم يفكر في ان استقامة حياته مرهونة  
به ، لتكاسل وتسامح فيه ، ودافع عنه حسب امكانه حياً في اليقظة أو لأن اعماله  
لا تسمح له بالنوم . وهذا ايضاً مما ينهك البدن ويوصله تدريجياً الى انعدام القوى  
ثم الموت .

ومثلها الجماع ، فانه اذا لم يفعله ولم يطلبه الارغبة في الولد ولم ينظر اليه من  
وجهة بقاء النوع ، ولم يكن فيه محرك على فعله ، كان خليعاً بان يتسامح ويتساهل بحجة

الى النوم بالفكر في حاجته راحة البدن واجمام قراه ، كان عصي ان  
يتناقل عن ذلك في دفعه حتى ينهك بدنه . ولو كان انما يتحرك للجماع بالرغبة  
في الولد ، كان غير بعيد أن يفتر عته حتى يقل النساء أو يتقطع . فلن من الناس  
من لا يرغب في الولد ولا بحفل به . فانظر كيف جعل لكل واحد من  
هذه الأفعال التي بها تقوم الانسان وصلاحة محركا من نفس الطبع يحركه  
لذلك ويحدوه عليه .

انه لا يريد الولد ولا يرغب في النسل . أو انه كان يسوف ذلك لوقت آخر حين يطلبه  
ويوغب فيه ، وهذا مما يقلل النسل وان دام قطعه ، وكل ذلك يخالف لغرض الخالق  
الحكيم .

هذا هو ما اراده الامام (ع) في بيانه الفصل . والآن لا بأس ببيان مفردات  
هذا البحث ومعرفةا تماما لفائدة وهي الجوع والطعام والكرى والنوم والشبق والجماع  
واليكها .

الجوع : هو الاحساس بحاجة البدن الى الغذاء . وكيفية ذلك هي ان جميع  
الجهود الحيوية التي يقوم بها البدن من جسمه وفكره . وجميع الاعمال الحادثة داخل  
للبدن لم يكن مصدرها الاسامي الا الوقود الذي يتناوله الحيوان والانسان بصورة الغذاء  
فانه هو الذي يولد الطاقة الحرارية ( الحرارة الفيزيائية ) التي تحرك القلب وتشغل الفكر  
وتقيم الحياة الجسمية ، وهو الباني لانسجة الجسم ، والمد له العناصر الضرورية لتأدية  
للمليات الحيوية فيه ، فاذا لم يصل الغذاء قلت الطاقة الحرارية واذا قلت ابطأ القلب  
في حركته ، واذا ابطأ القلب في حركته وقفت جميع الاعمال داخل البدن وهي المسماة  
بمجموعها ( الحياة ) .

ثم ان هذه الطاقة من خصائصها انها اذا لم تجد غذاء تعمل فيه ، مالت الى انسجة الجسم لتستهلكها كوقود تكل به نقض الغذاء وذلك حفظاً للحياة في زمن عدم وجود غذاء لها . وهذا ايضاً مما يترك الجسم ويذويه .

أما المحرك لهذا الاحساس الذي ذكرناه والمسمى ( بالجوع ) فهو المدبر العام للبدن اى ( الدماغ ) فانه ينبه عضلات المعدة عند خلوها من الطعام ، ليحدث فيها ما يشبه الغص ثم يحصل في عموم البدن مثل الانحلال والتور . وهذا الحال هو الذي يدعو الى طلب الغذاء .

أما الغذاء : فهو كل مادة من أصل عضوي أو نباتي أو معدني يدخل الى البدن ثم تجري عليه اعمال كياوية متنوعة تسمى ( هضما ) ثم يمتص رقيقه لتعويض ما فقد من ابناء الجسم واعطائها القوة والتعادل الطبيعي المطلوب .

أما الكرى : فهو طلب الاعضاء والقوى راحتها واستجابتها الضروري وذلك بفتور الاعصاب وتعطيتها . ويظهر ذلك بتراخي الاجفان وميلها الى الانطباع على العينين مما يدعو الشخص الى طلب النوم والاضطجاع .

أما النوم : فهو تعطيل النفس ليهض آلتها اجمالا لها . ونجدد النائم عن كل تأثير خارجي مما يحيط به بحيث يخلو بكلية الى نفسه .

وكيفية ذلك أن يتبدى أولافي العيون فتنتطبق عليها الجفون ، ثم يحدث شعور لطيف بلذة . ثم يمتري عضلات الوجه واليدين والرجلين كل ثم يبطل الـ مع وتقطع بقية المشاعر عن الحس ، ثم تنعدم الارادة ، ثم يسيطر على ساير اعضاء الجسم قلة الشعور بحيث يعدم النائم به ادراك كلما حوله من الكائنات .

وقد قسم النوم في تدرجه هذا الى مراتب أولها النعاس وهو الشعور بالحاجة الى النوم ، ثم الوسن وهو نفل النعاس . ثم الكرى والغمص وهو حالة بين للنوم واليقظة . ثم التفتيق وهو النوم الثقيل ، ثم الرقاد وهو النوم الطويل . ثم المهجود والمجوع

وهو النوم الفرق ، ثم التسبيخ وهو أشد النوم .

وإن أنسب أوقات النوم وأصحها هو الليل كما قال تعالى : وجعلنا الليل لباساً .  
أي سترأ مريحاً بواسطة النوم للربح حيث قال تعالى قبله - وجعلنا نومكم سباتاً - أي  
راحة والسبب في كون الليل مريحاً والنوم فيه أصح وأنسب هو أمور ، منها هدوه الجو  
وسكونه فيخدر فيه البدن وتبطل في الدورة الدموية في دورانها ، وبقل تولد الحرارة  
الغريزية : ومنها أن الليل يفقد ضوء الشمس الذي هو من أعظم منبهات الحياة  
وتحدث فيه الظلمة التي هي من شأنها إضعاف القوى الحيوية ، ومنها كثرة الرطوبة في  
الهواء ليلاً وذلك مما يخدر الجسم والاعصاب ويمضها على الهدوه وبعكس النهار : وبالجملة  
فإن الليل مريح للدماغ والجسم مما . ويخفف ثوب القوى العقلية والجسمية .

وهذا بالطبع مما ينشطها على أداء وظائفها بعد الراحة والاستجمام : حتى  
أنه قد يشفى بعض الأمراض بهذا السكون والهدوه النومي كمرض الاسهال وهيجان  
الاعصاب والانفعالات النفسية وبعض الآلام .

ومن المستحسن أن يعلم بان النوم يجب أن يكون معتدلاً لا قليلاً يضر بالصحة  
لعدم كفايته فيحدث النحول والاصفرار والضعف والصداع والهرزال ، ولا كثيراً فيولد  
العقل ويضعف الذاكرة والمخيلة ويرهل البدن . ولا بعد الاكل بلا فاصلة ساعة على  
الأقل فيوجب الاحلام الرديئة والمزعجة والكابوس واشباهها .

أما الشبق : فهو هياج الحب والقوى والجاذبية الشديدة بين الذكر والانثى  
بواسطة تنبيه الدماغ والاعصاب والأعضاء التناسلية وحصول قوة فيها تكاد ان لا تقاوم  
بحيث إذا صدرت كلفت صاحبها مشقة وخسارة في سائر القوى العقلية والجسمية .  
وقد عرفه بعضهم بان الشبق هو قوة طبيعية في الأعضاء التناسلية تهيج فتندموا الى الوصال  
الجنسي الذي تكون غايته انتاج النوع ودوام النسل .

أما الجماع : فهو تلك العملية الجنسية التي يحصل بها الوفاق الروحي بين الزوجين  
والولام العقلي والاتحاد الحسي فيما بينهما ، إذ يتلاقيان وجهاً لوجه ، ويتقاربان فأنف

وينضمان صدرأ لصدر . وهو رمز لقائه اثنين أحدا جسما وروحاً ولقائه وشعوراً .  
ولهذه العملية الجنسية غايات ثلاث ؛ أحدها أن تكون رمزاً للانحداد الروحي  
بين اثنين مضافاً الى ما يحصل لهما من التمتع والالذة والراحة . والثانية ما تمنحه لهما من  
الشمور المتبادل ، لا السرور الاناني الذي يتمتع به جانب واحد دون الجانب الثاني  
الثالثة ان تفضي الى إيجاد نشيء جديد وحي ثالث بمجرد امتزاج ما بينهما ولقاح جرثومة  
الذكر لبويضة الانثى .

فاذا عرفت كل ذلك ، وتأملت ممتبراً في هذا الابداع الحكيم . لا بد وانك  
تؤمن بما جعل الله تعالى لكل واحد من هذه الأفعال من النظام العجيب في الحلقة  
والغريب في الصنع . وما تفضل به ، انعم على هذا الانسان بخلق تلك المحركات الطبيعية  
من نفسه للاقدام على ما هو قوامه وصلاحه واذا حصل لك هذا اليقين عرفت مبلغ  
سخافة مزاعم المطلقين والمهلين .

\*\*\*

## في بيان القوى الأربع في البدن

قال عليه السلام: واعلم ان في الانسان قوى اربع ، قوة جاذبية تقبل الغذاء وتورده على المدة ، وقوة ماسكة تجبس الطعام حتى تفعل فيه الطبيعية فعلها . وقوة هاضمة وهي التي تطبخه وتستخرج صفوه وتبثه في البدن وقوة دافعة تدفمه وتحدّر الثقل الفاضل بمد اخذ الهاضمة حاجتها . ففكر في تقدير هذه القوى الاربع التي في البدن وافعالها وقديرها للحاجة

---

اتفق الاطباء قديماً وحديثاً على وجود قوى طبيعية أربع في البدن ولم يكن بينها خلاف سوى في التعبير عنها وفي تعاريفها .

قال ابن سينا في القانون: القوى الطبيعية منها خادمة ومنها مخدمومة ، أما المخدمومة فهي جنسان . جنس يتصرف في الغذاء لبقاء الشخص ، وهي الغازية والناوية ، وجنس يتصرف فيه لبقاء النوع ، وهي المولدة والمصورة ، الى آخر تفصيله .

أما الخادمة التي نحن الآن بصدد بيانها . فانه يقول فيها : انها خوادم القوة للغازية وهي أربع قوى - الجاذبية والماسكة والهاضمة والدافعة - فالجاذبية خلقت لتجذب النافع وتضلل ذلك بواسطة ليف الهضو الذي هي فيه على استتالة . والماسكة خلقت لتمسك النافع ريثما تتصرف فيه القوى الهاضمة وتفعل ذلك بليف مورب وربما اعانه المعرض . والهاضمة وهي التي تحيل ما جذبته الجاذبية ومسكته الماسكة الى قوام مهيأ لفعل القوة المغيرة فيه . والى مزاج صالح للاستتالة الى الغذائية بالفعل ، هذا فعلها في

اليها والارب فيها وما في ذلك من التدبير والحكمة . فلولا الجاذبة كيف كان يتحرك الانسان لطلب الغذاء الذي به قوام البدن . ولولا الماسكة كيف كان يلبث الطعام في الجوف حتى تهضمه المعدة . ولولا الهاضمة كيف كان يطبخ حتى يخلص منه الصفو الذي يذو البدن ويسد خلاله . ولولا الدافعة كيف كان الثقل الذي تخلفه الهاضمة يندفع ويخرج أولا فاولا . افلا ترى كيف وكل الله سبحانه بلطف صنعه وحسن تقديره هذه القوى بالبدن والقيام بها فيه صلاحه .

النافع . أما فعلها في الفضول فان الدافعة تسهل لها السبيل الى الاندفاع نحو الخارج . وهذا عين ما ذهب اليه الطب الحديث اذ يقول : ان المعدة شبيهة بالقرعة الطويلة العنق وسركمة من ثلاث طبقات ومن شظايا دقاق شبيهة بشظايا الذهب تسمى ( الياف ) يحيط بها اللحم . فليف احدى الطبقات ممتدة في طول المعدة وليف الاخرى بالعرض وليف الثالثة مورب فالتى في الطول تجذب الغذاء . والتي في العرض تدفعه والموربة تمسكه لتمضمه الحرارة الغريزية وتعينها افرازات الغدد المعدية المحتوية على مادة ( بيسين ) . فاذا وعيت هذين الزولين . ادركت توافقهما في الرمي والمعنى تحقق لبدك انهما ذكرا عين ما ذكره الامام ( ع ) المفضل في هذا الفصل .

وهذا مما يدل على ان الامام ( ع ) وهو في القرن الثاني من الهجرة قد سبق ابن سينا واضرا به وتقدم الطب الحديث واطبائه في معرفة هذه القوى التي لم يدركها الأطباء قديماً وحديثاً إلا بعد مدة غير قصيرة . فهل تشك بعد هذا ان ( ع ) كانت علومه الهامة لاكسبية استقاها من آباءه واجداده عن البحر المحيط رسول الله ( ص ) عن جبرائيل عن الله تعالى ؟ فتأمل واعتبر إذا ترى كيف وكل سبحانه بلطفه وحسن

تقدره هذه القوى في البدن لتدبر اماله وافماله : ولتقوم الاعضاء بواسطتها لما فيه صلاحه وبقائه . وتعالى الخالق عن جهل الجاهلين وتشدق للمحدين .

## مثال يقرب للذهن فعل القوى الأربع

قال عليه السلام : وسأمثل لك في ذلك مثالا : ان البدن بمنزلة دار الملك له فيها حشم وقوام موكلون بالدار ، فواحد لقضاء حوائج الحشم وايزادها عليهم ، وآخر لقبض ما يرد وخزنه الى أن يمالج ويبيا ، وآخر

لقد اراد الامام (ع) بهذا المثال ان يوضح المفضل ومن يسمع مقالته ، كيفية فعل هذه القوى الأربع ومقامها في البدن . وان يقرب للذهن بداعة الخافقة وحكمة الصنعة بصورة جلية سهلة ، لأن هذه القوى ليست اعضاء مرئية يشار اليها . ولأجسام محسوسة تدرك باحد الحواس ليعرف الانسان اهميتها في تدبير البدن واصلاحه . لذلك فقد مثل لها هذا المثل القريب لفهم والملمص بالفكر ، فقال : ان البدن بمنزلة دار الملك الخ . ومعلوم ان دار الملك لا بد لها من أهل يسكونها . وعمال وخدم . حشم يدبرون اعمالها ولوازمها جلب الراحة لقاطنينها واسعاد ساكنيها . ففهم من يحضر لهم حوائجهم اللازمة من مأكل ومشروب . ومنهم من يقبضها ليحفظها ويخزنها عنده حتى ياخذها منه من يتكلف بماليتها وتبائتها للاستعمال ورفع حاجتهم منها . ومنهم من يقبضها عليهم بعد اكمال احضارها لينال كل فرد منهم نصيبه وحاجته منها . ومنهم من يتكفل بتظيف الدار من فضلات ما استعملوه . وكس الاقدار ودفنها للخارج . وغير خفي ان كل هذه الافعال لازمة وواجبة للبيت لاستراحة السكان وبقائهم



لعلاج ذلك وتبلياته وتفريجه ، وآخر لتنظيف ما في الدار من الافذار  
 واخراجها منه . فالملك في هذا هو الخلاق الحكيم ملك العالمين ، والدار  
 هي البدن ، والحشم هي الاعضاء ؛ والقوام هي هذه القوى الاربع ولملك ترى  
 ذكرنا هذه القوى الاربع واقعا لها بهد الذي وصفنا فضلا وزيادة وليس  
 ماذكرته من هذه القوى على الجهة التي ذكرت في كتب الاطباء ولاقولنا

نشطين اصحاء يجيئون في دارهم حياة هنيئة سعيدة .

فالملك وصاحب الدار في هذا المثال هو صانعه الحكيم القدير ملك العالمين  
 وداره التي صنعها هي بدن الانسان . وسكانها من خدم وحشم وعمال هم الاعضاء .  
 والقوام الذين فيه هي القوى الاربع المذكورة .

ولنقابل أن يقول هنا ان هذا المثال وان كان صحيحاً في ذاته من وجهة التشبيه  
 ولكنه في هذا المقام فضلة زائدة لا ربط له بالموضوع ، لأن البحث طبي والمثل غير طبي  
 ولم تذكره الاطباء في كتبهم . ولكن الامام (ع) اجاب عنه لاحتمال وروده فقال (ع)  
 ان ماذكرناه في هذا المثال لم نرد به الوجهة الطبيعية . ولم نقصد به ما قصدناه من الطب  
 من تصحيح الابدان ، بل إنما قصدنا به الوجهة الدينية وما يحتاج منه في صلاح الدين  
 وشفاء النفوس من النقي والضلال ، ولبيان الحكمة والتقدير والمنة الالهية والابداع  
 المتقن في الحلقة ، إذاً فلا اعتراض .

وعلى غرار هذا المثل احببت ان اذكر تمثيل البدن وتشبيهه بالعالم الكبير ومجموعة  
 الاكوان كما اشار اليه الامام أمير المؤمنين عليه السلام بقوله :

انزعم انك جرم صغير وفيك انطوى العالم الاكبر

فقد قال علماء النفس : ان الله تعالى خلق الانسان ، وحصر في هيكله الجسماني

فيه كقولهم ، لانهم ذكروها على ما يحتاج اليه في صناعة الطب وتصحیح  
الابدان ؛ وذكرناها على ما يحتاج في صلاح الدين وشفاء النفوس من النفي  
كالذي اوضحته بالوصف الشافي والمثل المضروب من الحكمة والتدبير فيها .

جميع العلويات والسفليات من الموجودات ، فافترق منها مجده مجتمعاً فيه تأمل لترى  
انه كما ان البروج اثنا عشر ففي جسم الانسان ١٢ ثقباً ، وكما ان الكواكب سبعة ففي  
الانسان قوى سبعة . وحركات الانسان كحركات الكواكب فولادته كطولها وموتها  
كفروبها ، وكما ان القمر يستمد نوره من الشمس وينقص ويزيد ، فكذلك العقل  
يستمد النور من الروح وهو ايضا في زيادة ونقصان وكما ان في العالم ماء ملحاً ومذبا  
وحامضاً ومرماً ، فكذلك في الانسان يوجد الماء المالح في العيين والعضب في القم والحامض  
في المنخرين والمر في الاذنين ، ثم ان جسد الانسان يشبه الارض ، فمظانه كالجيال ،  
وعروقه كالجداول ، وشعره كالتبات ، ووجهه كالشرق وظهيره كالمغرب وعينه كالجنوب  
وشماته كالشمال ونفسه كالريح وكلامه كالرعد وضحكه كالبرق وبكاؤه كالطرر وضضبه  
كالسحاب ونومه كالموت وبقظته كالحياة وشبابه كالصيف وشيخوخته كالشتاء . وكان  
في البحر حيوانات مضطربة ففي الانسان اعضاء مضطربة كاللسان ، وكما ان فيه ايضا  
سباعاً شياطين وبها تم في الانسان حب الاقراص وطلب القهر والغلبة والحقد والغضب  
والحسد والفجور والاكل والشرب والجماع وامثالها . وكما ان في العالم من يظهر لعيون  
ومن يخفي فكذلك في الانسان ظاهر وباطن كعالم الحس وعالم النيب فتبارك الله احسن  
الخالقين الذي زين هذا العالم الصغير بمجانبه وصور هذا الانسان العجيب باقسام الحسن  
فجعل الطافة في روحه والملاحة في لسانه والاضياء في وجهه والنور في عينيه والظلمة في  
شعره والرقة في قلبه والدقة في سره فسبحان مبدعه . وللانسان تشبيهات كثيرة لا  
يحل لذكرها الآن .

## النفس وقواها

قال عايشة السلام: تأمل يا مفضل هذه القوى في النفس وموقعها من الانسان اعنى الفكر والوهم والعقل والحفظ وغير ذلك ، أفرأيت لو نقص الانسان من هذه الخلال الحفظ وحده كيف كانت تكون حاله وكم

لقد اختلف الحكماء والفلاسفة في تعريف النفس وتحديد كنهها وحقيقتها اخلاقا كثيرا . فذهب افلاطون الى ان النفس جوهر مجرد ، له ذاتية تخالف ذاتية الجسم وان هذا الجوهر ذو وجود ازلي ابدى . ثم جاء بعده ارسطو فخالف استاذه في ذلك حيث قال : ان النفس هي مجموع الوظائف العضوية التي امتاز بها الكائن الحي ، ثم قسمها الى ثلاثة اقسام :

(١) ناطقة وهي الخاصة بالانسان

(٢) حاسة وهي المشتركة بين الحيوان والانسان .

(٣) غاذية وهي المشتركة بين الانسان والحيوان والنبات .

أما في العصور الوسطى فقد اختلفوا ايضا اختلافا بينا ، فمنهم من رجح رأي ارسطو ، ومنهم من وفق بين رأي ارسطو وافلاطون ومنهم من خالفهما ، واليك رأي بعضهم على سبيل المثل ، قال ابن سينا : ان النفس في اول أمرها جوهر جزئي مستقل بذاته ، ثم أخذ هذا الاستقلال بزيادة بقائها في الجسد ، وهي لا تنشأ من امتزاج العناصر ، ولا هي صورة لازمة للجسم ، ولكنها عارضة عليه ، وان أكل جسد نفسا خاصة لا يصلح الا له تناض عليه من واهب الصور وهو العقل الفعال ، وان لها قوى

من خلل كان يدخل عليه في اموره ومماشه وتجاربه اذنا لم يحفظ ماله وما عليه وما اخذ وما اعطى وما رأى وما سمع وما قال وما قيل له ، ولم يذكر من أحسن اليه ممن اساء به ، وما نفعه وما ضره ، ثم كان لا يبتدي لطريق

عجيبة مختلفة ، تصدر عنها آثار عجيبة وهي تخرج الى الملا الاعلى مجتازة مراتب الموجودات المتناوته ، أقول هورأى ابن سينا هذا يظهر جلياً في قصيدته العينية المشهورة ( النفس ) .

وقال ابن مسكويه : ان النفس جوهر بسيط غير محسوس بشيء من الحواس ، وهي تدرك وجود ذاتها ، وتعلم انها تعلم وانها تعمل : فهي ليست بجسم لأنها تقبل صور الاشياء المتناقضة اشد التناقض في وقت واحد معاً كقبولها للابيض والاسود في آن واحد مثلاً ، في حين ان الجسم اذا قبل السواد لا يمكنه أن يقبل البياض في وقت واحد ، ثم انها تقبل صور المحسوسات والمعقولات ايضاً على السوية ، ولا كذلك الاجسام ، وفوق ذلك كله أن النفس فيها معرفة عقلية أولية لم تأت اليها من الحواس ، فهي تستطيع بهذه المعرفة الاولية أن تميز بين الصادق والكاذب مما ياتيها من الحواس ، وهي بهذا تشرف على الحواس وتصحيح خطأها : وبهذه الوحدة العقلية أمكنها أن تدرك ذاتها وان تعلم انها تعلم ؛ وهي وحدة يكون فيها الماقل والمعقول والعقل شيئاً واحداً .

أما اخوان الصفا : فأنهم يقولون ان النفس فيض صادر عن النفس الكلية أو نفس العالم ، وان نفوس أفراد الانسان تؤلف جوهر أيمن أن نسميه الانسان للطلق - أو النفس الانسانية - وهذه النفس غائصة في بحر الهيولى ، ولا بد أن تصير عقلاً بالتدريب . وان نفس الطفل في أولها كصحيفة بيضاء لم ينقش عليها شيء وكما تجملها اليها الحواس الخس ، فتناولها القوة المتخيلة متجمعة وهي في مقدم الدماغ ثم تدفعه الى القوة المفكرة ، ومسكنها وسط المساع فتميز بعضها من بعض وتعرف الحق من

لو سلكه مالا يحصى ولا يحفظ علما ولو درسه عمره ، ولا يستقد ديننا ، ولا  
يبتنع بتجربة ، ولا يستطيع أن يتبر شيئا على ماضي ، بل كان حقيقا ان  
ينسلخ عن الانسانية .

الباطل : ثم تودبه الى الحافظة التي يكون مجراها مؤخر الدماغ .  
أما القوة الناطقة : فهي التي تعبر عما في النفس لاسامعين بالالفاظ ، أو انها  
تقيده بصناعة الكتابة . فتكون للنفس خمس حواس باطنة تقابل الحس الظاهرة .  
الى غيرها من الاراء المتقاربة نارة والمتباعدة نارة اخرى .  
أما علماء النفس في هذا العصر فقد اختلفوا ايضا في تعريفها اختلافا  
كثيرا حتى قال بعض المتأخرين ان البحث بعد لم يهتد الى معرفة كنهها : ولما يجد الباحث  
المدقق تعريفا شافيا . فهي امة الروح يقال خرجت نفسه أي فاضت روحه ، وتستعمل  
بمعنى الدم كما تستعمل بمعنى الجسد ايضا . وتأتي ايضا لكيد فيقال هو نفسه أي عينا  
الى غيرها من المعاني .

أما في عرف العلماء والفنيين فهم كذلك اقساموا في تعريفها الى أقسام  
فنهم من عرفها بانها هي ذلك النشاط الذي يمتاز به الكائن الحي ويسيطر على كل حركانه  
ومنهم من فسرها بانها التفاعل الذي يظهر عند وجود الكائن الحي مع غيره من الاحياء  
الاخرى . ومنهم من قال انها القوة الخفية الموجودة في كل كائن حي والتي تظل كامنة  
فيه فيحيها بها وان اصابها ما يذهبها فقد فقد حياته .

وبعضهم فسر نفسية المرء بانها شخصيته التي هي كلما يعرف عنه ، أو كلما ه  
مشهور به بين رفاقه .

وفريق آخر عرفها بانها وظيفة العقل والجهاز العصبي للانسان .

وقصارى القول ان النفس لم يعرف حتى الآن كنهها بالضبط ، بل لم يعرف حتى موقها من الانسان ، وكما يعرف عنها هو ما يلاحظ على المزه من حركات وسكنات ونشاط حيوى سواء اكان ذلك خاصا به أو بواسطة احتكاكه بغيره من الكائنات فالنفس السليمة يرى صاحبها وقد سار سيراً في الحياة في طريق سوى طبيعي ايسر به شذوذ ، والنفس السقيمة يرى صاحبها وقد سار سيراً شاذاً معوجاً غير مألوف .

أقول : ان الذي ظهر من مجموع الاقوال المختلفة والآراء المتفاوتة قديماً وحديثاً هو : ان النفس هي تلك الروح التي حيرت العقول وافلقت الافكار من الفلاسفة والحكماء ، ولم يصلوا الى شيء من معرفتها بعد البحوث المتواصلة والتحقيقات المتنوعة ، لذلك فقد قالوا بعد المعجز : ان النفس هي سر الهى يقصر فهم البشر عن ادراكه . وهنا تزامم ينجبتون قوله تعالى : ( يسألونك عن الروح قل من أمر ربى وما اوتيتم من العلم إلا قليلاً ) .

قال الاستاذ الصراوى في كتابه (النراز) : وقد ظهر أخيراً فى عالم الاختراع مخترع جديد وهو عدسة بلورية ، انفذ المخترع من خلالها اشعة قوية الى جسم حي ، فراه وقد أحاطت به اشعة مضيئة كالمحلاة ، سماها ( اشعة الحياة ) . وجهها الى جسم شخص كان يمالج سكرات الموت ، رأى ذلك الشئ اعز المرئى يتضاهل رويداً رويداً حتى اختفى ، وباختفائه انقضت الحياة ، فظن هذا المخترع ان هذا الشعاع هو الروح ، ولكن بعد ذلك داخله الشك فى ظنه حيث احتمل ان يكون حدوث هذا النور كان من الحركة التى تؤديها جزيئات الجسم الهى ، فيكون على هذا أمر من آثار الروح لانفسه .

أقول : فما شبه النفس ( إذا أردنا تقريبها للذهن ) بالتيار الكهربائى الذى نراه يتغذى من خلال السلك المادنى دون أن نشاهده ، فى حين اننا لارى فرقا ظاهراً بين سلكه والسلك الخالى من التيار ، وإمما النور والحركة فقط هما الاذان يدلان على

وجود هذا التيار في السلك الاول دون الثاني .

ثم ان هذه النفس مهما كثرت قواها فانها تقسم عموماً الى قسمين ، أحدهما موكل بالادراك وثانيهما موكل بالحركة والعمل . وكل قسم من هذين يتقسم ايضاً الى ثلاثة انفس .

( الاولى ) النفس النباتية وهي الكمال الاول للجسم الطبيعي الآلى من حيث تولده وتغذيته ونموه .

( الثانية ) النفس الحيوانية وهي الكمال الاول للجسم الطبيعي الآلى من جهة ادراكه للجزيئات ونحركه بالارادة .

( الثالثة ) النفس الانسانية وهي الكمال الاول للجسم الطبيعي الآلى من ناحية فعله للافعال الكائنة بالاختيار الفكري والاستبطان بالرأي وادراك الامور الكلية .  
ولسنا نحن الآن بصدد بيان قوى النفس كلها ، لأن ذلك يحتاج الى مجال اوسع وكتاب أضخم ولكن الفرض هنا هو شرح ما ذكره الامام (ع) للفضل ابن عمر .  
ليكون موضع اعتبار وتأمل في هذه الحلقة : ومحل تفكير وتفكر وتعقل في هذه الصنعة ، وقد ذكر الفكر والوهم والعقل والحفظ ، وخص التفصيل بالحفظ ، لظهور آثاره وقرب معرفته لكل انسان ، ونحن نفضلها كلها .

أما الفكر : فهو راقى درجات النمو العقلي في الانسان . وهو تلك القوة الهائلة التي بها سخر الانسان معظم الكائنات لمصلحته : وتسيطر على انواع الحيوانات لمنفعته وتسلط على قوى الطبيعة لا غراضه وغاياته ، ولولاه لكانت دائرة اعمال الانسان محدودة ، ولبقيت جميع هذه المكتشفات والمخترعات التي غيرت نظام العالم ، مستورة في ضمير النسيب . بل ولم يكن تتقدم هذه المدنية الى ما بلغت اليه في خطواتها السريعة الجبارة نحو الامام .

وقد عرفوا الفكر : بأنه ادراك للمعاني الكلية وتعليلها . ثم الحكم عليها ، او أنه

ادراك النسب والعلاقات بين الاشياء بعضها مع بعض .

وغير خفي ان الفكر يستمد قوانينه من للعالم للمادي المطابق للواقع ، لأن الادراكات الحسية تنشأ من الحواس التي تمثل ما تدركه من للماديات ، ثم تؤدبه الى الفكر ومن هذه الادراكات الحسية تحصل الصور الذهنية ، ومنها ينشأ الفكر والخيال .

أما الهم ، أو القوة الوهمية : فهو تلك القوة النفسية التي تدرك للمعانى غير المحسوسة مثل الحكم على ان الذئب مثلاً مهروب منه ، وان الطفل أو الفقير معطوف عليه ، ومحل هذه القوة كل الدماغ وإن اختلفت بالتجويف الاوسط منه .

أما العقل : فهو تلك القوة الجبارة ، والمملكة العظيمة التي تتولى ضبط الافعال ضبطاً ارادياً بتدبير خاص وانرض مقصود ، بل هو ذلك الخلق الجليل الذي لم يخلق الله تعالى مثله ، إذ به يمتاز الانسان من غيره من الموجودات ، وبه يشرف ويهيموا الى اوج الانسانية الكاملة ، وبه يصوغ الاحكام بالقياس على ما خبره بنفسه ، أو عرفه من خبره . ولقد مر تفصيله في الفصول السابقة فراجع إذا شئت .

أما الحفظ أو القوة المحافظة : فهي القوة التي تبقى فيها جميع الادراكات الحسية من النفس بعد أن يتعلق الشعور بغيرها ، وقد تعددت آراء الحكماء واختلف علماء النفس في بيان معنى الحفظ وتعريفه ، ولكن اشهر الاقوام أربعة .

(الاول) ان الحفظ عادات عقلية ، بمعنى ان العقل يقدر دائماً على التفكير فيما

فكر فيه من قبل .

( الثاني ) انه عبارة عن خروج الصور الذهنية من بؤرة الشعور الى منطقة

الشعور الحنيف أو الضعيف مع كونها متصلة بالبؤرة اتصالاً مختلفاً بالقرب والبعيد .

( الثالث ) انه عبارة عن تخزين المعلومات أو الصور الذهنية في محال خاصة بها

في العقل .



(الرابع) وهو مذهب الماديين ، وأحدث المذاهب لتعريفه في علم النفس ، ويتلخص في : ان الحفظ وظيفة من وظائف المخ . وتغير يقع في خلاياه ، لان كل احساس فهو يؤثر تأثيراً مادياً في الاعصاب الموردة واصصاب الحس التي مسكرها المخ فتنتقل هذه الأثار والصور التي تأثرت بها الاعصاب والموردة : وتنطبع في خلايا المخ . والخلاصة ان المعنى الجامع لهذه الآراء وغيرها : ان الحافظة هي تلك القوة التي تحفظ المعاني المحسوسة باي وجه كان لتبرزها لدى الحاجة .

وهي امري نعمة من أكبر النعم على الانسان وانفها في سير الحياة العملية لذلك ترى الامام ( ع ) قد خصها بالذكر - وإن كان ذلك على سبيل المثال - ليهتبر الذاكر ويتفطن العاقل ويتأمل العاقل ويعبر : ان الانسان إذا انقصت منه هذه القوة ففقط ولم يكن يحفظ ما يمر عليه من المعاني المحسوسة . تخزل احواله واعماله ، وبدخل التشويش والاضطراب على امور معاشه وعلى أوضاعه الاجتماعية بل وحتى معاملاته مع أهله وصحبه ومجتمعه . ففكر وتصور كيف يكون حال انسان لم يحفظ ما هو له من الافعال والاقوال والاعمال ، ولم يدبر بما يجري عليه من الامور وما جرى ولم يتذكر ما أخذ منه وما اعطى ، ولم يستطع أن يسترجع ما سمع وما رأى ولا ما قال وما قيل له وكان ينسى احسان المحسن عليه ، واساءة من اساء معه ، ولم يذكر ما نفعه ومن نفعه ، ولا من ضره وما ضره . ثم تأمله ايضاً لترى انه إذا فقد هذه النعمة العظيمة ، هل يهتدي بعدها الى طريق كان قد سلكه مساراً ، وهل يستطيع بعدها أن يحفظ علماً ، أو أن يتعلم درساً ، وان قرأه طول عمره . وفوق كل هذا إذا كان ينسى ولا يحفظ شيئاً ، أهل تراه يعتقد ديناً أو يعرف مذهباً لان ذلك يحتاج الى أن يحفظ ما به . ومع ولا ينسى ما يقرأ ، وان يستفيد بعد ان يرشد بارشاده فان كل هذه الامور لا ترسخ في ذهن عديم الحافظة . الى غير ذلك من الامور الحيوية للضرورة التي ترتبط بقوة الحافظة

فهي إذاً من أعظم النعم على العباد بحيث إذا فقدت فقدت الإنسانية من صاحبها إذ يبقى كالبيهة لا يعرف سوى ما يراه بعينه فاذا زال زالت صورته عن ذهنه ، فسبحان الخالق .

## النسيان نعمة عظيمة على الإنسان

قال عليه السلام : فانظر الى النعمة على الانسان في هذه الخلال ، وكيف موقع الواحدة منها دون الجميع ، واعظم من النعمة على الانسان في

---

ما أكثر نعم الله تعالى على العبد ، وما أعظم تفضله وتكرمه . فليس لنعمه حصر ولا لآلائه عد أو حساب ، ولكن قليل من عباده الشكور . الا تنظر الى هذه النفس التي هي من اعظم النعم واجابها وارفعها والى ما أودع الخالق الحكيم في قواها الكثيرة من النافع والمصالح لهذا الانسان الذي خلق حقيقبة العجائب ومجموعة الفرائب بل ان كل ما خلق فيه هو آية واضحة ودلالة جلية على وجود خالقه وتفردته في خلقه وعظم حكمته في عجيب ابداعه .

ولمريمي ليس لأي فيلسوف عظيم ، ولا لأي حكيم جليل أو مفكر عليم ، ان يصل بمحدود عقله الى معرفة كنه آية من آياته ، ولا لادراك سر من اسرار حكمته إلا من يشاء الله تعالى ان يهدبه . فكيف بكل آياته وجميع حكمه .

والكن لما كان الله تعالى قد أمر بالتفكر في مخلوقاته ، وحث على التأمل في موجوداته فقد جعل للمقول مجالا في ادراك قليل من كثير اسراره وتعقل البعض من

الحفظ ، النعمة في النسيان ، فانه لو لا النسيان لما سلا أحد عن مصيبة ، ولا انقضت له حسرة ؛ ولا مات له حقد ، ولا استمتع بشيء من متاع الدنيا مع تذكر الافات ، ولا رجاء غفلة من سلطان ، ولا فترة من حاسد ، اقل

حكما واسبابها ، لتكون فة الحجة البالغة على عباده ، لذلك فقد ذكر الامام عليه السلام في هذا الفصل بعض تلك الحكم والاسرار لبعض النعم على سبيل المثال لتكون دليلا وبرهانا لطالب الحقيقة على الهداية والمعرفة . فذكر في الفصل السابق ما في الحافظة من الفوائد والمصالح التي لا غنى للانسان عنها . وها هو الآن يذكر في هذا الفصل منافع ضدها اعني النسيان .

وان الغاية من ذكر هذه النعمة وامثالها هي ان يفهم هؤلاء الملاحدة الذين نسبوا خلقة الاشياء الى خاتمين متضادين . كيف صدر هذان الأمران المتضادان والمحلان المتناقضتان من خالق واحد . وكيف اجتمعتا مع ضديهما وتبايتهما على ما فيه الصلاح والمنفعة لمخلوق واحد وجسم واحد نعوذ بالله من هذا العمى الذي اضل الكثير من الطريق الواضح . وهانحن نوضح لك مقصد الامام (ع) .

النسيان : هو اول حاجيات الحياة ، وأم ضروريات البشر اللازمة ؛ بل هو اتمن سلاح لحياة الازهان من التلف واضمن كقيل لبقاء الحافظة سالمة صحيحة قوية وأقوى مساعد يدرك به عنها اخطار المتناقضات التي قد تودي بالحافظة الى الانحلال والاختلال . فان الدماغ الذي يعمل دائماً لا بد له من ان يعتمد على النسيان . ليستريح به ويستجم من كثرة حركاته واعماله . فهو اشبه ما يكون بما كينة تشتغل دون ان يكون لها القدر الكافي من الدهن . فانها لا تلبث ان تحترق او تنطفي . وكذلك الدهن فانه في قبوله الافكار الضعيفة او القوية المنهكة او المقلقة المشوشة او الخوف او الهزنة ، يصبح معرضاً للتلف ما لم يتدارك بمريح مثل النسيان ، فهو كالعمدة التي تفسد اذا امتلات

تُرى كيف جعل في الانسان الحفظ والنسيان وهما مختلفان متضادان ، وجعل له في كل منهما ضرباً من المصلحة ، وما عسى ان يقول الذين قسموا الاشياء بين خالقين متضادين ، في هذه الاشياء المتضادة المتباينة ، وقد تراها تجتمع على ما فيه الاصلاح والمنفعة

بالاغذية الزائدة على الحاجة او عسرة الهضم ، ولهذا كيجب على الانسان ان يتجنب الاغذية الفسدة او الكثيرة وقاية لها وحفظاً لوظيفتها ، كذلك يتحتم عليه ان لا يقبل الافكار السقيمة والصور الذهنية المضرّة او المنهكة او المقلقة او المشوشة ، وان يخرجهما من الخيلة بواسطة النسيان ، وان ينبذها باستماتة هذه القوة للمصلحة ، ليحفظ الدهن صحيحاً سالماً قوياً في اداء وظيفته نافعاً فيما ينتج ، وقد قالت علماء النفس : ان النسيان عمل من اعمال الدهن كما التذكر تماماً . اذ ليس في مقدورنا ان نتذكر شيئاً إلا اذا نسينا اشياء حتى ليتمكن ان يقال بان الذاكرة هي اداة النسيان ، فنحن نفكر بفضل ما نسينا ، كما نفكر بفضل ما نتذكرنا .

وقد ذكر الامام (ع) للنسيان فوائد أخر اختصرها بقوله : ولولا النسيان لما سلا احد عن مصيبة وكيف بقره قرار او يساها مادام يتذكرها ولا ينساها وقال عليه السلام ولا انقضت له حسرة وهل تنقضي له حسرة وشبه المصيبة طالق بذمته فلا هو ينساها ليسلى ولا هو غافل عنها فيستريح من وخزها والمبا وبالطبع ذلك مما يكدر العيش ويضغف القوى ويفسد الحياة . وقال (ع) : ولا ملت له حقد ، لأن الانسان اذا حقد ولم يمّت حقده ابي لم ينسه ولم يشغله شيء آخر عن تذكره كانت ناره على الدوام مؤججة وكان اراره في قوة وتزايد حتى يحترق قلبه وخزا وألماً ويذوب روحه اشتمالاً وضرماً وحتى تصبح حياته جحيماً لا نطاق وشقاء لا سعادة معه ولكن نعمة النسيان تيمته فلا يبقى للحقد أثر يذكر فيخشى على القلب منه حرقة ولا الروح

هذاب وقال (ع) ولا أستمتع بشئ - من متاع الدنيا مع تذكر الاوقات الخ فان الاوقات والنوائب والبلايا التي تمر بالانسان في حياته لو لم تنس ، ولم يسدل عليها حجاب الغفلة لأصبحت الدنيا وكل متاعها وجميع لذائذها ومغرباتها وكافة أطايبها ومبهجاتها غير ستمتع بها ولا مستعاد بوجودها . وكذلك اذا كان مهتداً بمقاب سلطان او محكوماً عليه بقتل او صلب أو حبس او امثالها ، وكان لم يأمل غفلة السلطان ونسيانه ولا اعراض الوائز مثلاً وعدم تذكره لأصبح ميتاً من علمه قبل موته . وهالكاً من جزعه قبل او ان هلاكه ولكن غفلة السلطان والامل بنسيان الوائز قد يخفف من سيرة الخوف ويقلل من فزعوا الجزع . ومثله الحاسد الذي يضرب بمجرد النفاقه نحو المحسود وتوجهه اليه ، فانه لولا نسيانه وفقره عقلته احياناً عن الناس ، لما سلم منه انسان .

اذاً فالنسيان نعمة من اكبر النعم الالهية ، بها يطيب العيش وتستقيم الحياة وتسل المصائب ويخفف الجزع ويؤمن من حسد الحاسد ، كنعمة التذكر والحفظ . فسيحان من جهل في الانسان هاتين الخلتين وتفضل عليه بتبتك النعمتين ، فاودع فيهما على تضادها ضرباً من ضرور المصلحة التي لا يستطيع اى بشر من ان يؤدي بعض شكرها إلا ان يظهر عجزه عن ادائه .

## نعمة الحياء في الإنسان دون الحيوان

قال عليه السلام: انظر يا مفضل ما خص به الانسان دون جميع الحيوان من هذا الخلق الجليل قدره، العظيم غناؤه اعني الحياء . فلولا لم يقر ضيف ، ولم يوف بالعبادة ، ولم تقض الحوائج ، ولم يتحر الجليل ، ولم يتنكب القبيح في شيء من الاشياء حتى ان كثيرا من الامور المفترضة

---

الحياء لغة الحشمة ، واصطلاحاً انحصار النفس عن الشيء خوف فعل القبيح ان يصدر منها ونمناً عن اللوم والقدح ، وهو خلق نفس سام رفيع يدل على انها شمعت لشرفها بالقبيح فاشتقت من صدورهم عنها وكرهت ظهوره منها فمرض لها هذا العارض المسمى (الحياء) .

وبديهي ان احساس النفس بالافعال القبيحة وفورها منها دليل كرم جوهرها وشرف محتدا ولقد قيل في وصفه : الحياء حياة الحياء وزينة الجوارح ، وروح الاداب وقوام الاخلاق ، وداعية الوقار ، وامارة العفة ، وعلاية الخير ، به يتمتع صاحبه من عمل المنكرات ، ويرتدع من فعل الموبقات ، وبه يأمن للناس شره ويرجون خيره . وهو خلق جليل القدر عظيم المنزلة ، قد كرم الله به الانسان ، وخصه به دون الحيوان ، لذلك نرى الاحاديث والاختبار مستفيضة بذكره ومدحه . قال النبي (ص) : الحياء مع الايمان والايمان في الجنة ، والبذاء من الجفاء والجفاء في النار . ذلك لأن صاحبه قد اتسم بصفة الخير التي لا تصلح الا للمؤمنين وهم اهل الجنة . وعنه (ص) : ان الله تعالى

ايضا لما يفعل للحياء ؛ فان من الناس من لولا الحياء لم يرح حق والديه ، ولم يصل ذارحم ، ولم يؤد امانة ، ولم يف من فاحشة . افلا ترى كيف وفي الانسان جميع الخلال التي فيها صلاحه وتمام امره .

يجب الحليم المي وينض الفاحش البذيء . وهنه (ص) : قلة الحياء كفر والحياء نظام الايمان ، فاذا انحط نظام الشيء تبدد ما فيه . ومن الامام الصادق (ع) : الحياء والابمان مقرونان في قرن فاذا ذهب احدهما تبعه صاحبه . ومن سيد البلغاء علي (ع) : من كساه الحياء ثوبه لم ير الناس ميبه ، وقد اخذ العفي احدم فقال :

وانتي لارى من لا حياء له ولا امانة وسط الناس هريانا

الى كثير من امثال هذه الاحاديث التي لا مجال لقدكرها ههنا .

والحياء صفة من صفات الانبياء ، وخلة من خلال الاولياء التي يمدحون عليها

قال الفرزدق في مبيته التي مدح بها الامام زين العابدين عليه السلام هذا البيت :

بفضي حياء وبفضي من مهابته فلا يكلم الا حين يتنسم

وقد قسموا الحياء الى اربع مراتب :

(الاولى) حياء الانسان من الخالق وذلك بان لا يترك او امره ويتجنب نواهي

وان يحسن مع عباده ؛ ويكون هذا من كمال المعرفة باقته تعالى ومن قوة الالتزام بدينه .

( الثانية ) حياء الانسان من المخلوق وذلك بترك الفضائح واجتناب القبائح ،

وكف الاذى ، وسر مالا يصلح اظهاره والجهر به عند الناس ويكون هذا من اباة

النفس ، فان الانسان الابي لا تطاوعه نفسه ان يقول الناس فيه مالا يجب بل يرحب

في حسن الثناء وجميل الاحدونه عنه ، فلا يفعل ما ينفر القلوب ويبعد النفوس وقد

قال الشاعر :

احب مكرم الاخلاق جهدي واكره ان اعيب وان اعابا

(الثالثة) حياة الانسان من نفسه وذلك بان يتطلب لها العفة ويرتفع بها من

الضمة ، وهذا يكون من طهارة الانسان الباطنة وحسن السريرة كما قال الشاعر :

ورب فيسحة ما حال بيني وبين ركوبها الا الحياء

(الرابعة) حياة الانسان من ربه ومن الناس ومن نفسه ، وهذا إنما يكون من

كامل المروءة وتمام الايمان كما ورد في الحديث : لا دين الا بمروءة وكما قال الشاعر :

واني ليثني عن الجهل والحنا وعن شم ذى القربى خلانق أربع

حياة واسلام وتقوى وأتقى كريم ومثل من يضر وينفع

فلذا عرفت الحياء بمراتبه الاربع . اعترفت حيا بأنه نعمة ومن اعظم النعم

الالهية على الانسان حيث به تنتظم حياة الفرد والمجتمع ، وبه تحصل السعادة لهذا البشر

فلولا الحياء لم يقر ضيف لأن الضيف اذا لم يخدم ضيفه ولم يقره خشى واستحى من

ان ينمه الناس وبصيوه فيخسر حسن الاحدونه وجميل الثناء ، فهو اذا لم يقره كرماً

قراء حياء من الناس ومن نفسه . ولولا الحياء لم يوف بوعده ، وفي الوفاء بالوعد سعادة

المجتمع وثقة الناس بعضهم ببعض ، ونظام واستقامة في سير اعمال الحياة على اساس

التعاون والمساعدة وهو اى الوفاء بالوعد من الواجبات العقلية والشرعية والوجدانية ،

وقد قيل : العدة نافلة والوفاء فريضة ، فالانسان اذا كان ذاهياً ، خجل ان لا يفي اما

اتباعاً ولا ارساً دينه أو موافقة لعقله أو خوفاً من الناس ان يعيبوه او حياءً بهذا الخلق

الكريم . ولولا الحياء لم تقض الحوائج وذلك لأن من لا يستحى من الله ولا من الناس

ولا من نفسه لجدير بأن لا يعبأ بحوائج غيره من الناس ، كما ان الذين لا يرو منه اقداماً

على قضاء حوائجهم ولم يستح من ذلك ، فهم كذلك لا يعبأون بحوائجهم هو الاخر البته

وهذا بالطبع مما يوفى الاعمال ، وبمثل حركة التعاون ومساعدة الناس بعضهم لبعض

على ان الوجدان يحكم والشاعر يقول :

الناس للناس من بدو ومن حضر بعض لبعض وان لم يشعروا خدم



ولولا الحياء لم ينهر الجليل ولم يتكبر القبيح في شيء من الاشياء ، وذلك لان الفضل الجليل مما يأمر به الدين ويحث عليه العقل وتتطلبه الانسانية الصحيحة . أما الفعل القبيح فهو على العكس يأمر به الهوى ويحث عليه النفس الامارة ويتطلبه خبث البشرية . مضافا الى ان فعل القبيح سهل على الاهواء والمواطف : قريب من الطباع البشرية ، بخلاف فعل الجليل الذي هو صمود النفس الى اوج الانسانية . ومعلوم ان الصمود الى الكمال انقل على النفس من الانحدار الى حضيض المهجبة ، لذلك ترى الشر في البشر أكثر من الخير فيه . لكن اذا اتصف المرء بخلق الحياء مال الى الجليل وتكبر القبيح ، وذلك لانه يستحي من الله تعالى ان يراه عاصيا اذا لم يفعل الجليل ، ويستحي من نفسه حينما يخالف ضميره وعقله ، ويستحي من الناس خوف ذمهم له على فعل القبيح وعدم كسبه المدح والثناء على عدم فعله للجميل وهذا بالطبع يهيئه حتى على اداء واجباته وفروضه فترى بعض الناس ممن لم يرع حق الوالدين الذي هو واجب ديني وفرض عقلي ولازم وجداني لولا الحياء ، ولم يصل الرحم التي تطيل العمر وتزيد في الرزق وتكسر الاعوان وتجمع شمل الاسرة . وترفع شأنه وشأنها وتقوى جانبه وجانبها : لولا الحياء .

ثم ان من لا يستحي لا يبالي اذا خان الأمانة ، ولم يعبأ اذا كسبه الخيانة ثوب خزفي وعار ، وان من لا يستحي من الله ولا من الناس ولا من نفسه ، لا يرهوي عن فعل كل فاحشة ولا يمنع من ارتكابها اذا حصلت له وتمكن من فعلها . لكن من ارتدى بهذه الخلة الجليلة ، وتحلى بهذه الخلة والفضيلة . لا بد وان يبعد عن الشر ويقترب الى الخير وان يكون لدى الناس محبوبا مأمونا الاذنى مقضي الحاجج عزيزا مهابا محترما مكرما ، فسبحان من وفي في الانسان جميع الخلال الحمودة ، وتفضل عليه بكافة الصفات المدحوة التي بها يكون صلاحه وعليها تدور رحى اعماله . فاعظم به قادرا حكيما

## المنطق او الكلام والكتابة

قال عليه السلام : تأمل يا مفضل ما انعم الله فتمدحت اسمائه به على الانسان من هذا المنطق الذي يهر به مما في ضميره وما يخطر بقلبه وينتجه فكره ، وبه يفهم عن غيره ما في نفسه ولولا ذلك كان بمنزلة البهائم المهملة التي لا تخبر عن نفسها بشيء ولا تفهم عن مغرب شيئاً ، وكذلك الكتابة التي

---

ليس في مقدور أي عاقل وان بلغ الغاية من الفهم والادراك: ان يحصى نعم الله تعالى أو ان يعد الآءه على الانسان فإنا من نعمة يد كما مقله إلا وكان لديها اعظم منها ، ومامن فضل لله يذكره المرء ليشكره ، الا ويرى ان الشكر عليه هو ايضا نعمة يجب ان تشكر ، وهكذا دواليك ، وعلى هذا فهل يمكن ان نحصى فتشكر والشكر نعمة ولكن الله تعالى أمر عباده مع ذلك بالتفكر فيها لكسب الاعتبار والمظة ، ورغبتهم في الشكر عليها ليحصل اشراك على ثوابه ويقتكب المعتبر المنعظ عقابه .

ولقد ذكر الامام (ع) هنا ثلاث نعم هي من اجل ما نهضل بها المائاتى الكريم على عباده وهي (١) المنطق (٢) الكتابة (٣) اللغة التي عبر عنها بالكلام ، واليك تفصيل ما اختصره فاقول :

أما المنطق فالظاهر ان المراد منه النفس الناطقة التي يعبر الانسان بواسطتها عما في ضميره : ويبدى بها ما يخطر بقلبه ، ويظهر بسببها ما ينتجه فكره ، كما يفهم بها ما في نفس غيره منذ تكلمه او من حر كانه او من ملاح وجهه وعينه وما أشبهها ، وبديهي

بها تفيد اخبار الماضين للباقيين واخبار الباقيين للآتين ، وبها تحفظ الكتب  
في العلوم والآداب وغيرها ، وبها يحفظ الانسان ما يجري بينه وبين غيره  
من المعاملات والحساب . ولولاها لانقطع اخبار بعض الازمنة عن بعض

ان الانسان لولا هذه النفس المدركة ، ولولا ما يحصل له من الادراك والفهم بواسطتها  
لكان كالبهيمة البهيمية التي لا يمكنها الاخبار عما في نفسها ولا ان تفهم ما يريد غيرها  
ان أخبر بما يريد . . .

ولقد اختلف في معرفة هذه النفس الناطقة وماهيتها كما مر عليك في الفصل  
المتقدم فراجعها اذا شئت .

أما الكتابة ؛ فهي تلك الرسوم والاشكال لثبته للالفاظ الدالة على معان مقصودة  
وهي لصري نعمة لا يخفى فضلها الشامل ولا تجحد منافعها الكثيرة ، وقد ذكر الامام  
عليه السلام بعض تلك المنافع على سبيل المثال فقال :

اولا ان بها تفيد اخبار الماضين للباقيين وتحفظ اخبار الباقيين . من الناس للآتين  
في كتب السير والنواريخ والحوادث .

ثانياً ان العلوم والآداب تحمد وتبقى للاجيال بواسطة الكتابة والكتب .

ثالثاً ان بها يحفظ الانسان ذكر ما يجري بينه وبين غيره من المعاملات والحساب  
في الاوراق الشرعية او الرسمية او التجارية او دقاتر الدين مما عليه وماله من المعاملات  
رابعاً انه متصل بها اخبار بعض الازمنة ببعض ولا تنقطع .

خامساً ان بها تعرف اخبار الغائبين عن اوطانهم وأهلهم بالرسائل المتبادلة  
بين الطرفين .

سادساً انه لولا الكتابة لدرست العلوم وضاعت الآداب بذهاب اربابها الذين  
كانوا يحلون في الصدور ، ولكن الكتابة تصونها وتبقيها في بطون الكتب والقراطيس

واخبار العالمين من اوطانهم ، ودرست العلوم وضامت الاداب ، وعظم ما يدخل على الانسان من الخلل في امورهم ومعاملاتهم وما يحتاجون الى النظر فيه من امر دينهم ؛ وما روى لهم مما لا يسعهم جهله ، ولعلك تظن انها

لمن يأتي بعدهم من الاجيال ، فيستفيد الآتي من علوم الماضين وان ساءوا وذهبت اعيانهم .

سابقاً انه لولاها لمظم ما يدخل على الناس من الخلل في امورهم التي يجب ان تبقى وتحفظ ولا ننسى كالمعاملات التي تجري ما بينهم من بيع وشراء وقروض واستعراض وشركة وما أشبهها . فانه لولا الكتابة لأمكن حصول الانكسر او النسيان في كل تلك للمعاملات .

ثامناً انه لولاها لبقى الناس جاهلين لأمر دينهم غير عارفين باوامره السارية ونواهيها . اذ بدون الكتابة لم تدون الاحكام والاحاديث والاشعار ، ولم تصل الينا اقوال السلف ونواميس الدين والمذهب على التحقيق ولكنها هي التي تحفظ لنا كل ما جاء به الانبياء والرسل وتملأنا كل ما صدق به نبينا الكريم الذين نحن تابعوه .

إذا فيعلم من ذلك ان الكتابة ضرورة من ضروريات الحياة دنياً وآخرة ، ونعمة من اعظم النعم التي لا يستطيع الانسان ان يحصي بدونها ، بل ان حياته بغير كتابة حياة البهائم السائمة التي لا يهتما الا الاكل والنوم فقط .

وهنا لقال ان يقول : ان الكتابة هي عمل طبيعي يحصل عليه الانسان بالفطنة والحيلة . والحاجة ام الاختراع . فليست هي من النعم المفاضة عليه ، ولا مما تأتي اليه هفواً وتوهب له عطية دون فطنة وتديير . ولكن الامام (ع) قد اجاب عن هذا السؤال بعد ان اشار اليه بقوله : ولعلك تظن انها بما يخلص اليه بالحيلة والفطنة الخ فقال (ع) مامضمونه : ارى بين بصيرتك ان هذا الانسان الذي يحصل على هذا

مما يخلص الية بالحيلة والفظنة وليست مما اعطيه الانسان من خلقه وطباعه ،  
 وكذلك الكلام إنما هو شيء يصطاح عليه فيجري بينهم ، ولهذا صار  
 مختلف في الامم المختلفة . وكذلك الكتابة للعربي والسياني والبراني  
 والرومي وغيرهما من سائر الكتابات التي هي متفرقة في الامم انما اصطاحوا  
 عليها كما اصطاحوا على الكلام ؛ فيقال لمن ادعى ذلك ان الانسان وان كان  
 له في الامرين جميعاً فعل او حيلة ، فان الشيء الذي يبلغ به ذلك الفعل والحيلة  
 عطية وهبة من الله عز وجل له في خلقه فانه لو لم يكن له لسان مهياً  
 للكلام وذهن يهتدي به الامور لم يكن ليتكلم ابداً ، ولو لم يكن له كف

---

العمل الطبيعي بالحيلة والفظنة حسب فرض المعترض وزعمه ، كيف كانت تعمل حيلته  
 وترشده فطنته . اذا لم يعط الادراك ، ولم تخلق له الاصابع ولم يهب له القلم والقرطاس  
 ولم يهد الى معرفة الحروف والكلمات ؛ ثم لم تخلق فيه تلك الحيلة والفظنة التي حصل  
 على هذا العمل بواسطتها . اذا فكل تلك المقدمات هي نعم الله ، وكأها عطية وهبة من  
 واهب المعطايها بلا اعتراض لمعترض بعد هذا .

والآن وقد عرفت نعمة الكتابة ناسب ان نذكر لك شيئاً من تاريخ اختراعها  
 وكيفية الاهداء لمعرفتها .

ان المؤرخين في ذلك انوالا كثيرة ، اشهرها ان في منتصف الالف الرابع قبل  
 الميلاد اي في سنة ٣٥٠٠ ق م اعتدى عبقرى من سكان العراق في مدينة ( وركاه )  
 شرق الفرات قرب ناحية ( الخضر ) من قرى بلاد ( السماوة ) . الى اختراع اقدم  
 كتابة عرفها التاريخ . وقد كانت الكتابة في اول امرها بسيطة . اذ كانت الاشياء  
 تدون برسم صورها على الواح الطين الطرية بواسطة فصية او خشبية . مستدقة للنهاية

مهياة وأصابع للكتابة لم يكن ليكتب ابدا واعتبر ذلك من البهائم التي لا كلام لها ولا كتابة ، فاصل ذلك فطارة الباري عز وجل وما تفضل به على خلقه فن شكر ائيب ، ومن كفر فان الله غني عن العالمين .

وكانت قد افتصرت في اول اطوارها على الاعداد والرسوم البسيطة التي لا تمثل الا الاشياء المألوفة . ثم اخذت تتطور بمرور العصور والايام . وقيل ان اول ما مدت اليه اليد بالكتابة هي النقوش التي كان ينقشها سكان الكهوف والغابات ثم ترفت هنود أمريكا نوعا ما ، فصوروا الواناتم وشكلوها بتلك النقوش ، ثم جاء الصينيون فنقشوا وقائهم في زمانهم بنقوش كانوا هم فقط يعرفونها وبعد مدة ابدلوا بكتابتهم الحالية المستعملة عندهم حتى اليوم ، ثم جاء البابليون بالخط المساري المتفرع من تلك النقوش فكانوا اذا ارادوا كتابة ( شمس ) مثلا رسموا اربعة خطوط متخالفة الجهات ، ثم نقشوها بالمسامير المصنوعة من اللطين الناعم الطبوخ في النار الى حد الجفاف والتجبر ولجل هذا سميت كتابتهم ( المسارية ) كما كانوا يستعملون الآجر والصفايح الخزفية لتلك الكتابة . وقد اكتشف كثير من الكتب الاجرية المنقوشة بالنقوش المسارية في الانار القديمة . ويظن انها كتبت منذ سنة ٣٨٠٠ قبل الميلاد ثم دامت هذه الكتابة الى بعد الميلاد بقليل . ثم خلفهم قدماء المصريين بالكتابة ( الهيروكاييفية ) اي الحروف المقدسه ، وهي كتابة تصورية وبعضها خيالية صرفة . فثلا اذا ارادوا كتابة شمس صوروا لها دائرة مستطيلة مرتفعة . والكتابة معنى الشفخ والسرور صورة امرأة ويدها طنبور تضرب عليه ، او رجل يرقص . وليبان معنى الخيلة والمكرصورة ( بن آوى ) الى غير ذلك من نظائرها هذه الخيالات .

وهناك نوع آخر من الكتابة الهيروكاييفية ، وهي بالاصوات والحروف لكن بتصوير اشكال الحيوانات التي اول اسمها عندهم وبلغتهم هو الحرف المطلوب .

فتلا إذا أرادوا كتابة ( قر ) صوروا حيواناً أول اسمه عندم (ق) ثم آخر اسمه (م) وثالثاً أول اسمه (ر) ومن المجموع بفهم كلمة قر . وقد كانت الحروف المصرية اولا (٢٩) حرفاً اي شكلاً ثم زادت الى (٩٠) شكلاً ثم ارتفعت بمرور الايام الى (١٧٠٠) شكلاً وكلها كانت تنقر على الاحجار او الاخشاب ، ثم تطع بعد ذلك على القرطاس المسى عندم (بيرس) .

وكان عندم ايضا نوعان من الكتابة غير الحروف المقدسة المذكورة .

احدهما ( الميراتيكية ) وهي المختصة بالروحانيين نسبة الى ( هيروس ) اي المقدس الروحاني، ويستعمل في الاوراق الشرعية والرسائل المذهبية واوراق الحكومة وثانيهما ( الديماتيكية ) نسبة الى ( ديموس ) اي عامة الناس، وهذه الأخيرة كانت مستعملة حتى القرن السادس قبل الميلاد .

أما استعمال الحروف الهجائية في الكتابة ، فقد كان مصدرها الاصلي م (الفينيقيون) الذين كانوا يقطنون السواحل الشرقية من (ميدبترايه) . وكانوا اهل تجارة واسعة وعلاقات تجارية مع مصر وبهذه العلاقة والاختلاط : تعلموا الكتابة المصرية اي المبروكليفيكية واتقنوها . ثم رأوا بعد ذلك بدكائهم وحسب لوازمهم وضرورياتهم التجارية أن هذه الحروف اللازمة للكتابة لانفي بما يطلبون ، لذلك فقد فكروا فزادوها ثم نقحوها حتى حصروها في عدد مخصوص ، قيل انها كانت (١٦) حرفاً، وأصبحت الحروف الهجائية الفينيقية خفيفة جميلة بالنسبة للمصرية كما انها حسب اقوال الاثريين قريبة الشبه بما بايدينا الآن من الحروف الهجائية، غير ان الصور الخيالية المصرية كانت لا تتفارق حروفهم كثيراً لانهم كانوا يرسمون الدين مثلاً كدائرة ذات تقعر وفي وسطها نقطة تشبها لها بالدين الانسانية ، ويرسمون حرف الميم مثلاً (ولليم عندم اسم الداء) حرفاً موجاً بانحناء . كحنوة الموج على سطح الماء ، وهكذا .

ولكن مرور الايام والسنين ، وتعاقب الامم والاجيال قد ازاد فيها ونقص

وغير ونقح اشكلها واصوانها حتى بلشت الى ما نحن عليها الآن، وحتى اختصت كل امة بنوع وسكل من الحروف لكتابة قد لا تشابه كتابة امة اخرى .

أما الكتابة العربية فقد تفرعت عن الحروف (الفينيقية) كما ان الحروف الغربية الاوربية متفرعة عن (اللاتينية) . هذا مختصر تاريخ الكتابة ذكرناه استطراداً طلباً لاتمام القائمة .

أما الكلام : والمقصود منه هنا هو الكلمات المركبة من الحروف الهجائية للوضوح بمعنى مقصود . وبعبارة اوضح هو اللمعة التي يستعملها المنطق او القوة الناطقة في الانسان لا بداه اغراضه وبيان مقاصده وذلك بدليل قول الامام اع : انما هو شيء بصطلح عليه الناس فيجري بينهم ، ولذلك صار يختلف في الاسم المختلفة . وقد عرفوا اللمعة بانهارموز تمثل المقولات والصور الذهنية التي تمثل الادراكات الحسية فتجهل الانسان عند تعلق شعوره بالمدرجات غير محتاج الى تعلقه بالجزئيات التي تتكون فيها اللمعات الكلية .

أما سبب وضع اللمعة : فهو ان المعنى الكلي اذا تكون في نفس الانسان وادرك انه يشمل افراداً كثيرة مختلفة ولكنها من نوع واحد او جنس واحد ، احتاج الى خطوة اخرى للاستفادة من ذلك المعنى لانه لا يستطيع غالباً احضاره عند الحاجة لذلك رأى ان يجعل له اسماً خاصاً يطلقه عليه ليعرفه به . ولا يحتاج الى التوقف في كل مرة ليسانل بفسه عن صفاته القاتية وبعزائه من غيره ، بل ان اطلاق هذا الاسم للموضوع لهذا الشيء . او هذا المعنى هو الذي يحفظه له من الضياع ويسهل له استذكاره في اي وقت اراده : هذا مضافاً الى ان الافكار العامة قد توجز بوضع الاسم لها ايجازاً صريحاً مفهماً .

هذا هو سبب وضع اللمعة على الاجمال . ومن هنا تعرف أهمية لكلام (اللمعة) في سير حياة الانسان .



أما قول الامام (ع) : ولهذا صار مختلف في الاسم المختلفة . فهو اشارة الى كثرة اللغات في اسم العالم ، وتنوعها بالنسبة الى حوائجهم واختلاف المآرب والافراض لديهم . واقد قدر بعض العلماء والباحثين لغات العالم وحصرها في ثلاثة آلاف لغة ولكن المحققين حضروا اصولها في ثلاثة .

الاولى الآرامية نسبة الى الآراميين ، وهم جيل كان يعيش في مصاب دجلة والفرات في العراق قبل آلاف من السنين وقد لشتق منها العربية والسريانية والقبطية والحبشية وامثالها .

الثانية الطورانية نسبة الى طوران في تركستان ومنها اشتقت التبرية والتركية والصينية والجركية والاندلسية والهنكارية واشباهها .

الثالثة الابراية النسوبة الى هضبة ايران ومنها اشتقت الفارسية والهندية واليونانية واللاتينية وغيرها من لغات اوربا .

أما سبب اختلاف اللغات في العالم ، فذلك معلوم لان الانسان الاول بعد أن كان مجتمعاً في بقعة ضيقة من الارض وقد كثر نسله ، اضطر الى الانتشار والفرق في اطراف الارض طلباً للراحة والعيش ، وعندما تباعدوا وسكوا ، كل فريق في بقعة حدثت لهم حاجات خاصة حسب امكتهم ومحيطهم ، فاضطر كل منهم الى ادخال اللفاظ جديدة الى لهجتهم ولغتهم الاولى ، وهكذا حتى اشتد الخلاف والاختلاف ، فصارت اللغات لدى هذه الفرق المتباعدة كلما بعد الزمن وتباعدت الامكنة تزداد تفاوتاً وتبايناً ، وكلما تكاثرت الحاجات ازدادت الالفاظ الجديدة والتراكيب المتفاوتة فكان بالطبع ان تختلف اللغات وتتفاوت النضات والاهجات بين تلك الامم المختلفة .

ثم قال الامام (ع) : وكذلك الكتابة الى قوله : انما اصطلمحوا عليها كما اصطلمحوا على الكلام ، وهذا مما يشعرنا بان الكتابة في نظر الامام (ع) هي من وضع الانسان كاللغات ، غير ان الشيء القدي يجب ان يلفتت اليه هو أن ما يبلغه الانسان

الى هذا الفعل ويبتدى به الى هذا الوضع والاصطلاح هو ايضا من عطاء اقدربهاته، كما هو من نعم الله على عباده ، اذ لو لم يخلق الله تعالى له لساناً مهياً للكلام واسناناً لمخارج الحروف ، وذهناً يبتدى به لبيان الحاجة والفرض . كيف كانت حيلتك ولفظته تفيده في ذلك : كما أنه لو لم تكن له كف تتناول القرطاس ، وأصابع تمسك القلم . كيف كان يستطيع الكتابة ، الى غيرها من الامور اللازمة للكتابة واتى لا يحصل ولا تنهياً بالعقل والفكر والنفطة والحيلة فقط .

وإذا تطلبت زيادة في الايضاح ، فاعتبر ذلك في اللبائث التي لا كلام لها ولا كتابة عندها . أليس ذلك لعدم وجود آلاتها والاعضاء المهيأة لانجازها ؟ فيتحقق من كل ذلك انها وان كانت فطرة في الانسان فانها ايضا هبة وعطية من الوادع يحب الشكر عليها ، كما ان تخصيصها به وتكريمه بها ايضا نعمة اخرى لا بد له من الشكر عليها وهناك نعمة ثالثة وهي التوفيق لاداء شكرها وهكذا الى ماشاء الله وفوق ذلك كله فان من وفق للشكر من العباد وشكر فان له ثواب الآخرة ايضا كما أن من كفر بها فانه لا يثاب وان الله غني عن العالمين ، جعلنا واياكم من الشاكرين .

## ما اعطى الإنسان من العلم وما منع عنه

قال عليه السلام: فكر يا فضل فيما اعطى الانسان علمه وما منع،  
فانه اعطى جميع ما فيه صلاح دينه ودينه . فما فيه صلاح دينه ، معرفة الخالق  
تبارك وتعالى بالدلائل والشواهد القائمة في الخلق ، ومعرفة الواجب من  
المدل على الناس كافة ، وبر الوالدين ، واداء الامانة ، ومواساة اهل الخلة ،

---

إذا تأملنا ابتداء خلق الانسان ثم وروده الى ميدان الحياة وسيره في ادوار  
عمره من طفولة الى صبوه الى شبوية الى كهولة الى شيخوخة ، رأينا بحق من أضف  
أنواع الحيوان وأقلها مقاومة ومقدرة امام اضعف الحوادث الطبيعية ومدامتها فهو  
مع عجزه وقصوره خلق هلوها جزوما لا يقوى على مقاومة اي صدمة او دمة . على  
انه محاط بالحوادث الطبيعية وعوارضها ، مكتنف بمكاره الحياة واوصالها ، فترى مثلا  
جلده معرضا لحرارة الشمس وبرد الزمهرير والرياح العواصف والنفحات القواصف  
وهو لضعفه تودبه للبقه وتؤلمه الشوكة وتقتله الشرقة لكن الاشجار مثلا فجدجل الله  
تعالى قشر اسميكا يحفظ لبابها وغلافا قويا يقيها من الطواريء ، ويقوم عندها مقام السلاح  
الحافظ . وكذلك الحيوان غير الانسان ، فقد منح الهاما خاصا وادراكا محدودا  
يسيرانه في حياته البهيمية سيرا مستقيما بدافع الفطرة ، بسيرة الطبيعة الكونية ثم جعل  
له جلدا راعضاء خاصة تكفيه لدفع آفات الطبيعة وهجمات العدو ، وتقوم له بكل ما يلزمه  
في عيشته . أما الانسان فهو بالعكس حيث خرج من بطن امه وهو لا يعلم شيئا ولا يقوى

واشياء ذلك ما قد توجد معرفته والافرار والاعتراف به في الطبع والفطرة من كل امة موافقة او مخالفة، وكذلك اعطى ما فيه صلاح دنياه كالزراعة والخراس واستخراج الارضين واقتناء الاغنام والانعام واستنباط المياه

على شيء ، ولا يستطيع ما يستطيعه الحيوان حين خرج كخروجه . فهو يسير في الارض خير آمن مما يكدر صفو ميثه من صروف الزمان وطواريء الحدثنان ، اللهم الا مسكة عقل فطري لم يفده في ازل هبوطه الى الدنيا . ولكن فالفه تعالى كان قد اودع في خزائن هذا العقل الفطري اسراراً عجيبة ومدارك فائقة عظيمة قد كنت فيه ككون النار في الزناد . كما وقد صيرها قابلة لتدرج في الظهور ومستعدة للنمو والترقي كلما احتك صاحبه بالمقاصد الحيوية وخبر الامور الخارجية المتولدة فانهائه سيره وطيه اطواراً وادوار عمره . فهو يفوق الحيوان بهذه الهبة الثمالية ، ويمتاز عليه بصموده من حضيض البهيمية الى مرتفع الانسانية السامية بهذا العقل الجبار .

نعم هذا هو الانسان : وهكذا خلق ، لكنه بهذه النعمة العظيمة والهبة الكبرى خرج من مصاف الحيوانات وارتقى الى قمة الانسانية . وبهذا العقل العجيب تقبح واستقرى اسرار الطبيعة ، وفكر في ملكوت السموات والارض حتى حصل على معرفة خالقه ، وادرك وجود صانعه ، وقد كان ذلك بالدلائل الواضحة والشواهد القاطعة اللائحة في المخلوق والمخلقة . وبهذا العقل المرشد عرف واجبه الانساني من استعمال العدل مع كافة الناس من ابناء جنسه وغيرهم : حيث ارشده الى معرفة قبح الظلم وحسن العدل وان السعادة الحقيقية لا تحصل ولن تحصل الا بالعدل في معاملة الناس وتجنب الظلم والجور في جميع مواضع وادقائه . وبهذا العقل الكبير علم ان ير الوالدين من واجباته الانسانية المائدة عليه بالنفع الدنيوي والاجر الاخروي بسبب مقابلة احسانها بالاحسان ومجازات جميلها في تربيته بالجميل ومكافأة عظيم عنايتها في السهر على مصلحته بطاعتها

ومعرفة العقاقير التي يستغنى بها من ضرر وب الاسقام والمعادن التي تستخرج  
لها انواع الجوهر وركوب السفن والنوص في البحر وضرر الحيل في  
صيد الوحش والطيور والحيتان ، وللتصرف في الصناعات ووجوه المتاجر  
والمكاسب ، وغير ذلك مما يطول شرحه ويكثر تعداده . ومنع ما سوى ذلك  
مما ليس من شأنه ولا طاقته ان يعلم به ، كعلم الغيب وما هو كائن وبعض

---

وامتنال أراسرها وبهذا العقل المنكر استدل على وجوب اداء الامانة وردھا الى اهلها  
حصولا على جلب القلوب والطمينانها وكسب اللافعة والوآم واستقامة لسير نظام المعاملات  
بين الافراد والمجتمع .

وبهذا العقل السليم اهتدى الانسان الى عمل المواساة مع اخلائه وأحبابه وأقربائه  
وبنى نوعه وجنسه ليكتسب بذلك مواساتهم له ومساعدتهم اياه للمقابلة بالمثل فان  
الفرد بمجردة لا يقوى على اجراء جميع لوازمه وضرورياته ما لم يحصل على مواساة اخوانه  
ومساعدة أصحابه ، ومن هنا كان الانسان اجتماعياً بالطبع ومدنياً بالفطرة .

ولونأملنا كل هاتيك الواجبات وجميع تلك السروريات ، لعلنا انها تكونت  
مع الطبع والفطرة ولم تكن مكتسبة فحسب . لذلك ترى الاسم كلها في العالم مشتركة  
فيها ، لا فرق بين المسلم والكافر والموافق والمخالف . والى ان تسأل هنا : ان هذه  
الافعال العقلية والالهامات الفطرية التي نشاهدها من الانسان في كل زمان ومكان ،  
ولدي كل امة من امم العالم . هل بلغها البشر بمجرد عقله وادراكه ، ام ان هناك  
أمراً آخر فوق العقل كان هو المرشد له الى ما فعل والمهادي الى ما عمل ؟ فنجيبك  
ان العقل بمجردة لم يتوصل الى ذلك بل كان ذلك بمساعدة نور العلم الذي يستمد  
من الشرايع السماوية ومما تفضل به عليه خالق البرية ، وبذلك عرف واجبه من اعمال

ما قد كان ايضاً كعلم ما فوق السماء وما تحت الارض وما في لجج البحار وأقطار العالم وما في قلوب الناس وما في الارحام وأشياء هذا مما حجب عن الناس علمه وقد ادعت طائفة من الناس هذه الامور فأبطل دعواهم بما يبين من خطأهم فيما يقضون عليه ويحكمون به مما ادعوا عليه . فانظر كيف اعطى الانسان علم جميع ما يحتاج اليه لدينه وديناه، وحجب عنه ما سوى ذلك؛ ليعرف قدره ونقصه ، وكلا الامرين فيه صلاحه .

العدل وبر الوالدين واداء الامانة ومواساة الاخوان ، فاصح بذلك دينه واسعد ديناه .

والى هذا أشار تعالى في كتابه المجيد بقوله : ( علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم ) ثم انه تعالى كما اعطاه العلم الذي يصلح له دينه ، أنعم عليه ايضاً بما يصلح به ديناه اذ هداه بنعمة عقله المميز الى العلوم والمعارف ومرفه الفنون والصناعات فصار ينتفع بما حوله من المحلوقات بفكره ، ويجذبها ليستخدمها في ما آربه ومصالحه ، فن ذلك ان سخر له الارض ليحراثها ويزرعها فيأخذ ثمارها وحبوبها لغذائه ، وپغرض فيها الاشجار والنخيل لما آكله وفاكته ، ورقوده وبنائه وسائر حاجياته الاخرى ، ثم جعله يقتني الاغنام والانعام فانقادت له جميعها ليعتعمل بهضها للاكل ويستخدم البعض الآخر للركوب والحمل والحراث ويجري منها في السباق والحرب والصيد ، الى غير ذلك من المقاصد الحيوية ، ثم هداه ليستنبط المياه فيستقيبها من جوف الارض ليشرب عذبا ويسقى زرعه ويستعمل ملطها وثمرها في ما آرب اخرى . ثم ارشده الى معرفة العقاقير وخواصها حتى ميز بعلمه وعقله بين نافعها وضارها فاستشفى بها الامراض ودفع بها اسقامه وادواه . ثم نظر في باطن الارض وفكر فيما يحويه من كنوز ومعادن ،

ولكن ظهور بطلان مقدماتهم ووضوح كذب مدعياتهم ، ابريحننا من الاستدلال على ان هذا العلم المسمى منهم هو باطل زائل لا يعاباً به ولا يلتفت اليه بل هو حماقة وغرور فانظر الآن وفكر فيما اعلى الانسان من تلك العلوم التي لا تخفى له فيها في اصلاح امور دينه ودنياه ، وما حجب عنه منها ، لترى ما في ذلك العطاء وهذا المنع من اللآرب الجليلة التي أقل ما يتصور فيها معرفة الانسان قدره بالنسبة الى خالقه لينخضع له مطيعاً ويتنكب مخالفة عارفاً رشده وهداه . ثم معرفة نفسه ولدى غيره الكيلا يشمخ بانفه ولا يتكبر على سواه ، ولينلتحي الى ربه في مهماته وطلب حوائجه خاضعاً خاشعاً . قرأ بعجزه ونقصه ، وفي كلا الامرين من منع وعطاء . حكمة بالغة ونفع عظيم يرجع الى الانسان نفسه .

هل إننا لو نظرنا اليه من حيث جوارحه المادية ، واجزاء اعضاءه الخلقية الطبيعية وتأملناه جسماً مركباً من لحم وعظم ودم وعصب ، لأفينا من اضعف الوجودات ، واحوج المخلوقات ، وأعجز الكائنات ، لولا ما منح من علم وعقل . فسبحان المنعم .

فاستخرج منها انواع الجواهر الثمينة فلبسها لزينته وادخرها لضيقه ثم لم يكتف بكل هذا بعد ان توسعت مداركه، ارتقت عقابته: وبعد ان شئت عليه انوار العلوم - حتى ولج لبحر البحار فاستخرج لكائنها وجواهرها الثمينة لزينته وذرعه. ثم اجرى على سطحها الجوارى المنشآت ليستكشف بها المسالك ويطلع على ما وراءها من الممالك. ثم انعطف لشدة طموحه واستعانته بالالهامات العقلية الى الصحارى والقفار ليسيطر بانواع الحيل وضروب السياسة على الوحوش والسياع فيمتلكها، وعلى الطيور في الجو فيصطادها، الى غير ذلك من تصرفه في الصناعات، وتقليه في وجوه التاجر والمكاسب ليمسدها حياته وبرغد عيشه، وهكذا مما يطول شرحه ويكثر تعداده. وقد اعطى كل ذلك بما منح من علم ما يصلح دينه وديناه.

أما ما منع عنه من العلم، فهو مما ليس من شأنه ولا من طاقته ان يعلم به: بل وليس من صالحه ان يعلمه وهو العلم القدي استأثر به الله تعالى نفسه دون عباده، واختص به دون ان يطلع عليه احداً مثل علم الغيب وعلم ما هو كائن وبهض ما قد كان مثل علم ما فوق السماء وما تحت الارض وما في لبحر البحار واقطار العالم، وما في قلوب الناس وما في الارحام وما تحت الصدور وما يجري على الانسان في غده من حادث او زرق او غير ذلك كما أشار تعالى الى بعضها في القرآن المجيد بقوله: (ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام وما تدري نفس مما تكسب خذاً وما تدري نفس باي ارض تموت ان الله عليم خبير).

فهذه الامور كلها مما اختص بها الخالق دون المخلوق وتفردها دون عباده وحجبها عن سواه، اذ لا طاقة للناس على تحملها، ولا عقل لديهم لطبقها، فكان من صالحهم حجبها ومن نفهم وقادتهم سترها ومنعها عنهم.

وقد ادى بعض الناس وطائفة من جهال الفلاسفة بانه علمها كلها او بعضها



## الحكمة في كتمان أجل الإنسان عنه

قال عليه السلام : تأمل الآن يا مفضل ، ماستر على الانسان علمه من مدة حياته ، فانه لو عرف مقدار عمره وكان قصير العمر لم يتها بأالميش مع ترقب الموت وتوقمه لوقت قد عرفه ، بل كان بمنزلة من قد فنى ماله او قارب الفناء ، فقد استشعر الفقر والوجل من فناء ماله وخوف الفقر؛ على ان الذي يدخل على الانسان من فناء العمر اعظم مما يدخل عليه من فناء المال ، لأن من يقل ماله يأمل ان يستخلف منه فيسبكن الى ذلك .

الانسان بالطبع يمال الى تعجل الشهوات ، غير متأن في النظر الى عواقب الامور ، اللهم الا ما اضطر الى الصبر عليه ، واجبر على التأني في الاسراع اليه . والى هذا أشار القرآن المجيد بقوله : ( خالق الانسان من عجل ) وقوله تعالى : ( وكان الانسان عجولاً ) . لذلك ترى ان انقل ما يكون على الانسان في طفولته منع ابويه له عما يريد فاذا نشأ نقل عليه تكليفه بالافعال النافعة والاعمال الصالحة ، ثم اذا كمل صار انقل ما يكون عليه تعليم معلمه ونصيحة ناصحه او ارشاد طبيبه ؛ أما اذا كبر وصار رجلاً نقل عليه قانون سلطانه وأوامر من يجبره على اجراء الاعمال المخالفة لميوله ورضاه وان كانت من صالحه . ولا عبرة بالقليل الذي يشذ عن هذه الظاهرة العامة والمجيلة الفطرية الشاملة ، اذ القليل الشاذ لا يعارض القاعدة العامة . ومن هنا يعلم ان الانسان لو تخلى

ومن ايقن بفناء العمر استحكم عليه اليأس وان كان طويل العمر ثم عرف ذلك ، وثق بالبقاء وانهمك باللذات والمعاصي وعمل على ان يبلغ من ذلك شهوته ثم يتوب في آخر عمره ، وهذا مذهب لا يرضاه الله من عباده ولا يقبله ، ألا ترى لو أن عبداً لك عمل على انه يستظلك سنة ويرضيك يوماً او شهراً لم تقبل ذلك منه ولم يحل عندك محل العبد الصالح دون ان يضمر

وطبعه دون ان يصد رادع عقلي او ان يوقفه وازع ديني او ان يقنعه ناصح مجرب او ان يخيفه سلطان قوي : كان سائراً مع شهواته غافلاً منحدرأ مع ميوله جاهلاً ، حتى يهبط الى حضيض مهاوي الملكة ، او ان يلقى في جحيم شقاء الدنيا والآخرة من حيث يدري ولا يدري .

وهذا الطبع البشري الثابت والغريزة الانسانية المتأصلة هي التي دعت الحكمة الالهية ان ترعى مصالحه لاستقامة حياته : فتستر عنه علم ما ستأثر به الحقائق تعالى وحده - كما تقدم بيانه - وتجب عنه بعض الامور الاخرى في مدة حياته ، لكيلا يختل اوره وينكد عيشه : مثل معرفة مقدار عمره ومقدار رزقه . اذ ليس من صالحه الاطلاع عليه لأن الانسان لو عرف مقدار عمره ، فان كان قصيراً ضاقت به الدنيا بما رحبت فلم يجد لحياته لذة ولا في عيشه هناك لترقبه الموت على الدوام منتظراً زوال عمره ساعة بعد ساعة مثل من فقد ماله او استشعر بأنه على وشك الفناء ، فهو على الدوام يشمر بالفقر ويخاف ذهاب ثروته ويخشى من سقوطه في هوة الحاجة ، مع ان ما بداخله من الخوف من فناء عمره أعظم مما بداخله من فناء ماله . واستشعار الموت اخوف من استشعار الفقر ، لأن المال يرجى رجوعه واستخلافه بتغيير الاحوال والاضواع وتقلبات الزمان ، فيكون هذا الرجاء هو ناله على تسكين سورة الخوف والوجل ، لكن من

طاعتك ونصحتك في كل الامور وفي كل الاوقات على تصرف الحالات .  
 فان قلت او ليس قد يقيم الانسان على المعصية حينئذ ثم يتوب فتقبل توبته  
 قلنا ان ذلك شيء يكون من الانسان لقلبة الشهوات له وتركه مخالفتها من  
 غير ان يقدرها في نفسه وبني عليها أمره ، فيصفح الله عنه ويتفضل عليه  
 بالمغفرة ، فاما من قدر أمره على ان يعصي ما بداله ثم يتوب اخر ذلك ، فانما  
 يحاول خديعة من لا يخادع ، بان يتسلف للتلذذ في العاجل ؛ ويمد ويمنى نفسه  
 التوبة في الاجل ، ولانه لا يفي بما يمد من ذلك . فان التزوع من الترفه  
 والتلذذ ومعاناة للتوبة ولا سيما عند الكبر وضمف البدن امر صعب ولا يؤمن

---

اجتن بالموت استحك بأسه واستولى عليه الجزع والملمع .

فاذا كان طويل العمر ، وقد عرف هو ذلك ، امن من سرعة الفناء ؛ واذا  
 اطمان مال الى طبعه وغريزه ، فاستهمل الشهوات وانهمك بالمعاصي والذائد ، ظاناً  
 ان طول عمره هذا مما يفسح له المجال للتوبة ، وبجهله قادراً على ان يبلغ شهواته في اوائل  
 عمره ويشبع ميوله النفسية في ابان قوته ، ثم يتوب اذا بلغ او اخر العمر وامشرف على  
 الموت ، وعند ذلك اذا تاب استبدل سيئاته حسنات ومعاصيه طاعة ، وبذلك يكون  
 قد حصل على لذة الدنيا ولذة الآخرة . وهذا لعمرى مذهب غير مستقيم لا يرضاه  
 الله تعالى اعباده ورأي غير سليم بأباه العقل الواحي والذوق السليم . ألا ترى انه لو  
 كان لك عبد عمل على ان يسخطك سنة فيعصيك فيها ثم يرضيك وبطبعك يوماً او  
 شهراً . أهل كنت تقبل منه ذلك ، او كان يعمل عندك هذا العبد محل العبد الصالح الذي  
 بطبعك في كل وقت ويضرك لك النصيح في جميع حاجياتك وامورك . كلاً ثم كلا فانك  
 بلا ريب لا ترضاه ولا تقبل منه كل خدمة مالم يطن قلبك الى صدق خدمته وحقيقته

على الانسان مع مدافئته بالتوبة ان يرهقه الموت ، فيخرج من الدنيا غير  
 تائب . كما قد يكون على الواحد دين الى اجل وقد يقدر على قضائه فلا يزال  
 يدافع بذلك حتى يحل الاجل وقد نفذ المال فيبقى الدين قائماً عليه فكان  
 خير الاشياء للانسان ان يستتر عنه مبلغ عمره فيكون طول عمره بترقب  
 الموت فيترك للمعاصي ويؤثر العمل الصالح .

نصحه بل كنت تعده عبداً عاصياً لم يشكر النعمة ولم يقم بالواجب ، هذا وهو عبد من  
 عبده الله بالنسبة الى عبد آخر من عبده ، فكيف بعمل العبد بالنسبة الى خالقه اذا كان  
 بسوف التوبة عاصياً موعداً نفسه وربه بهاء فان مثل هذا العبد حقيق على الله تعالى ان  
 يسخط عليه ولا يرضاه ، ولا يقبل عمله المتخادع تائب او لم يتب لأنه تهمد المعصيان  
 مكابراً و آخر التوبة مر ببدأ لاهن غفلة او جهل .

فان قلت : إنما رى كثيراً من الناس قد أقاموا على المعاصي حيناً من الدهر  
 وشرطاً وافية من العمر ثم تابوا فقبلت توبتهم وغفر الله لهم فكيف تقولون ان التوبة  
 لا تقبل من المعاصين في آخر العمر .

قلنا : ان الاخبار قد استفاضت عن السلف الصالح في ان الاعمال بالنيات وان  
 لكل امرئ ما نوى ، وهذا العبد الذي عصى وأقام على عصيانه زمناً ما يبلا لا يخلو  
 اما ان يكون قد صدر ذلك لئلية الشهوة فلم يمانها ولم يتحركها ولكنه لم يقصدها عامداً  
 ولم يعملها مكابراً معانداً بل عن جهل وغفلة ، فان الله تعالى لا يبد وان يصفح عنه اذا  
 تاب برحمته ، وان يتفضل عليه بالمعزة بلطفه لما آتته تعالى بصدق التوبة بعد الغفلة  
 وحقيقة الرجوع الى الله بعد الجهل . اما اذا كان العبد قد أمره على ان يعصى عامداً  
 عالماً قاصداً بذلك ان يعمل ثم يتوب اذا كبر وعجز دون جهل بالاعتقاب ولا غفلة من

الآخرة فهو إنما يحاول بعمله هذا خديعة من لا يخادع ، وتميليف التوبة في الآجل ليتلذذ بالمعاصي عاجلاً مئياً نفسه انه سيفوز في الدنيا والآخرة ، فان عمله دون شك عمل صيباني سخيف يباه حتى العقل القاصر فكيف بالرب العالم القادر . ثم لو سلمنا بأنه سوف يتوب هذا المعاصي في أواخر عمره ، فهل يستطيع ان يفي بما وعد بعد انغمسه في لذائذ المعاصي مدة شبابه وفي أوان قوته لأنه بالوجدان إذا اعتاد عليها والفتها نفسه حتى أصبحت كغريزة لا تزول وطبيعة ثانية يصعب الافغلات منها والتخلص من قيودها ، كان النزوع عن ذلك الترفه والتلذذ الى معاناة التوبة . والاقلاع من تلك المادة المألوفة والغريزة المرتكزة في النفس لا سيما عند الكبر والعجز وخور الارادة وضمف القوى ، أصعب وأصعب بكثير . هذا هل ان الانسان لا يؤمن منه ان يصل الى مرحلة التوبة كما يريد لاحتمال ان يرهقه الموت غفلة قبل انجازة وهذه فلا يوفق للحصول التوبة وحينئذ يكون قد خرج من الدنيا وهو غير تائب فيخسر آخره - فعوذ بالله من سوء العاقبة .

ولنضرب لك مثلاً تقريباً للذهن وافهاماً للمعنى ، وذلك انه اذا كان على احد دين الى أجل معين ، ولكنه كان يدافع ويماطل في ادائه مع قدرته على القضاء وتمكنه من الاداء . ومع فحة المجال وسعة الحبل ، حتى اذا حل الآجل المضروب كان قد نفذ ماله وبقي الدين قائماً عليه . انراه قد حصل على شىء غير الندم ولات حين مندم .

وأخيراً فقد ظهر لك مما ذكرناه انه كان من الخير للانسان ان يستتر عنه مبلغ عمره مدة حياته ، وان يحجب عنه العلم بمدة بقائه . ليكون هذا الجهل في الدنيا حونا له على ترقب الموت الذي يوجب له بل يضطرة على ترك المعاصي خوفاً من عدم حصول التوبة كما يجبره على فعل الاعمال الصالحة رجاء المغفرة وطلباً لحسن الجزاء في

الآخرة فإذا حصل كل ذلك صلح حاله وحسنت ما قبله فكان جسداً مطيعاً مامولاً  
للخير مامون الشر مرضياً عند الله والناس سعيداً في الدنيا والآخرة ، وهذا هو  
المطلوب من الانسان في خلقه وفي حياته .

## حكمة أخرى في جمل المرء أجله وترقب الموت

قال عليه السلام : فان قلت وما هو الان قد ستر عنه مقدار حياته  
وصار يترقب الموت في كل ساعة ، يقارف الفواحش وينتهك المحارم قلنا  
ان وجه التدبير في هذا الباب هو الذي جرى الامر فيه ، فان كان الانسان  
مع ذلك لا يرعوي ولا ينصرف عن المساوي ، فان ذلك من مرجه ومن  
قساوة قلبه لا من خطأ التدبير ؛ كما ان الطبيب قد يصف المريض ما ينتفع  
به فان كان المريض مخالفاً لقول الطبيب لا يفضل بإيماره ولا يفتحي عما ينهاه

---

لما ذكر الامام (ع) الحكمة في اخفاء العلم بمدة العمر على الانسان : اجاب عن  
اعتراض قد يتوهمه المتعرض فيقول : اننا نرى بالوجدان بعض الناس ، وقد سترت  
عنهم آجالهم وخفيت عليهم مدة عمرهم : كان الاجدر بهم كما ذكرتم ان يكونوا مترقبين  
الموت على الدوام ولكننا رام مع ذلك بقترفة ، ان الفواحش وينتهكون المحارم لا يذكرون  
موتاً ، ولا يأملون توبة ولم يخطر الموت على بال أحدهم ، فكيف يكون ترقب الموت  
رادعاً لهم عن المعاصي ؟ فكان جوابه (ع) ان وجه التدبير في هذا الباب هو الذي

عنه لم ينتفع بوصفته ؛ ولم تكن الاساءة في ذلك للطبيب بل للمريض حيث لم يقبل منه ؛ واثن كان الانسان مع ترقبه للموت كل ساءة لا ينتفع من المعاصي ؛ فانه لو وثق بطول البقاء كان اخرى بان يخرج الى الكبائر اللفظية فتقرب الموت على كل حال خيره من الثقة بالبقاء . ثم ان ترقب الموت وان كان صنف من الناس يلهون عنه ولا يتعظون به فقد يتمظ به صنف آخر منهم ويتزعون عن المعاصي ، ويؤثرون العسل والملح ويجودون بالاموال والعقائل النفسية في الصدقة على الفقراء والمساكين ، فلم يكن من العدل ان يحرم هؤلاء الانتفاع بهذه الخصلة لتضييع اولئك حظهم منها .

جرى عليه الأمر فيه الخ وتوضيح ذلك هو ان نقول : ان الهدى والضلال فعلان متضادان وأثران متباينان وهما من أفعال النفس الناطقة وآثارها . فانها هي الميزة بين الخير والشر ، والفاصلة بين الخطأ والصواب ، وعليها معمول مصير الانسان في نشأته الاولى والاخرى . ولكنها مع ذلك لها حالتان - صحة ومرض - واعتدال وانحراف فصحتها هي اعتدال قواها التي تخدمها ومرضاها هو خروج تلك القوى عن الاستقامة والاعتدال . فاذا ما صدر منها ما يخاف العقل وبضاد الصواب : فليس ذلك إلا لأن قواها المستخدمة لما كانت من معرفة غير مستقيمة الأفعال والاعمال . كما انها اذا اعتدت في اختياراتها وأفعالها ، فان ذلك دليل اعتدال خوادمها واستقامتها . ومعلوم ان هذا المرض فيها كلما تكرر عليها قوي أثره واشتد انهاله بها حتى تصبح النفس وهي لا ترى للصواب طريقاً ولا للهداية سبيلاً لذلك قد ترى القلب يقسو فيعمي ، واذا هي القلب وقسا أمرض عن الصواب فضل ، وحاد عن الحق فزل . واذا بلغ الانسان هذه المرحلة اصبح لا يرموي من غيه ، اذ لم يفكر في العاقبة فلم ينصرف عن المساوي ولم ينتفع .

رادع العقل او وازع لدين : مع كثرة ما خلق الله تعالى له من العبر ، وأبان له من الشواهد والآيات في نفسه وفي الآفاق اذران على قلبه وحجبت النفس عن بصيرتها فكان مقارفاً للفواحش دون خوف او وجل منتهكاً للمعاصم دون حياء او خجل ، فاذا فكرت ايها الممرض بما ذكرناه علمت ان حصول امثال هذه الاعمال من مثل هذا الانسان لم تحصل من خطأ التدبير ، بل عن النفس المريضة والقلب الاعمى القاسي الذي رانت عليه القنوب - وودته المعاصي : وان الله ليس بظلام للعبيد .

ولتقريب ذلك من ذهنك تأمل حال الطبيب مع المريض . فانه قد يصف للمريض ما يبتفع به من الدواء فاذا كان المريض مخافاً لقوله لا يعمل بما يأمره به من أكل معين وشرب مخصوص ولا ينتهي عما ينهاه عنه من المضرات : فانه بلا شك لا يبتفع بوصفه ، واذا ما أشد مرضه ولم يبتفع بالدواء ، فان الاساءة والتبعة لم تكن على الطبيب الذي شخص الداء ووصف الدواء ، بل القنب هو ذنب المريض الذي لم يعمل بارشاد طبيبه ولم يأمر بما أمره ولم يقبل ما رآه له من المصلحة واختاره له المنفعة إذا فكان من الواجب على هذا الانسان الذي خلق الله له كل مميزات الخير والشر ومنحه مفلاً مرشداً ، وأرسل اليه رسلاً للهداية ، بهد ان هيأ فيه اعضاء وجوارح تساعد على الاعمال الصالحة المطلوبة ثم ستر عنه أجله وموته ، ان يترقب الموت كل ساعة ويتوقفه ككل آن ، ليروض بذلك جماع نفسه الامارة ، ويسير في الصراط المستقيم الى السعادة الواقعية فاذا كان مع ذلك كله لا يمتنع عن اقران المعاصي ولا يرتدع عن الفواحش ولا ينجش من غضب الرب ، فكيف لو وثق بطول العمر والطمأن من البقاء ؟ فانه بالارباب يكون اقدامه على الكبائر الفظيعة اخرى ، وارتمابه للمعاصي أكثر ، وهذا بالضرورة لا يكون من صالحه لا في الدنيا ولا في الآخرة . وعلى هذا يتحقق لنا ان ترقب الاجل الحاصل له من عدم علمه بمدته خير له من الثقة بالبقاء واصلح له من الاطمينان بطوله وبعده .



ثم ان هذا الترقب المذكور اذا كان غير نافع لصف من الناس وهم اللاهون  
عنه غير المتعطين به، فان صفه آخر منهم قد يتعظ به فينتفع ، ويتنكب المعاصي بسببه  
ثم يؤثر العمل الصالح بواسطته ، فيجود بالاموال على المحتاجين ، ويبدل المعاتل  
الغفسيه في الصدقة على الفقراء والمساكين ، رجاء حسن الجزاء وطلباً لجزيل الثواب.  
فاذا كان هذا الترقب مما ينتفع به هذا الصف الشريف من الناس ، فليس  
من العدل والانصاف ان يحرم هؤلاء الصالحاء من الانتفاع بهذه الحصلة المحموده لأجل  
ان الصف الآخر من المعاصين الجاهلين كانوا قد اضاعوا -ظهم فحرموا مصالحهم  
وهؤلاء لم يكن الله تعالى ليظلمهم بل كانوا انفسهم يظلمون .

## الأحلام والحكمة فيها

قال عليه السلام : فكروا مفضل في الأحلام ، كيف دبر الامر فيها  
فزوج صادقها بكاذبها فانها لو كانت تصدق لكان الناس كلهم انبياء ولو كانت

---

ان لعلماء النفس والفلسفة قديماً وحديثاً في تفسير الاحلام اقوالاً وآراء قد  
تفاوتت وقد تقابمت ، والكل بطوفون حول نقطة واحدة ظاهرة الاثر خفية المنشأ  
والصدر . ونحن الآن نذكر لك اشهر الاقوال من المتقدمين وأوجه آراء التأخرين  
لتخيار انت افرها الى ذهنك وأحسنها لدى عقلك .

قال الحكيم ابن مسكويه مامضونه : ان النفس ترى عند غيبة الرغبات عنها  
ما تراه عند حضورها لديها بواسطة حصول صورها في الحس المشترك ، لأن هذا الحس  
المشترك ثبت فيه صور كل المحسوسات ثم لا تزول ، وان هذه الرؤية التي تسمى (تذكراً)  
في اليقظة هي بينهما تسمى (رؤيا رحلماً) عند النوم ، ولكن هناك حالة اخرى زائدة  
في النوم دون اليقظة وهي : ان قوى النفس عند تعطيل الحواس حال النوم تتوفر على  
الرؤيا فترى ايضا الاشياء الآتية في الزمان المستقبل أما جليلة واضحة او خفية كالرسم  
مثلا . فتكون الرؤيا على هذا هي ملاحظة النفس لصور الأشياء مجردة عن مادتها  
عند النوم .

وقال أيضاً في موضع آخر : انه قد صح في المباحث الفلسفية ان الاشياء كلها  
حاضرة في النفس ، سواء الماضي منها والمستقبل ، فهي تراها كلها بيمين واحدة وحيث  
ان النوم هو تعطيل النفس لبعض آلياتها اجمالاً لها اي لآلات الحس ، فاذا عطلت

كلها تكذب لم يكن فيها منفعة ؛ بل كانت فضلا لا معنى له ، فصارت تصدق  
احيانا فينتفع بها الناس في مصلحة يهتدي لها أو بضرة يتحذر منها وتكذب  
كثيرا لثلا يعتمد عليها كل الاعتماد .

هذه الحواس بقيت لنفس افعال ذاتية اخر جاصة بها وهي الحركة التي تسمى (رؤيا  
وحلم او جولانا نفسانيا) . وهذه الخاصة بها لها حالتان أما إلهيا وهو نظرها في افقها  
الاعلى وأما طبيعياً وهو نظرها الى افقها الادنى ، فالنفس اذا كانت نائمة اعني غير  
مستملة لآلات الحس في رؤيتها ، فاما ترى الشيء بما يحصل لها من الرسم الاول  
اعني الجنس العام للاشياء ، ثم لم نزل نتخلص لها صورة بعد صورة حتى ترى الشيء  
صريحاً . فان رأته خفياً غير صريح احتيج الى تأويل وتفسير وان رأته مكشوقاً صريحاً  
لم يحتج الى تفسير . بل يكون للشيء بعينه الذي رأته في النوم هو الذي سراه في  
اليقظة وهذا من نظرها الى افقها الاعلى ، وبه تكون الانذارات والاشياء التي يتنبأ  
بها ، وهي الرؤيا الصحيحة الصداقة التي تعد من النبوة . أما القسم الاخر القوي يكون  
بحسب نظرها الى افقها الادنى فانها تتصفح الاشياء المخزونة عندها في الحس المشترك  
من الصور المحسوسة التي استقتها من البصرات والمسموعات بالحواس ، وهي منشورة  
لانظام لها ولا فيها انذار بشيء . وربما ركبت هذه الصور تركيباً عشياً كما يفعل الانسان  
اللاهي او العايب من الافعال التي لا يقصد بها فرضاً . فهذه لرؤيا لا تتأول . وانما هي  
اضغاث احلام ورؤى كاذبة .

وقال الفيلسوف العظيم المعلم الثاني الفارابي في رسالته (آراء أهل المدينة العاضلة)  
ملخصه : ان القوة للتخيلة هي قوة متوسطة بين الحاسة والناطقة . وعندما تكون  
الحواس كلها نحس بالفعل وتعمل بوظائفها حال اليقظة : تكون التخيلة منفصلة عنها  
ومشغولة بما تورده الحواس عليها من المحسوسات لكي ترسمه فيها وتحفظه عندها كما

تكون أيضاً مشغولة بخدمة الناطقة . أما عند النوم فإن التخيلة هذه تنفرد بنفسها وهي فارغة مما نوره الحواس عليها من الصور والرسوم ومثالية عن خدمة الناطقة أيضاً .  
 وحينئذ تنفرد لعملها الخاص إلى ما يجده مخزونهاً عندها من رسوم المحسوسات فتصرف بها وتفعل بها ما تريد ، وذلك بأن تتركب بعضها إلى بعض أو تفصل بعضها عن بعض ثم إن لها بعد هذين الفعلين فعلاً ثالثاً وهو المحاكاة ، وهو عمل يختص بها دون سائر القوى النفسية . فانها قد تحاكي في محسوساتها المزاج وقواه النزوعية ، فتتركب منها أي من المحسوسات ما يوافق مزاج صاحبها وميوله وعاداته ونزعاته . ولكن أحياناً قد يفيض شيء من العقل على هذه القوة التخيلية ، فيكون للعقل الفعال فيها فعل ما تعطيه أحياناً من المقولات التي من شأنها أن تحصل في الناطقة النظرية كما ترى في المقادير الصادقة ، ولكن ذلك قليل .

وقال آخر : إن الإنسان في مدة النوم يتجرد عن كل تأثير خارجي مما يحيط به فيخلو بكليته إلى نفسه . ويكون إذ ذاك على أتم استمداد للشعور بكثير من الحوادث الدقيقة والأمور النفسانية التي كان لم يشعر بها في يقظته وضجة الحياة العملية . وهذا يحصل عندما يكون العقل راقداً في أعماق الدماغ وهو كهفه . فيخلو الجو للتخيلة ، فتطلق العنان للخلايا ونعین الدارك على القيام بوظائفها فتحصل الأحلام ، وفي مدة هذه الأحلام تنتبه القرائن الوراثية وتصل بالنائم إلى من مضى من الناس وبما غير من الحوادث فتكون أحلام قد تصق ، كثيراً ما تكذب أي لا يترب عليها أي شيء في الخارج وهي أضغاث أحلام .

هذه بعض أقوال فلاسفة القرون الوسطى .

أما علماء النفس في هذه القرون المتأخرة فقد تضاربت أيضاً آراؤهم واختلفت أقوالهم وإن تقاربوا في كثير من نواحي التعريف . ولكن آخر ما ذكره من تعاريف الرؤيا عندهم هو قول أحدهم :

ان الاحلام هي عمليات لا ارادية يقوم بها العقل في اوقات مخصوصة ومناسبات

متفرقة نحت تأثير خاص .

وقال آخر :

هي عمليات عقلية يحتمل لا يسام فيها الجسم بتصيب ما ، اذ يكون في حالة راحة تامة إلا انه قد تتأثر بعض اجزائه ببعض المؤثرات احياناً سواء كانت داخلية ام خارجية فتكون السبب المباشر في احداث الحلم او على الاقل في انجماه الى ناحية خاصة وهي اي الاحلام تتكون في ذلك الجزء من الانسان المختص بالتخيلات والتصورات الذي يعمل دائماً اي بدوام نشاط الانسان في غدواته وروحانه . وقد يعمل اثناء النوم ايضاً إلا أن عمله في اليقظة يكون نحت مراقبة المراكز والاجزاء العليا من المخ، وهي مراكز التقدير والتبصر ومراعات العادات والتقاليد وأمثالها . أما اثناء النوم فلن العقل يعمل مجرداً عن هذه الرقابة فلا تقدير ولا مراعاة ، بل انه يسير ويسترسل في عمله ، ويرتب ما يعين له من التخيلات والصور كيفما شاء وحسب ما يريد . وهذا هو سبب ما يبدو من غرابة وشدوذ في بعض الاحلام .

وأخيراً نبغ العلامة ( فرويد ) زعيم المدرسة الجديدة في تفسير هذه الظاهرة

(ظاهرة الاحلام) وهو صاحب النظرية الجنسية الشاملة ، فانه يقول ماملخصه :

ان من المعترف به الذي لا يقبل الجدل . ان المؤثرات الخارجية على الجسم ، او التغييرات التي تنشأ في حالة اجزائه واعضائه ، هي من اقوى الاسباب لحدوث الاحلام، فشددة الدفء مثلا او نوم الانسان على ذراعه وهو في موضع غير مريح او طرح الرأس اثناء النوم في موضع متعب . او نوم الانسان وهو جالس ، او في مكان ضيق لا تأخذ اطرافه فيه من الراحة الكافية، او عسر الهضم . او اختلال عمل الامعاء او ما أشبه ذلك قد يكون على حدوث الاحلام .

ولكن ( فرويد ) رأى أخيراً ان هذا التعريف لا يفي بتفسير كل محتويات الحلم ، لذلك فقد فسرها بتفسير آخر فقال :

النوم هو انسحاب موقت عن مواجهة الحياة الحقيقية ، ياخذ الانسان اثناءه قسطاً من الراحة تساعد على استعادة نشاطه لمواجهة مرة أخرى ، وفيه تعطيل جميع مراكز الشعور والاحساسات تعطيلاً يقودها من تأدية مهامها والاستجابة للتنبهات الخارجة ، وهذا الوقت الذي تعطل فيه هذه المراكز ، هو الفرصة الذهبية السانحة للجزء من العقل المسمى ( بالاشعور ) ان يثبت وجوده ويبدى اثره وحينئذ يظهر مكنوناته وتبرز ما حوى من الرغبات المكونة والاتجاهات الخاصة التي لا تسنح الفرصة للكفافية لظهارها حال اليقظة ، لذلك ترى ان تلك الرغبة أو هاتيك الاتجاهات تظهر أما جلبة واضحة كما في احلام الاطفال والناشئين ، او بطريقة ملتوية رمزية كما يحدث في احلام الكبار .

الى غير ذلك من الآراء والتفسير التي لم تقف منها حتى الان على تعريف جامع مانع للحلم ، على ان العلماء والمفكرين لا زالوا جادين في التحقيق للوصول الى تعريفه الحقيقي .

وكيفما كانت الاحلام ، والى اي تفسير لها سقنتهي طلاء النفس والفلسفة ، فان من السلم الواضح ان بعضها صادق ذو تأويل وأثر خارجي ، وبعضها كاذب لا أثر له في الاحوال الخارجية . وقد اقتضت الحكمة الالهية في خلقها وتدبيرها ان يمزج صادقها بكذبها فلا يعرف متى تصدق ومتى تكذب ، اذ لو كانت كلها صادقة لكان الناس كلهم انبياء اي كالانبياء ، ذلك لأن الانبياء كلهم يثلقون اوامرهم ونواهيهم للسموية ، أما بواسطة الوحي او بالاولهام او بالمنامات الصادقة . فكان الذي يرى الرؤيا الصادقة من الناس يكون كمن تلقى أمراً سماوياً بتلك الرؤيا ، وكان قد أخذ

من احدى الطرق التي يأخذ عنها بعض الانبياء أو امرم عن الله تعالى ، فهو كالنبي  
بهذا الاعتبار . وعلى هذا ورد الحديث : ان الرؤيا الصادقة جزء من سبعة من جزء آمن  
النيرة واظهاراً لهذا المعنى شبه الامام (ع) هذه الرؤيا الصادقة بالنبوة في قوله : فانها  
لو كانت كلها تصدق لكان الناس كلهم انبياء وقد تقدم ان النفس عند تعطيل الحواس  
حال النوم تنوفر على الرؤيا فترى الاشياء الآتية في المستقبل ايضا وذلك بنظرها الى  
افقها الأعلى وبهذا تنكشف لها الحوادث والامور الآتية قبل وقوعها ، فهي من هذه  
الناحية تشبه النبوة ايضا ، لأن الانبياء يخبرون عن بعض الغيبات بطرق التنامات  
الصادقة مثل رؤيا النبي ابراهيم (ع) اذ قال : ( يا بنى ابي ارى في المنام اني اذبحك  
فانظر ماذا ترى ) وقد اجابه ابنه النبي اسماعيل (ع) بقوله ( يا ابي اذبح ما تؤمر )  
ومعلوم ان هذا الجواب من اسماعيل (ع) يصرح بان مارآه ابوه (ع) في منامه كان  
وحياً وأمرأ سماوياً ثم ان هذا التشبيه من الامام (ع) كثيراً ما نستعمله العرب في  
كلامهم كقولهم علي كالأسد وسعاد كالقمر وأمثالها على ان علياً لا يشبه الاسد حقيقة  
وسعاد لا تحاكي القمر واقماً . ولكن هناك جهة خاصة يشترك فيها الشبه مع الشبه به .  
واتما لم يذكر الامام (ع) جهة الشبه بين النبوة والرؤيا الصادقة لوضوحها وظهورها .  
ثم قال الامام (ع) ولو كانت كلها تكذب لم يكن فيها منفعة بل كانت فضلا  
لامعنى له ، اي انها أضغاث احلام وخيالات غير منتظمة ولا مستقيمة ترجع في الغالب  
الى مؤثرات عضوية وقتية في البدن كعسر الهضم : والأكل الكثير او الجوع او  
الاتهاب المنهكة قبل النوم او الافكار للقلقة او الدوافع النفسية او الجنسية او ما أشبه  
ذلك ، فان هذه الاسباب وأمثالها مما تسبب اشتغال الخيلة وقوة الاشعور بفصل  
مخزونات الخيال ووصلها دون روية او نظام ، لذلك كانت الاحلام تصدق تارة فينتفع  
بها الناس في مصلحة يهتدي بها اليها . او مضرة يشحذر منها ، وتكذب كثيراً لكيلا  
يعتمد عليها كل الاعتماد .

وتوضيح ذلك : ان الخالق الحكيم العليق الجير ، قد جعل لهداية عباده طرقاً كثيرة ، لتكون له الحجة البالغة والكلمة العليا . وقد اختصر العلماء اصول هذه الطرق في أربعة اصول وهي :

اولا : افاضة القوى التي بها يتمكن الانسان من الاهتداء الى صالحه مثل القوى العقلية والحواس الباطنة والمشاعر الظاهرة .

ثانياً : نصب الدلائل المفرقة بين الحق والباطل ، والمبزة بين الصالح والفساد واليه الاشارة في القرآن المجيد حيث يقول : وهدينا للنجدين وقوله تعالى وهديناكم فاستجبوا لعمى على الهدى .

ثالثاً : ارسال الرسل وانزال الكتب السماوية . واليه الاشارة بقوله تعالى ، وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا . وقوله تعالى : ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم .

رابعاً : كشف السرائر عن القلوب ليروا الاشياء اماً بالوحى الالهي او الالهام او المقامات الصادقة . ولعل قوله تعالى : ومن آياته منامكم بالليل - اشارة الى هذه المنامات التي لا يراها إلا الانبياء . او من أحبه الله تعالى وطهر قلبه ووقفه لذلك .

فلم مما تقدم ان المقامات الصادقة هي مما ينتفع بها الانسان في هدايته الى الصالحه وتحذيره عما يضره . وبالطبع ان امثال هذه الاحلام قليلة ، ولا كذلك الاحلام الكاذبة فانها كثيرة لكثرة موجباتها من اختلال الجسم او الفكر : ولأجل هذا صارت غير معتمد عليها في تسيير الامور الحيوية كل الاعتماد . على ان الرؤيا مطلقاً ومهما كانت لا تتخذ دليلاً على اجراء عمل او اثبات مطلب البتة الا ان بعض الصادقة منها في ظروف خاصة وحالات معلومة وهي قليلة وقليل اهلها ، فسيحان من خلق الانسان في أحسن تقويم .



## الأشياء المخلوقة لما رب الإنسان

قال عليه السلام: فكر بامفضل في هذه الاشياء التي تراها موجودة ممددة في العالم من مآربهم . قالت رب للبناء ، والحديد للصناعات ، والخشب للسنن وغيرهما والحجارة للارحاه وغيرها، والنحاس الاواني، والذهب والفضة للماملة والذخيره ، والحبوب للنفذاه ، والثمار للنفكه ، واللحم للماكل ، والطيب للتلذذ؛ والادوية للتصمصح ، والدواب لاهموله ، والحطب للتوقد ، والرماد

لقد علت مما تقدم وتكرر عليك ان الانسان لو نظرنا اليه من حيث مادته وصورته الجسمية ولاحظنا تركيبه من لحم وعظم وعصب ودم ، ثم قسناه بما عدها من انواع الحيوان، الفيناه من اضعفها قوة وأحوجها الى غيره وأعجزها مقاومة لاي طارئ، ومهاجم : ولكن الخالق الحكيم بهد ان خلقه هكذا منحه هيكلًا جميلًا وقامة منتصبه مستقيمة . ثم تفضل عليه بالنفس الناطقة والمقل والفكر فيما يحيط به، ثم علمه التمييز عن ارادته ونواياه بالقول والكتابة ولقد سمي ( ملك المخلوقات ) . فهو بهذه القوة العاقلة والنفس الناطقة : أصبح مستطيعًا على ان ينتفع بكلها عداه من مخلوق سواء أكان جمًا أو نباتًا أو حيوانًا . وان يبلغ منها مقاصده وأفراضه وينجز منها مراماته ورغباته . ولا ريب ان هذه الميزة فيه والتكريم الذي خصه الله تعالى به ، لم يكن إلا لحكمة ارادها ومصالحة اقتضاها واردة شاءها ، وهي معرفة كمال الوهيت ، وعبادته من معرفة وتممير ارضه كما قال تعالى : وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون .

للحكاس ، والرمل للارض ، وكم عسى ان يحمي المصبي من  
هيفا وشبهه ، رأيت لو أن رجلا دخل داراً فنظر الى خزائن  
مملوءة من كل ما يحتاج اليه الناس ، ورأى كلما فيها مجموعة ممداً

وقال تعالى : وهو أنشأكم في الارض واستمركم فيها ، ثم لم يرض له بهذه النعمة  
العظمى فقط . بل خلقه في احسن تقويم وركب فيه العقل الهادي والذكا . المدرك لنعمه  
وأيايه الكثيرة ، وفوق كل ذلك فقد جعل كل موجود في العالم سواء طوع ارادته  
وسخرأ لمصلحه ، سواء كان على وجه البسيطة أو في اجوائها او في القضاة كما قال  
تعالى : هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعاً . وقال تعالى : وسخر لكم ما في السموات  
وما في الارض منه . وقال تعالى ايضاً : وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحماً  
طرياً وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله  
واملكم تشكرون .

فكان على الانسان أن ينتفع بكل هذا في غذائه وملبسه ومسكنه وسركوبه  
وزينته والتلذذ به والتفكير أو التدارى أو ما أشبه ذلك مما يستفيد به في دنياه ، أو في  
الاعتبار به والتفكير فيه ، ما يستفيد به في آخرته . ثم تفضل تعالى عليه بعد ذلك بان  
هداه الى الانقاع بكل ما اعده له وخلق له من أجله ، فارسل الرسل والانبياء وانزل  
عليهم الوحي والكتب ليوقظه لما أودعه فيه من القوى العقلية ، ليتوجه بها الى الرسل  
والعقل الى السعادة الأبدية والحياة الصحيحة . لذلك تراه ارتقى بها الى المعارف  
وكسب العلوم والصنائع والنون ، وعرف كيف ينتفع بما حوله من المخلوق وكيف يجذبها  
لمصلحه ويجعلها طوع ارادته . فصار يستخدم الارض لحرثه وزرعه فيستخرج منها  
ثماره النافعة وغذائه المقوم لجسده ، كما صار يستفيد بالحيوانات التي انقادت اليه ليتخذ  
منها غذاءاً ويستخدمها في الحرث ورحل اثقاله ولاهيد والحرب والركوب ، ثم لم يكتف

لأسباب معرفة أكان يتوهم ان مثل هذا يكون بالاهمال ومن غير حمد ؟  
فكيف يستجيز قائل ان يقول هذا من صنع الطبيعة في العالم وما اعد فيه من  
هذه الاشياء .

بذلك حتى نظر الى البحار ففتح فيها طرقاً تجري فيها سفنه واستخرج منها الثالي لزيفته  
وذخيرته وأخرج منها الامملاك لا كاله طرياً . ثم علمه الله تعالى ما لم يعلم من بناء  
الدور للسكنى بعد ان كان يأوى الى الكهوف وظل الاشجار يتضدى بمحاشش الارض  
ونبائها فابتدأ لا بنحت الجبال ثم بناء الاكواخ، ثم لم يزل يتسع امامه مجال التفكير  
وتشعب له طرق المقاصد لتطور وضع الميمنة حتى تولدت فيه قوة الاختراع فخطط  
للمدن وابتنى العاقل والمصون ومصر الامصار وشيد شاهقات القصور وزاهيات البيوت  
والمنازل. ثم راح يتجول بفكرة في نواحي الطبيعة باحثاً عما أودع فيها الخالق من الاسرار  
والمعجائب. فاكتشف في أحماق الارض كنوزها وخزائنها واستعمل كل ما فيها من  
المعادن والناجم في مصالحه وأغراضه في هذه الحياة .

هذا وقد جعل الخالق الحكيم كل تلك الاشياء مهياة له معدة لأبجاز ضرورياته  
الحوية ، فجعل .

اولاً : التراب لبنائه بعد ان احضر له النار التي تطبخه وهداه لكيفية طبخه  
بها ليكون جسماً وأجراً وامثالها مما يقيم للبناء ويبنى به المسكن اللازم وعلمه كيف يصنع  
منه ممزوجاً مع الماء طيناً للانايب والاولاني الحزفية وامثالها .

ثانياً : الحديد لصنائه فصار اولاً يعمل منه الدروع والتروس والسيوف  
والمخناجر وسائر آلات الحرب ، ثم المدى والسلاسل والشبابيك والاقفال والامير  
والمساحي وأشباهاها ثم تدرج الفكر البشري بتكاتف حاجياته فصنع منه المجلات  
والآلات المختلفة في الامامل والمكائن، ثم أخذت منه السكك الحديدية وسائر المحركات

ثم استعمل في صنع السيارات والطائرات والمطابع والرادوات الى غيرها من الاعمال والصنابع التي لا تحصى ، وحتى استعمل اليوم في البناء بدل الاخشاب للاسقف والسقوف مع السمنت في عمل ( الكونكريت ) وحتى صار يسبك مع بعض الامزات في مختلف الاغراض الصناعة كالاسلاك الكهربائية والصفايح المستعملة في البواخر وغيرها . وبالجملة فان الحديد من اعظم المعادن الفلزية نفعا وأقلها ممنا وأكثرها وجوداً وذلك لضرورة وجوده في أكثر المصالح البشرية .

قال تعالى : ( وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس ) .

ثالثاً : الخشب انبته الله في الغابات والاجم والساتين ، فصار يميل منه السفن والابواب والسقوف والشبائيك واشباهها حتى اصبح اليوم لا يستغنى عنه في جميع الصناعات وصنع كثير من الآلات والمركبات .

رابعاً : الحجارة والصخور الصامدة فقد هيأها الله تعالى له ليصنع منها الارحية ابتداء اطمن الحبوب اللازمة لغذاه حتى عرف كيف تقطع الاحجار للبناء . ثم جربه بنظرته فجعل القوى الصلب في الاسس والرخو في الاعالي ، ثم تدرج في تفكيره فعمل منها البناءات الضخمة والقصور الشاهقة ذات الطبقات المتعددة ، ولانزال الحجارة غير مستغن عنها رغم ظهور الاحجار المصنوعة والسمنت والحديد وامثالها .

خامساً : النحاس الذي اوجده الله تعالى وجمعه بعد الحديد اهمية وفائدة : وقد اكتشفه الهنود الحر اولاً في امريكا فكانوا يستعملونه لرؤس السهام في حروبهم ، ولكن القرآن الكريم يذكر استعماله منذ زمن ذي القرنين اذ جمعه سداً بين اهل الصين وياجوج وماجوج حيث يقول : ( أتوني افرغ عليه قطرا ) والقطر هو النحاس المذاب وعلى كل حال فقد استعمل بعد ذلك للدواني في الطبخ والاكل وماشاكلهما ، وهو لا يزال مستعملا في كثير من الانحاء ، ولكن اخيراً فطنوا الى ان جعل الحوامض

فيها مما يوجب اعتمادها كياويبا مع النحاس وتربيد مادة سمية مضرّة منها ذلك عدلوا في كثير من الاواني منها الى الاواني الخزفية والنيكلية ، ثم قد سبب هذا النحاس مع الحارصين او البرونز فيتولد منه ( البرنج ) المستعمل في كثير من الاواني الاخر مثل السارد والمارن وبعض الآلات الصناعات وأمثالها .

سادساً : الذهب والفضة فقد مياهما الخالق وجهلها من أجل الفلزات وأكرمها عنده ثم عززها بقلّة وجودها : ثم هداه ليجعلها نقوداً في معاملاته وحلية في بضاعة وذخيرة لوقت حاجته . وهنا سؤال مهم جليل الفائدة كان قد سأله الدلالة أبو حيان التوحيدي من الحكيم ابن مسكويه رأيناه في كتاب (الهوامل والشوامل) الجامع لجملة من استأله التوحيدي وجوابات الحكيم له احييت ذكرها بالنص انما للفائدة .

قال أبو حيان : لم ينفق الناس في التعامل على الثامنة بالياقوت والجوهر او بالنحاس والحديد والرصاص دون الذهب والفضة وما الذي قصرهم عليهما مع امكان خيرها ان يقوم مقامهما ويجرى مجراها .

فاجاب الحكيم : قد عيّن ان الانسان لا يتم له الحياة بالتفرد لحاجته بل يحتاج الى التعاون الكثير ممن يمد له الاغذية الموافقة والادوية والكسوة والمنزل والسكن وغير ذلك من سائر الاسباب التي بعضها ضرورية في المعيشة وبعضها نفاة في تحسين العيش وتفضيلة ليكون قديماً او جيلاً او فاضلاً . وليس يجري الانسان يجري سائر الحيوانات التي ازيمحت عانها في ضروريات عيشها وفي مقومات حياتها بالطبع (الطبيعية) لذلك فقد امد بالعقل وامين به ليستخدم به كل شيء ويتوصل بمكانه الى كل ارب ، ولما كان التعاون واجباً بالضرورة والاجتماع الكثير طبيعياً في بقاء الواحد ، وجب لذلك ان يتمدّن الناس ، اي ان يجتمعوا ويتوزعوا الاعمال والمهن ، لينم من الجميع هذا الشيء المطلوب اعني البقاء والحياة على أفضل ما يمكن . ولما فرضنا ان الاجتماع قد وقع

والتعاون قد حصل ، عرض أن النجار الذي يقطع الخشب ويهياؤه للحداد ، والحداد الذي يقطع الحديد ويهياؤه للحراث ، وكذلك كل واحد منهم إذا احتاج إلى صاحبه الذي عاونه ، قد يقع استغناؤه عنه في ذلك الوقت . فإن الحداد إذا احتاج إلى صناعة الحياكة وصاحب الثوب غير محتاج إلى صناعة الحداد . وقف التعاون ولم تدر المعاملة وحصل كل واحد على عمله الذي لا يجدي عليه فيما يضطر إليه من حاجات بدنه التي من أجلها حصل التعاون . واحتيج لذلك إلى قيم للجيازة ، ووكيل يشرف على أعمالهم ومنهم موثوق بأمانته وهدائه ليقبل الجميع أمره ويصبر حكمه جائزاً وأمره نافذاً مصداقاً وأمانته صحيحة ، ليأخذ من كل أحد ويستوفي عليه قدر معاون به ، ويعطيه من معاونته غيره بقسطه من غير حيف وإنما يتم له ذلك بأن يقوم عمل كل واحد منهم ويحصله ، ثم يعطيه بمقدار ثمنه وعمله من عمل الآخر الذي يلتمس معاونته . وهذا الفعل أيضاً لا يتم لهذا القيم المستوفي أعمال الناس إلا بأن يأتيه كل من عمل عملاً فيعرضه عليه ويأخذ منه علامة من طابع أو غيره يكون في يده متى عرضه قبل ولم ينس وعرفت صحة دعواه ، وأعطى به من ثمن غيره بمقداره .

ولما نظر في هذا الشيء الذي يحتمل أن يكون بهذه الصفة ، فلم يمكن أن يجعل من الأشياء الموجودة دائماً ومما يقدر على تناوله كل أحد . لئلا يحصل من لا يعمل عملاً ولا يمين أحداً بكده ويتوصل به إلى كد غيره ، وثمرته ، فيؤدي ذلك إلى خلاف ما دبر لانتماء المدنية والتعاون . فوجب أن يكون هذا الطابع من جوهر عزيز الوجود ليتمكن حفظه والاحتياط عليه ، ولا يصل إلا من جهة ذلك القيم إلى مستحقة الذي يعرض عمله وكده ، ووجب مع ذلك أن يكون مع عزة وجوده غير قابل للفساد من الماء والنار والهواء بنحو ما يمكن ذلك في عالمنا هذا . فإنه متى كان شيئاً فما يتسل بالماء أو يحرق بالنار أو تفسد صورته بهض العناصر الأربع ، لم يأمن صاحب الثمن

الكثير ان يحصل ثم يفسد عنده فيضيع عمله، ولا يصدق فيما اعان به وكذبه فوجب ان يكون هذا الطابع حافظاً للصورة خفيف الحمل مع ذلك مأموناً عليه الفاسدة طويلاً من الطابع الاربع ومن الفساد الذي يكون بالمهنة ايضاً كالكسر والرض وغيرها . ولما تصفحت الموجودات لم يوجد شيء يجمع هذه الفضائل الا الاشياء المعدنية ومن بين الاشياء المعدنية الجواهر التي تدرب بالنار وتحمى بالهواء ومن اجل هذه (الذهب وحده) فانه ابقاها وأعزها وأحفظها لصورته وأسلمها على النار والهواء والماء والارض وهو مع ذلك سليم على الكسر والقطع والرض ؛ يعيد صورته نفسها بالدرب ويحفظها من جميع عوارض الفساد زماناً طويلاً جداً . فجعل مقوماً للصناعات وعلامة لهذا القيم ؛ ثم احتيط عليه بان طبع مخافته وعلامته ، كل ذلك خوفاً من توصل الاشرار اليه من يرتفق مع عمل غيره ولا يفرق غيره . فان هذا الفعل هو الظلم الذي يرتفع به التعاون ويؤول معه النظام ويبطل بسببه الاجتماع والتعاضد .

ثم لما وجد هذا الجوهر الذي جمع هذه الفضائل واحتيط عليه ضرور الاحتياطات من ان يصل الي غير مستحقة ، عرض عليه عارض آخر ، وهو أن الذي عاون الناس بمساونة استحق بها شيئاً منه ، ربما أحتاج الى معاونة يسيره لا تماوي تبعه الاول ولا تقرب منه . مثال ذلك انه ربما تصب الانسان اياما ليحصل لغيره عمل الرضى بمؤنه كلفة وحكمة بليغة ، فاذا اعطى من هذا الجوهر قيمة عمله ، ثم احتاج الى نقل او خلل او عرض بسير لا يستطيع ان يعطيه شيئاً من الجوهر الذي عنده ولا اقل للقليل منه ، لان الجزء اليسير جداً منه أكثر قيمة من العمل الذي ياتمه من غيره . فاحتيج لذلك الى جوهر آخر تكون فضائله انقص من الذهب ليصير خليفة له بعمل عمله وان كان دونه . فلم يوجد ما يجمع تلك الفضائل التي حكيناها في الذهب شيء يساوي الذهب عشرة اضعافه ، من الفضة ، لأن العشرة نهاية الاحاد ، فوجب لذلك ان تكون قيمة الواحد من ذلك الجوهر عشرة امثاله من هذا الجوهر .

فما للتفاوت الذي وقع بين صرف الدبنار والدرهم احدى صار منه الواحد خمسة عشر درهماً ونحوها وهي المسألة التي جعلتها نالية لهذه المسألة فانما ذلك لاجل التفاوت في الوزن بين المثقال والدرهم، ثم لأجل النش الذي يكون في أحدهما ، والامر محفوظ مع ذلك في ان الواحد من الذهب بازاء عشرة من الفضة ، اذا كان كل واحد منهما غير مشوب ولا منشوش ( انتهى ) .

سابعاً : الحبوب والبقول التي أنبتها لغذائه كالقمح والشعير والارز والعدس والماش واللوبياء وأشغالها، وقد جعلها متوفرة كثيرة الوجود لأنها غذاء والغذاء ضروري للجسم والروح معاً ، لأنه المنبه الغزير لروحي للجسم ، والمغوض عما فقد منه بسبب الجهود الحثيوبة الانسجية ، والمعطي له الوقود الذي يحفظ الحرارة الغريزية والقوة اللازمة للحياة . هذه هي نتائج الغذاء والفوائد المترتبة على استعماله ، ولأجل ان تتوفر هذه الشروط في الغذاء اللازم وجب أن يكون حاوياً لسته انواع من العناصر المغذية وهي النشا والسكر والدهن والملح والحوامض وازلال . وكل واحد من هذه العناصر الستة عمل خاص لا يمكن ان يستعاض عنه بغيره . فالازلال لتعويض الدم في الانسجة العامة كالنخ والاعصاب والعضلات والغدد . والسكر والنشا والدهن لحفظ الحرارة والقوة وتكوين دهنية الجسم ونموته وطرأوته . والحوامض والاملاح لتسهيل تمثيل الاغذية بالانسجة الجسمية وافراز المواد السامة المتولدة داخل البدن من فضلات الاغذية والاشربة وهذه العناصر اللازمة كلها او اغلبها توجد في الحبوب لاسبب القمح والشعير لذلك خلقت الحبوب لغذاء .

ثامناً : الثمار لتغفكه قال تعالى : ( هو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفاً آكله والزيتون والرمان مثابها وخبر مثابه كلوا من ثمره اذا امر ) وقال تعالى : ( فأنشأ لكم به جنات من نخيل وأعتاب لكم فيها



فواكه كثيرة ومنها نأكلون .

والتمتكة هو التلذذ بأكل الفواكه ، وهي ضرورية للبدن لا يستغنى عنها كالغذاء تقريباً ولكن الفرق بينها وبين الغذاء هو أن الغذاء يكون بدل ما يتحلل من البدن والفواكه لها خاصية مقاومة الميكروبات الضارة وقتلها أحياناً بفضل ما يحويه من الحواض النافعة ، ولكن بشرط أن توكل بعد تمام هضمها وقبل التفسخ ، لكيلا تسبب عسر الهضم وأمثاله من الامراض المعدية العسرة .

تاسعاً ، اللحوم للأكل ، والفرق بين المأكول والتغذي هو ان الغذاء عند الجسم بكل ما يحتاج اليه من العناصر الضرورية ، ولا كذلك اكل لحم فان الاكثار منه يدخل فيه بعض المتخلفات التي قد تسبب الامراض الشديدة ، وليس معنى هذا ان اللحوم تضر بالصحة بحيث يجب اجتنابها او انها يمكن ان يستغنى عنها ، بل قد ثبت لدى الالماء ان اكل اللحوم من حين لآخر وبمقدار معتدل يكتب الجسم صحة وقوة وأحياناً يكون واجباً ضرورياً كما في حالة الضعف العام وفقر الدم والنقاة بشرط ان يؤخذ من حيوان سليم وقد ورد في الحديث الشريف : لا تجملوا بطونكم قبوراً للحيوانات ، وفي احاديث اخر : عليكم بلحم الضان . فان هذا وأمثاله مما فهمنا بان الاسلام يامر بأكل اللحوم ولكن ينهى عن الاكثار منها ، وهذا في الحقيقة هو الطيب الصحي الذي اقره الاطباء في القرن العشرين بعد التجارب الكثيرة والتحليلات الوافية عاشرأ : الطيب للتلذذ فان نشاط الاعصاب وفتورها منوط بنشاط الدماغ وفتوره ، فاذا ما اتمتت الاعصاب او تعبت فقد يعلم ان الدماغ كان قد اتمتت او تعبت فعليه يفهم ان ازعاج الدماغ نفسه بسبب بعض الروائح الحامدة او الكريهة لا بد وان يسرى الى الاعصاب فيزعجها . ولأجل هذا فقد تفضل الله تعالى على عباده بخناق الطيب لينتض الدماغ ويرجع الى نشاطه وحيويته ، وبذلك تمود الاعصاب الى نشاطها وعملها الطبيعي ، وهذا هو المراد بالتلذذ . فان اللذة كما عرفوها :

هي ادراك اللاتم والاحساس بالراحة والنشاط امام ، وهذا يحصل بسم الطبيب لللائم .  
 الحادي عشر: لعقاقير والادوية الطبية فقد اثبتها الله تعالى للاشفااء والتصحح  
 من الامراض . لأن الانسان لما كان ضميم الجسم كان بالطبع معرضاً لظواري ومنغلا  
 بالطبيعة الخارجية والاختلافات البدنية الداخلية . وهما يسببان الامراض والآلام ،  
 فلاجل ذلك هيا الله تعالى له من النباتات عقاقير وازهاراً وأودع فيها خواص دفع  
 الاسقام وشفاء الامراض . وجعل باستعمالها التصحح والبرء . ومعلوم ان ذلك كان  
 بعد ان هداه الى معرفة تلك الخواص اما على أسنة الانبياء والرسل ، او المصادقات  
 المقصودة لتبته والارشاد فكان اعداد هذه الادوية والارشاد الى معرفتها من أجل  
 نعمه التي لا تحصى على عبده .

الثاني عشر: الدواب فقد ذابها لحولته كما قال تعالى: (وذلكناها لهم فنها ركوبهم  
 ومنها يأكون) وقال ايضا: (وتحمل افعالكم الى بلد لم تكونوا بالعبه إلا بشق الانفس ان  
 ربكم رؤوف رحيم) وقال تعالى: والحيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا  
 تعلمون) وقال تعالى: (ومن الانعام حمولة وفرشاً) الى غيرها من الايات الكثيرة التي  
 دلت على ان الله تعالى قد جعل الدواب التي هي في الحقيقة اقوى من الانسان حسماً  
 وأشد فتكاً منقادة اليه مطاوعة لارادته ، بقودها متى شاء لحاجته ، وبركبتها متى  
 أراد خاضعة دون أي دفاع او امتناع . فاعتبر أليس ذلك سوى لطف وتفضل منه  
 تعالى ؟ أليس ذلك من النعم الجليلة التي أفاضها الخالق الكريم على الاسنان ؟

الثالث عشر: الحطب الذي اخرجته الله تعالى له من الارض وقوداً لذنائه  
 وتدفعه من البرد فنقد كان الانسان الاول يتدفأ وسط كهكوف اذ لم يعرف الوقود  
 ولا النار . ثم عرف النار بعد آلاف من السنين بطريق المصادفة ، وذلك بالقدح دون  
 قصد أو لا ثم اشتعال النبات اليابس بها ثم أخذ بعد ذلك يتدفأ بالنار الحادثة في الحطب  
 اليابس ، ثم صار يوقد الاخشاب بالقصد والارادة . ثم حدث منها الفحم عند تحمود

الناز فاستتمه ثم اكتشف الفحم الحجري فراه ابطاً هوداً وأشد حرارة فاستعمله .  
ثم بعد مدة وبمد نمو عقليته انتقل الى استعمال الوقود السائل كالنفط الاسود المتفجر  
من الارض ، ثم النفط الابيض بعد الاهتداء الى تصفيته ، ثم البترين ، ثم ارتقى  
في تفكيره في هذه القرون الاخيرة الى استعمال الوقود الغاز الطبيعي والفحمي ،  
ثم اهتمدى بتفكيره الى اكتشاف الكهرباء فقلب وجه الحياة ظهراً على عقب فكان  
هو الوقود وهو المحرك وهو البرد وهو الاساس لكل عمل ولكل مخترع حدث بعده  
وعلى كل حال فان الحطب القدي كان الوقود الوحيد للبشر الاول لم يزل ولا يزال  
مستعملاً في كثير من انحاء العالم لا يستغنى عنه ، إذا فهو نعمة عظيمة على الانسان  
يجب ان نشكر .

الرابع عشر : الرماد القدي يستعمل لكلس اي ائتكليس الابنية وطلائها به  
فان المراد من الرماد هنا هو المواد المتفرقة احراً شاملاً مثل النورة والجص الحاملين  
من حرق حجر الكلس والاحجار الرملية وأشغالها ، فان ائتكليس والطلاء البناء بعد  
اقامته مما يقويه ويجمله ويجعل له رونقاً وبهاءً واستقامة .

الخامس عشر : الرمل القدي جمه للارض لتقوى به ونحسن زراعتها، وليستص  
فضل ما يجرى عليها من المياه الزائدة على حاجتها لأن الرمل مادة صخرية متفتنة حبوا  
دقيقة مختلفة الحجم ، توجد على وجه الارض وفي أجوافها وفي جميع الافطار ، خلق  
في الارض ليحدث فيها مساماً دقيقة لامتماص زائد الماء وليخلخل تماسك الاراضي  
الطينية لنفوذ الماء والهواء والحرارة داخل الارض ، ولتكون اساساً وقواماً لنمو  
النباتات وخصبها . ولتتمنع من تشقق الارض عند جفافها لذلك ترى ان كل ارض طينية  
اذا وجد فيها الرمل خصبت وسهل زرعها ونباتها والا فلا تزرع .

هذه النعم كلها ، وهذه الامور جميعها التي ذكرها الامام (ع) على سبيل المثال  
كانت للاعتبار وطريقاً للتفكر في عظمة خالقها وحكمة صانعها . ولا ريب انها جزء من

كل ربيض من فيض مما انعم النعم التعلل بها على عباده ، وكم حسي ان يحصى المحصى  
من هذا وشبهه من تلکم الآلاء العظيمة والایادی الجمیمة التي هي دون قدرة الخالق  
المتفضل وفوق معرفة المخلوق المنعم عليه .

فاذا تملقت ما تقدم لك ثم فكرت فيه . فهل ترى اسخف عقولا وأنهم سخفاً  
من اولئك الجاحدين الجهلاء الذين نسبوا هذا النظام الحكيم المتقن وهذه القدرة العظيمة  
الى عمل الاتفاق والاهمال او الى الطبيعة او الى الدهر دون تعقل او تفكير بل بمجرد  
الجهل والعماد والعمو والغرور ، ولو نظروا وتأملوا في رجل دخل داراً فنظر فيها الى  
خزائن ممتدة ومواضع مملوءة بكل ما يحتاج اليه الناس وان كل ما فيها كان مجموعاً مهياً  
لأسباب معروفة وغايات وما رب مقصودة وضروريات لازمة لساكنيها. أكان يتوهم  
هذا الداخل الناظر لكل ذلك انه حصل بالاهمال من دون قصد واردة ؟ ام هل  
يستجيز العاقل ان يقول انه من صنع الطبيعة البكاه العمياء الصماء ؟

الهم اجرتنا من امثال هذه المقول الضئيلة والاحاد البارد الذي لا يستند على  
ادراك ولا على قاعدة ولا يركن الى ناموس طبيعي او عقلي ، فان هؤلاء هم كالانعام بل  
هم أضل سبيلاً .

## وجوب العمل للإنسان وكونه سنة طبيعية

قال عليه السلام : اعتبر يا مفضل بأشياء خلقت لمآرب الانسان وما فيها من التدبير ، فانه خلق له الحب لعطامه وكلفه طعنه وعجنه وخبزه ، وخلق له الوبر لكتوته فكلفه ندفه وغزاه ونسجه ؛ وخلق له للشجر فكلفه ثمرها وستقيها والقيام عليها ، وخلقت له المقاهير لادويته فكلفه لقطها وخاطها وصنعها ، وكذلك تجد سائر الاشياء على هذا المثال وأنظر كيف

---

العمل سنة طبيعية ، وشرط من شروط اطالة العمر وحفظ الصحة . والعمل جسدياً كان او عقلياً منشط لكل الوظائف الحيوية . ومزيد في العقل صاه وجلاء . ومحدث في الجسم قوة ومقاومة ضد العوامل الخارجية والداخلية . ومن له في جميع أقسامه وأعضائه ، فالدماغ بصو وينتمش والاعصاب تنشط والمضلات تقوى والقلب يرتاح والرئة تدسع والمعدة تنفض للهضم ، وكذلك كل عضو يقوى على اداء وظيفته والقيام بعمله .

فالعمل على هذا يكون ضروريا لكل انسان ، وواجب لحياة كل فرد يستحق الحياة بل لا بدله ان يعمل ليضمن قوته الضروري صيانة اصحته ووقاية جسمه وعقله من الامراض والامراض التي يورثها الكسل والبطالة وغير خفي ان التعب المعتدل في العمل مما يفيد الجسم حيوية ونشاطاً ، وبنهه اطلب الغذاء والراحة ، وهما . ظهر ان مولدان للذة والسرور ، فانك اذا جلست على مائدة وأنت متعب طاوى البعان من

كفى أخلّة التي لم يكن عنده فيها حيلة وترك عليه في كل شيء من الأشياء موضع شغل وعمل وحركة؛ لما له في ذلك من الصلاح . لأنه لو كفى هذا كله حتى لا يكون له في الأشياء موضع شغل وعمل ، لما حاتته الأرض أشراً وبطراً ، ولبلغ به ذلك الى ان يتعاطى اموراً فيها تلف نفسه ؛ ولو كفى الناس كلما يحتاجون اليه لما تهاؤوا بالعيش ولا وجدوا له لذة . ألا ترى لو أن امرأة أنزل

---

الجوع بعد العمل ، شعرت بلذة وانتماش نظيمتين فتأكل بشهية واقبال وهذا مما يوجب هضم الطعام والاستفادة الكاملة منه . ولا كذلك الكاسل المستريح الذي لم يكن لديه ذلك الاقبال والحياة والنشاط في أعضائه ، فان الصحة الكاسلة لا تحصل الا بين التعب والراحة اذ بين العمل والاستجمام .

وقد قال الاطباء : ان ضرر التعب المفرط أقل من ضرر الكسل والبطالة ، كما أجمع علماء النفس على : ان العمل يهذب الاخلاق ويشرق النفس وبلغ بماره الحربة والاهتلال . ولا غرابة فان العقل السليم الذي يهتدى به الانسان الى مكارم الاخلاق وشرف النفس والحربة والاستقلال لا يوجد الا في الجسم السليم الذي يحصل هذه السلامة بالعمل والرياضة وترك الكسل ويكسب ذلك النشاط بالشغل والامل ، والى هذا العمل ودجوبه على المرء ، والى كونه جبلة ، سنة طبيعية اشار الامام (ع) بقوله : اعتبر يا مفضل باشياء ، خلقت لما رّب الانسان وما فيها من التدبير فان المراد من التدبير هنا هو تكليفه بالامل في تحصيل المآرب . وقد اقتضت الحكمة والتدبير ان لا يكسل المرء في تحصيل قوته ، واعداد غذائه بل عليه ان يعمل ويتعب لأجله ففي هذا العمل من الفوائد والمصالح ما لا يحصى : وفيه من انجاز ضروريات الحياة ما لا يستغنى عنها . تعود بمضها لنفسه وبمضها لغيره من ابتاه جنسه .

يقوم فقام حيناً حتى بلغ جميع ما يحتاج اليه من مطعم ومشرب وخدمة لتبرم  
بالفراغ ونازغته. نفسه الى التناغل بشيء ، فكيف لو كان طول عمره مكفياً  
لا يحتاج الى شيء ، فكان من صواب التدبير في هذه الاشياء التي خلقت  
للانسان ؛ ان جعل له فيها موضع شغل لكيلا تبرمه البطالة ولكنه عن تماطى  
مايناله ، ولاخير فيه ان ناله

أما الفوائد العائدة على نفسه فهي ، مثل التذقية الكاملة لجسمه وصيانة صحته  
وقايته من الامراض وكسب الراحة واللذة ، بمد التمدد والحصول على النشاط بمد  
التبرم والاضجر . ثم بمد ذلك كسب الاخلاق الفاضلة وتهذيبها مع صفاء النفس واداء  
الواجب الانساني والمائلي مما الى غير ذلك مما يوجب العمل ونبد الكسل وأما ما يعود  
منها على غيره من ابناء جنسه ، فهو على الاجمال عبارة عن ابعثل نتائج العمل الى غيره  
ليستفيد بها ، واكتساب نتائج غيره ليستفيد هو بها ايضا وبذلك يحصل العمران  
وتقام المدينة وتمم الالفة والوفاء وتنتشر الفضيلة وتدقيق الرذيلة الى غير ذلك من  
الامور الاجتماعية والعمرانية .

ونظراً لهذه الحكمة البالغة ، و اجراء لهذا النظام العالمي الحكيم فقد خلق الله  
تعالى الحبوب للطعام . ثم كلف الانسان طحنه وعجنه وخبزه ، لا عجزاً منه - وحاشا -  
من احضار الحبز كاملاً لتتذى كمحضور الماء للشرب ، ولكن ليعمل ؛ وخلق له الورد  
والصوف والقطن وامثالها لكسوته ، وكلفه بندفها وغزلها ونسجها ، وكان من الممكن  
ان يخلق الكسوة كاملة ليه دون تكلف ولكن ليعمل ؛ وخلق له الشجر لياكل  
ثمرها ثم كلفه بفسها وسيقها والقيام عليها بالانلقيح والناية والحني لاجاب تكليفه بذلك  
ولكن ليعمل ، وهكذا فقد خلق له العقاقير لأدويته والاستشفاء بها من امراضه ثم  
كلفه بلقظها وصنمها من خلط او طبع او غير ذلك ولم يكن كل ذلك بدون قصد وبلا

جسدي ، ولكن ليعمل ، وهكذا نجد سائر الاشياء على هذا المنوال والمثال : فظهر مما تقدم ان هذا العمل الانساني ، وتكاليف الخالق المخلوقين به هو من مصالحهم ومنفعتهم التي شاءت الحكمة اياها ، وانقضى اللطف الالهي الشامل لزومه . حتى كان العمل في الانسان جبلة ثابتة وخريزة لا يمكن التخلف عنها .

فتأمل واعتبر . كيف كفي هذه الخلة التي لم تكن عند الانسان فيها حيلة ولم يكلفه بامور لا صالح له فيها ، بل كلفه بالحمل والحركة الواجبين للحياة وفي هذا من البداعة والمصلحة لا ينفخ على كل عاقل اييب ، اذ لو تأمل رأى جلياً انه لو كفي كل هذا حتى لا يكون له في كل ما يحتاجه شغل ار عمل لما حمله الارض اثراً وبطراً وبلغ به من فراقه وبطالته ان يتعاطى امورا يكون فيها نلغه . وقد قال الشاعر :

ان الفراغ والشباب والجدوة مفسدة للفرد اي مفسدة

هذا ضرر الكسل والبطالة بالنسبة الى الانسان نفسه منفرداً ، اما اضرار عدم العمل بالنسبة للمجتمع فاكثر واكثر اذ لو كفي الناس كلما يحتاجونه لما تنهأوا بالعيش ولا استلذوا بالحياة ، وذلك انه لو لا العمل المتبادل ولا هذه التكاليف الحكيمة لما تكونت لهم اجتماعات وجماعات . ولما حصل من الجماعات شعوباً وقبائل ، لا تعارفوا بينهم بل ولما شيدت ممالك ولا اقيمت حكومة . ولا كانت حضارة ، ولا اكتسب علم ولا ظهرت صناعة ، ولا كانت روابط اجتماعية ومنافع متبادلة اقتصادية ، وبذلك تقدم القومات الضرورية لترقى الشعوب وتكوين الملل والدولة على توالي الزمان . فان الانسان مدني بالطبع ، والمدنية تحتاج الى عمل . فذلك كان العمل فيه جلياً طبيعياً بولد مع الانسان ويموت معه .

الا ترى لو ان انساناً نزل بقوم فاقام عندهم زماناً طويلاً مكفياً من جميع ما يحتاج اليه من أكل وشرب وخدمة ، أهل كان يصبر على ذلك ، ويخلد الى هذه الراحة ؟



كلا. بل كان يتبرم بذلك الفراغ ويضجر من تلك البطالة ولنزعته نفسه الى المشاغل  
بشيء من الاعمال ، لأن نفسه تصيح كأنها قد ظرفت غريزة من غرائزها الفطرية او  
طبيعة من طبيعتها الجلية . هذا والمدة قصيرة والايام ممدودة ، فكيف به لو كان  
طول العمر لا يشتغل بشيء حيث يكون مكتئباً من كلاً يحتاج خلاله الى البطالة وعدم  
الاشتغال .

إذا فقد تحقق من هذا ، انه كان من الصواب والحكمة والتدبير ان خلق  
الانسان عاملاً محتاجاً الى العمل لانجاز ما ربه ومقاصده بنفسه . لكيلا يبرمه الكسل  
وتضجره البطالة . ويتمال بالعمل والشغل مالا يصل اليه الا به سبباً اذا كان طموحاً  
لطلب الرقعة والراتب العالية والرقى والتفوق ، ثم لبعده عن كلاً لاخير له فيه انزله  
بالجدة والفراغ والغرور فسيبعثه من منعم .

## الخبز والماء رأس معاش الانسان والحكمة في ذلك

قال عليه السلام : واعلم يا فضل : ان رأس معاش الانسان وحياته الخبز والماء ، فانظر كيف دبر الامر فيهما ، فان حاجة الانسان الى الماء . اشد من حاجته الى الخبز ؛ وذلك لان صبره على الجوع أكثر من صبره

---

لقد اجمع علماء وظائف الاعضاء ( الفسيولوجيون ) على ان الماء هو العنصر الاساسي في تكوين الاجسام الحية وتركيبها مطلقاً من حيوان ونبات ، وانه يدخل في خلايا جميع الاجهزة والمصارات والسوائل والدم وغيرها بدون استثناء ، وقد قدر فيها باكثر من ٧٠ ٨٥ ٪ لذلك فقد أصبح الماء ضرورياً في الحياة وللحياة قال تعالى وجعلنا من الماء كل شيء حي - وهو احد العناصر الاربعة الاولية في الحلقة اعني بها - الماء والنار - والهواء - والارض - فان كل مخلوق مركب من هذه العناصر على اختلاف نسبة اجزاء التركيب فيه . اذا فلا غرابة اذا كان الماء هو رأس معاش الانسان وعلى هذا الاساس فقد اقتضت الحكمة ان يكون مبدولاً لا يشترى ؛ سهل المثل لا يحتاج في طلبه الى كافة ومشقة . فهو يقطى ثلاثة ارباع سطح الارض ، مضافاً الى ما في اجوافها لاعاشة الاحياء منه بل وحتى الهواء لا يخلو من مزيج به .

والماء مادة لا تطعم له ولا رائحة ولالون يوجد في الطبيعة على حالات ثلاث :

اما - ثلجاً او غازاً او صلباً ، وله حسب ارادة الحكمة والتدبير دورة عظيمة في العالم

على العطش ، والذي يحتاج اليه من الماء أكثر مما يحتاج اليه من الخبز ،  
لانه يحتاج اليه لشربه ووضوئه وغسله وغسل ثيابه وسقى العامة وزرعه ،  
فجعل الماء مبدولاً لا يشتري لتسقط عن الانسان المؤنة في طلبه وتكلفه ،

---

العالم بدورها بمختلف الحالات والاطوار حتى يعود الى مركزه الاول . يعمل في  
دورانه هذا من المصلح والمنافع للانسان ما يمجز عن ادراكها العقل المدرك ويكفل عن  
بيان بعضها اللسان الفصيح . ان الحرارة اللبنة عن اشعة الشمس تبخر المالحى البحار  
وفوق سطح الارض ، فينتشر هذا البخار بين احزاء الهواء ثم تصاعد معظمه الى اعلى  
طبقات الجو ، لأن كثافة بخار الماء أقل من كثافة نفس الهواء .

ثم ينتقل هذا البخار المائي مع الهواء المتحرك من محل الى آخر بتأثير الرياح  
وانثارة لهواء ، حتى اذا صادف انخفاضاً في حرارة الجو ، تكثف وتحول الى قطرات  
دقيقة سائلة من الماء ، فيحصل من ذلك الضباب والنيوم ، فان تجمعت هذه القطرات  
الذقاق كونت قطرات كبار ، فيثقل حملها على الهواء ، وتسقط على الارض مطراً أو برداً  
وهذا المطر المتساقط اذا كان كثيراً اسال على الارض فاحدث السيول ، وهذه السيول  
ينفذ معظمها الى باطن الارض بواسطة المنخفضات والثقوب والشقوق فيسير هذا  
الماء في الجوف حتى اذا صادف منقداً من الارض رخوياً ، خرج منه الى ظاهر الارض  
بصورة ( ينابيع ) و ( عيون ) فتسبح مياهها على سطح الارض ( جداول ) ثم تتجمع  
هذه الجداول فتكون ( انهاراً ) وتجرى هذه الانهار بعد ان تسقى الانسان والحيوان  
والنبات ، الى البحار وهي مركزها ومصدرها الاصلي ، وهكذا دواليك يعود الماء  
فيتبخر من البحار الى الفضاء ويدور دررته الطبيعية الاولى ثم يرجع الى البحر ،  
فسبحان الحكيم .

وجعل الخبز منمعدراً لا ينال الا بالحيلة والحركة ليكون في ذلك للانسان شغل يكفه عما يخرج به الفراع من الاشر والبعث الا ترى ان الصبي يدفع الى المؤدب وهو طفل لم تكمل ذاته للتعليم ، كل ذلك ليشغل عن اللعب واللهو للذين ربما جنيا عليه وعلى أمه المكرمه العظيم ، وهكذا الانسان لو خلا

هذه بعض مصالحة العالمية العامة . أما منافعها ومصالحها الخاصة بالانسان ، فنها ان الجسم انسانا كان او حيوانا او نباتا يحتوي على املاح كثيرة فاذا لم يكن هناك ماء لتذوب فيه هذه الاملاح ، فان الانسجة ستفقد منمرأ هاماً من عناصرها الاساسية وحيث ان الدم هو الذي يحملها معه اليها ، فاذا لم يدخل الماء في تركيبه عسر عليه حملها الى الانسجة وبذلك تنقص التغذية بدون تلك الاملاح ، على ان الدم نفسه يتركب من املاح الكالسيوم والفسفور والمغنيزيوم التي لاخفى للجسم عنها وكلها تحتاج الى الماء في ادائها واسالتها الى مواضعها اللازمة . مضافا الى ان الدم يشتمل ايضا على الكريات الحمر والكريات البيض ولكل منها وظيفة جليلة مهمة ، لا يمكنها تأديتها الا وان تسبح في سائل الدم ، فاذا لم يكن في الدم ليكون سائلا عاقها ذلك عن تنفيذ المهمة .

ومن منافع الماء للجسم خاصة ان جهاز الهضم لا يعمل اذا لم يكن ماء ياكل به الهضم ، كما ان المواد الضارة المختلفة من عمليات الهضم لا يمكن ان تذهب الى الخارج اذا لم يتماطلى الانسان والحيوان شرب الماء لتخرج بالبول او العرق او التبرز ، وهو ايضا ضروري لتنظيف الجسم ولاغسسال العضو وغسل الثياب والادواني الى كثير أمثالها ، مضافا الى ما فيه من شفاء جملة من الامراض شربا وحققنا الى ما لا يحصى غيرها من النافع . هذا هو الماء ، وهذه أهميته في الحياة ، فهل من عجب اذا صار رأس العاش وصار متداولاً .

من الشغل لخرج من الاشر والعبث والبطر الى ما ينظم ضروره عليه وعلى من  
قرب منه ، واعتبر ذلك بمن نشأ في الجدة ورفاهية العيش والترفه والكفاية  
وما يخرجه ذلك اليه .

اما الخبز : فانه كذلك قوام البدن ورأس معاش الانسان ، لاغني له عنه بل  
هو المنظم الطبيعي لفدائه . ويمكننا ان نقول ان الانسان حيوان نباتي أكثر منه لحي  
اذ لو نظرنا حالتنا الطبيعية لعلمنا اننا لم نخلق الا لأكل الغذاء النباتي دون سواه بدليل  
ان الصانع الحكيم لم يخلق فينا ما خلقه لآكلة اللحوم فليس لنا انياب الوحوش ولا  
متاسر الكواصر . وبديهي ان الحكمة الالهية كانت قد أحسكت كلما صنعت ، وجعلته  
مناسباً لما خلقت ، واذا كان الله تعالى كن قد خلق لكل كائن حي استعداداً خاصاً  
لنوع من الغذاء فان لنا ان يحزم بانه سبحانه خلق الانسان نباتياً صرفاً .

وعلى هذه القاعدة صار الخبز من قحح كان او من شعير رأس معاش الانسان  
وقوام حياته ، على انه لا ينافي هذه القاعدة ان يأكل الانسان اللحم احياناً مطبوخاً  
كان ام نيئاً فقد خلق الله تعالى له الانسان القاربة للانسان في الجملة وعلى قدر حاجته  
القلة لأكل اللحم . ولذلك فقد جاء النهي عن الاكثار في شرع الاسلام . كما ورد  
في الحديث لانجملوا بطونكم قبوراً للحيوانات . وكما جاء عن الاطباء : ان اكثار  
الانسان من اكل اللحم يحدث فيه حالة سبعية ويميل الى الاقتراس والانتماء ودواؤه  
ترك اللحوم والاكثار من النباتات .

وهنا اي في الخبز مطلب جليل يجعل بنا نذكره . وذلك ان القمح والشعير  
مكونان من جزأين لا يتشابهان في تركيبهما وهما القشرة واللب . فان القشرة منها  
أكثر تغذية من اللب . لأن المواد الآزوتية والسكرية والنشوية والدهنية والمعدنية  
المطروبة للجسم في تغذيته هي في القشرة او فر منها في اللب . لذلك ترى الاطباء على

الاعلب تنصح الناس ومرجعهم بمدم اخراجها ونزهها من الطحين بمعنى ان الخبز يجب ان يصنع منها بكلا جزئيهما من قشر ولب ولا يتخلل لأن الفائدة الحاصلة في القشرة من الطاقة الحرارية والاملاح والنباتيات الكائنة فيها عظيمة لا تقدر . كما ان القشرة ايضا منافع اخرى مثل رفع الامساك الذي قد يحصل من الطحين المنخول وكوقاية الجسم من بعض الامراض كتصلب الشرايين والبول السكري والسرطان واضرابها ومنها ايضا ان النخالة تمتص كمية من الماء ثم تعجزها في الامعاء ، لتكوين الكتلة البرازية بها رطبة سريعة لتسامدها على تبيبة الحركة الموجية الدودية التي يسهل بها انقباض العضلات في الجزء السفلي من الامعاء ليتزلق ما تحتوي عليه من الفضلات الى الخارج .

هذا هو الخبز وهذه منافعه ومصالحه . مضافاً الى أنه مركب من نفس المواد والعناصر التي يتركب منها بدن الانسان . لذلك كان انسب الاغذية التي تقوم مقام ما تحل منه ، فلا عرابة اذا صار رأس معاش الانسان ودعامة كيانه الجسمي .

ومن كل هذه المقدمة عرفت الحكمة البالغة في جعل الماء مبدولاً سهل التناول والخبز . نذراً لابتنال الا بالهيلة والحركة . وقد اختصر الامام (ع) فوائده وحكمته بقوله : ليكون للانسان في ذلك شغل يكفه عما يجرحه اليه الفراغ من الاشر والعبث الخ ولاجل الابضاح مثل له (ع) بالصبي الذي يدفع الى المؤذب وهو طفل لم تكمل ذاته لتعلم ، والمراد من ذلك ان العمل والشغل كما ذكرنا سفة طبيعية ، وغريزة تولد مع الانسان وتموت معه كما ان الاشر والعبث جبلة اخرى فيه تميل اليها النفس أكثر من ميلها الى السلام والهدوء فهي - النفس - اذا خليت وطبها ولم يمنعها منع من تأديب او عمل مشغل . سهل عليها الانحدار الى هوة البطش والفساد ، وأسرت الى الانفلات من قيود الانسانية الصحيحة . لذلك ترى الطفل يدفع الى المؤذب ليعوده على فعل الجليل ويبعده على الفراغ المؤذي الي ما يجنى عليه وعلى أهله من المكروه العظيم

وليقوى فيه ناحية العمل الذي يجعله لا ينفلت فيعود الى طبيعته الاصلية عند الفراغ والبطالة أما اذا كبر ولم يؤدب ولم يعود على العمل وفعل الجليل ولم يكن له عند ذلك مانع يمنعه او مؤدب يخشاه ، فلا بد أن يخرج ذلك الى الاثر والعبث والبطر والفساد ، وهذا بالضرورة ينتج مايعظم ضرره عليه وعلى غيره من قريب او بعيد .

لاجل هذا وغيره كان تعذر تحصيل الخبز الا بالعمل والحركة من مصالح الانسان ونفعه بل هو من صواب الحكمة والتدبير بل لا ينبغي عقلاً وحكمة ان يكون غير هذا ، ثم اراد الامام (ع) ان يوضح الامر باكثر من ذلك فقال (ع) واعتبر من كان في الجدة (الثروة) ورعاية العيش الخ فإنه يصيح ولا مانع له من السير وراه ميوله ورغباته النفسية مع وجود المقتضى من الفراغ والثراء والنفس الامارة ، وهو لم يأن ان الانحدار الى منخفض المواقف النفسية أسهل بكثير من الارتقاء الى مرتفع العقل والانسانية الصحيحة وقد قال الشاعر :

ان الفراغ والشباب والجدة مفسدة للفرد اي مفسدة

فاعتبر وفكر وقل معي سبحان الحكيم المدبر الذي خلق الانسان بحكمته ودبره بلطفه وهياً له كل ما يصلحه تكرماً وجوداً

## الحكمة في عدم تشابه الناس بعضهم لبعض

### خلاف الحيوان

قال عليه السلام: واعتبر لم لا يشابه الناس واحداً بالآخر ، كما يشابه الوحوش والطيور وغير ذلك ، فانك ترى السرب من الطيابة يشابه حتى لا يفرق بين واحد منها وبين الآخر وترى الناس مختلفة صورهم وخلقهم حتى

---

ان آيات المبدع الحكيم ، شواهد وجوده ووحدانيته لم تزل ولا تزال ظاهرة في كل جزئي من جزئيات مخلوقاته ؛ بل في كل ذرة من ذرات هذا العالم علوية كانت ام سفلية وكأها شهادة ناطقة بوجوده ووحدانيته. ولكن ظهور هذه الآيات لدى الانسان يختلف باختلاف مداركه وتفكيره ، وبتفاوت بتفاوت عقليته وبصيرته. فكم من حكمة خفيت على ذوي العقول الضئيلة لقصر عقولهم عن ادراكها ، وكم من آية واضحة جليلة لم يرها الغافلون لجهلهم ولان نظرم اليها كنظرهم الى سائر الامور العادية دون ان يفكروا فيها ليعتبروا باسرارها والحكم المودعة فيها . ولكن العالم الواعي يفكر باحثاً من خلقها متأملاً في صنعها مدقفاً في علة ايجادها ، أمل خلقت بمجرد الصدفة او الواقع ، هي ارادة ولغاية مقصودة من قبل موجد عالم قادر حكيم ، ليبلغ بذلك لب الحقيقة والواقع الموقول . وعلى هذا قيل : تفكر ساعة خير من عبادة سنة او سبعمائة سنة . اذا عقل الصحيح من عالم معتبر يعرف كيف يفكر وبماذا يفكر ، ولماذا يفكر . لجدير حقاً بان يكون تفكيره عبادة ، بل عين العبادة المطلوبة : فان الله تعالى : ( ما خلقت



لا يكاد اثنان منهم يجتمعان في صورة واحدة ؛ والعلّة في ذلك ان الناس يحتاجون الى ان يتعاونوا باعيانهم وحلامهم ، لما يجري بينهم من العاملات ، وليس يجري بين البهائم مثل ذلك فيحتاج الى معرفة واحد منها بعينه وحليته ، الا ترى ان التشابه في الطير والوحش لا يضرها شيء ، وليس كذلك الانسان ، فانه ربما تشابه التوأمان تشابها شديدا فتعظم المؤنة على الناس في معاملتهما حتى يظن أحدهما بالآخر ؛ ويؤخذ أحدهما بذنب الآخر ، وقد يحدث مثل هذا في تشابه الاشياء فضلا عن تشابه الصور . فن اطف

الجن والانس إلا ليعبدون ) أي ليعرفون الله معرفة تأتي من طريق الفكر الصحيح والادراك السليم ، فان من لم يفكر لم يعرف ، ومن لم يعرف لم يعبد ، ومن لم يعبد فقد خالف الحكمة التي خلق لاجلها لذلك كان الامام (ع) بأمر المفضل بن عمر في املائه هذا عليه بالتأمل والاعتبار ويحثه على التبصر والتعقل في كل هذه الامور ، ليرتفع بتأمله واعتباره الى معرفة الوجدانية والافرار بالالوهية . أماني هذا الفصل فانه عليه السلام يأمره بالتفكير في أبسط شيء يراه الرائي والذي ينظر اليه فيلتفت بالفطرة الى حكمته وما اودع فيه من الاسرار العجيبة والمصالح العامة والخاصة فيقول (ع) : اعتبر لم لا يتشابه الناس الخ أي فكر في انواع الموجودات من انسان وحيوان . واعتبر بما يميز صور الناس والسنتم وألوانهم ترى الامور العجيبة والمصالح الكثيرة . فتجد الانسان وهو نوع واحد كيف تمايزت أفراده وأشخاصه في الصور والهياث واختلفت في الملائم والسمات مع اتفاقها في كل الاعضاء والتركيب . ولا كذلك غير الانسان من الوحوش والطيور فانك تجد السرب من الظباء مثلا تتشابه أفرادها تشابها تاما حتى لا تفرق بين الواحد منها والاخر . ولكن الناس مختلفا في صورهم وخلقتهم حتى لا يكاد اثنان منهم يجتمعان

بعباده بهذه الدقائق التي لا تكاد تخطر بالبال حتى وقف بها على الصواب ،  
 الامن وسمت رحمة كل شيء . فلورأيت تمثال انسان مصورا على حائط  
 وقال لك قائل ان هذاظهر هنا من تلقاء نفسه لم يصنعه صانع ؛ ا كنت تقبل  
 ذلك منه ؟ بل كنت تستهزي . فكيف تنكر هذا في مصور جاد ، ولا  
 تنكره في الانسان الحى الناطق .

في صفة ظاهرة واحدة . وفي ذلك من الحكمة والمصلحة ما لا نحصى على كل من تبطل  
 وتأمل . وذلك لان الناس يحتاجون بالفطرة وناموس الطبيعة البشرية الى ان يتعارفوا  
 فيما بينهم باعيانهم وحلام . وذلك بسبب مايجرى بينهم من المعاملات التي لايجري بين  
 افراد الحيوان سواهم . ومعلوم ان المعاملة بين كل اثنين تحتاج الى ان يعرف احدهما  
 الآخر بعد الفارفة ولولا ذلك لضاعت المعاملة ولو فنت الامور الاجتماعية ذلك لعدم  
 تمييز التعامل معه بواسطة تفاق الصور وتشابه الهيئات والحالي . لذلك فقد اقتضت  
 الحكمة ان لا تشابه افراد الانسان لتلك الغاية ، ولا كذلك الحيوان الذي لا يحتاج الى  
 المعاملة مثل الانسان ، ولاجل ان يتضح ذلك عندك انظر الحاملة بين التوأمين من  
 الانسان فانه ربما يكونان متشابهين تشابها تاما بحيث نحفى معرفة احدهما من الاخر  
 لدى الغافل والبليد فتعظم المؤنة حينئذ على الناس في معاملتها حتى ايعطى احدهما  
 هوض الاخر ويؤخذ احدهما بذنب الآخر .

ولهذا كان تمايز الصور في الانسان من اجل النعم التي لا يمكن اداء شكرها  
 كما يجب اذ فيها من المصالح والفوائد الاجتماعية والشخصية ما لا يحصى ولا تعد .

فانظر وتأمل في هذا الامر البسيط لدى النظرة الاولى والامر العظيم الجليل بعد  
 التأمل لتعرف من هو الذي لطف بهذه الدقائق والحكم السامية التي لا تكاد تخطر على

بال ولا تمر بخيال ؟ أليس هو الخالق الواحد القوي وسمت رحمة كل شيء وعمت  
الطاقة كل حي .

وان كل ذلك بل بمضء كاف لأن يكون دليلاً واضحاً وشاهداً صادقاً على  
احدته وكال قدرته . والآن اطلب اليك الجواب منصفاً عن قول من يقول للك من  
تمثال انسان مصور على الجدار : أنه ظهر هنا من تلقاء نفسه ولم يصنعه صانع ولم ينقشه  
مصور . أهل كنت تقبل منه ؟ اللهم لا بل كنت تهزأ به وتعده جاهداً او ممانداً  
فكيف تنكر ايها المبرور هذه الصدفه في تصوير جواد لا حياة فيه ولا حس اذ لم تنقله  
ولم يقبله وجدانك ، ثم لا تنكرها في الانسان الحي الماقل الناطق والمخلوق العجيب  
الذي . بالحكم والاسرار والعبير والابداع .

قاتل الله الجحود والعدا، وتعالى الله عما يقوله الجاحدون الجهلاء علواً كبيراً .

# لماذا تنمو ابدان الحيوان الى حد ثم تقف وهي تغذى ابدًا

قال عليه السلام . تأمل لم صارت ابدان الحيوان وهي تقتنى  
ابدا لا تنمو بل تنتهى الى غاية من النمو ثم تقف ولا تتجاوزها ، لولا  
التدبير في ذلك . فان تدبير الحكم فيها ان تكون ابدان كل صنف منها

---

ان كل موجود في هذا العالم واقع بين عديمين . يتدي عن عدم وينتهي الى  
عدم ، وهذه المسافة التي يسير فيها الوجود من عدم الى عدم تسمى (عمرًا) . ولوجود  
في غضون عمره أدوار وأطوار . من ظهوره الى عالم الوجود ، ثم تدرجه نحو الملوحة بما  
خطه له الطبيعة الخلقية وفرضته له الحكمة الالهية ثم وقوفه في القمة ثم هبوطه تدريجياً  
نحو ساحة عدم كما ارتفع اربلا . وكذلك الانسان الذي هو احد تلك الموجودات  
والكائنات الحية . فانه قد أتى عليه حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً ، ثم ابتدأ بهد  
العدم جنيناً في قرار الرحم المسكين من منى يمى ، ثم تطور هناك حتى ولد طفلاً رضيعاً  
ثم كبر منرعماً ، ثم شب صبياً ، ثم بلغ عللاً ثم كان شاباً . ثم صار رجلاً كاملاً ، ثم  
كهنلاً هادئاً ، ثم شيخاً عاجزاً ، ثم هماً هماً حتى انتهى الى اجله المحتوم او المحزوم ،  
اضى عاد الى اللحد كما كان من العدم ، ثم اعلم ان له في كل دور من هذه الالذارات التي  
نمر عليه في ميدان الحياة حالات خاصة في بدنه ومشاعره وعقليته ، كما ان له تغييرات  
تطرأ عليه حسب اطوار نموه وتزايد جسمه وعقله وان لكل حالة من تلك الحالات  
المذكورة حداً تقف عنده ونهاية لا تتعداها حسب الناموس الطبيعي العام وسنة الله في

على مقدار معلوم غير متفاوت في التكبير والصغير ، وصارت تنمو حتى  
تصل الى غايتها ثم تقف ثم لا تزيد ، والغذاء مع ذلك دائم لا ينقطع ، ولو

خلقه وحلقته فان الانسان يولد وهو لم يشعر بصوى حاجته الى الغذاء وبالالم ، ثم  
يستطيع ان يجبو على الارض مع حصول الارادة والرغبة له في بعض الاشياء ، ثم يصح  
مبغزاً عارفاً ببعض الاشارات ، ثم يحصل في جسمه النمو وفي عقله الانتباه تدريجياً ثم  
يتم انتباهه وهذا هو الدور الذي يجب فيه التعليم والتثقيف ومدته من السنة اثنان الى  
الرابعة عشر اذ فيه تثبت كل بادرة واردة في ذهن صاحبه لأنه كالصحيفة البيضاء  
ينقش فيها الودان او الربون كل شيء خيراً كان او شراً ، وبهذا يكون هذا الدور  
اساساً لبناء مستقبل الطفل وحياته الفردية والاجتماعية وبهذا الدور يجب فهمه مكارم  
الاخلاق وفواضل الصفات وتمويده على عمل الخير وكما يصلح انسانيته ويقوم حياته  
فاذا بلغ الخامسة عشر ( وهو سن البلوغ ) الى الحادية والعشرين ظهرت فيه صفات  
الفرور والزهو وتبطلت فيه الاماني وحس الذات ، ورغب الى اشباع يوله وشهواته  
ثم يجي . بعده سن الشبية الى السادسة والعشرين وهو سن الميزات الشهوانية والشق  
والطيش والتسرع في الامور والحاسة وأمثالها ، لأن فيه تنقد الحرارة ويبلغ المجموع  
العضوي فيه ذروة كماله ونشاطه . ثم يأتي بعده سن الرجولة الى الخامسة والثلاثين وهو  
دور التمقل والتمتع الطبيعي حيث تنفع فيه المدارك وتفتق المشاعر ويعرف الانسان  
واجبه في الحياة ويعرف كيف يتجنب الطواري . ويجلب النفع بمجان ثابت وعقل راجح  
وبهذا السن يكون رجلاً يصلح لأن يكون رب اسرة وذامكانة في المجتمع ، ثم يأتي سن  
الوقوف او الثبات الى الثانية والاربعين لأن فيه تبلغ الوظائف العضوية أقصى نهايتها  
وتصل الخصائص العقلية غاية حدها لتقف عند نهايتها المفروضة لها في الحلقة ، ثم يجي .  
سن الكهولة ويسمى ( سن التمقل والهدوء والطأنينة ) الى التاسعة والاربعين . ثم سن

كانت تنمو نمواً دائماً ثم لعظمت ابدانها واشتبهت مقاديرها حتى لا يكون  
لشيء فيها حد يعرف .

المهبط الى السادسة والخمسين ، ثم من الشيخوخة الى الثالثة والسبعين ثم الشيخوخة  
الثانية الى الخامسة والسبعين ، وبالاخير من الهرم الى التسمين وفي النهاية (من عدد  
الاجل ) الى العهد والمدم .

هذا نمو الانسان في أدوار عمره .

أما النمو الغذائى القدي بشارك فيه الانسان والحيوان فهو ايضا يختلف باختلاف  
هذه الادوار ، فان الغذاء الذي يتغذى به كل منها ليس الا ليصير بدل ما يتحلل  
من يديها وان يوجد الطاقة الحرارية التي بها تكون الحياة فيها . وعليها يسدور  
عمل الاعضاء واداء وظائفها في الجسم .

وقد قرر اطباء الساق كبن سينا واضرابه : ان هذه الحرارة الفريزية تجعلها  
رطوبة فريزية في البدن وان لها كيفية وكية اي حدة ومقدار ، فهي في الاطفال  
والصبيان الى سن الشباب تعمل في هضم الغذاء بكيفيتها وبكبتها ، فتوجد منه بدل  
ما يتحلل من الانسجة وزياد فيزداد النمو الجسماني لذلك ترى الطفل والصبي والشباب  
ياكلون كثيراً ويزداد نمو أجسامهم كثيراً . وذلك لوجود الفاعل وقبول القابل أما  
اذا بلغ سن الوقوف وهو السن القدي تمتد فيه الحرارة كما وكيفا اي مقدار أو وحدة  
فان الغذاء ايضا يمتدل مقداره أعنى يكون مقدار الغذاء مطابقاً لمقدار ما يتحلل من  
البدن دون زيادة أو نقصان ولذلك يقف النمو ، لكن بعد هذا السن يأخذ النمو  
بالمهبط والنقصان ، وان كان ذلك قد يعطي عند البهض وقد يصرع في الآخريين  
حسب المحيط والبيئة وكيفية العيش غير ان السبر الطبيعي يقتضي في كل بدن ان  
ينقص نموه بعد سن الوقوف وذلك الامور .

(١) جفاف الرطوبة الفريزية الحاملة للحرارة بسبب هواء المحيط الخارجي  
وسبب نفس الحرارة الفريزية من الداخل .

(٢) مساعدة الحركات البدنية لها في التجهيف .

(٣) عجز الطبيعة البدنية عن مقاومة فينك السبيين .

(٤) حدوث الرطوبة الزائدة غير الطبيعية التي يوجد لها ضعف القوى عن

المضم التام . كل هذه الاسباب مضافاً الى هبوط حدة نفس الحرارة الفريزية والطاقة  
الحيوانية ، هي التي توجب نقصان النمو وبلاخير مدمه .

والى هذا كله أشار الأمام (ع) بقوله : تأمل لم صارت أبدان الحيوان الخ

الى ان يقول (ع) : لولا التدبير في ذلك بمعنى انه لولا هذا النظام للثقل والحكمة

المقصودة والصلاح الملحوظ لما كان الامر كذلك . فان الحكيم قد اقتضى تدبيره

وشاءت حكمته ان تكون أبدان كل صنف من اصناف الحيوان والانسان على مقدار

معلوم وحجم معين . لذلك كانت تنمو الى حد معين ثم تقف ولا تتزايد . مع ان

الغذاء في جميع ادوار العمر لم ينقطع عنها بل هو مستمر على الدوام وقد كان هو السبب

في النمو قبل الوقوف ولكن الحكمة في ذلك انه لو كان النمو مطرداً مستمراً لأخذت

الابدان في مدة العمر بالتزايد حتى تمظم الاجسام ونشبه للقادير ، فلم يكن لها حد

يعرف ، أعني يكون الانسان غير عارف مثلاً بما يميأه لنفسه من دار وثياب وأمثالها

من الاوازم التي تنبغي له عند كبر جسمه لتقي لانهاية له .

وهذا بالطبع مما يخجل بالنظام البشري والسير الطبيعي فسبحان الخالق من حكيم

# حكمة ثقل اجسام الانس خاصة عن الحركة

## وجفاء الصناعات الدقيقة

قال عليه السلام : لم صارت اجسام الانس خاصة تنقل عن الحركة  
والمشي ، ونجفوا الصناعات اللطيفة ؟ الا لتمظيم المؤنة فيما يحتاج اليه الناس  
الملبس والمضجع والتكفين وغير ذلك .

المراد من التثاقل عن الحركة والمشى هو عدم الاقتدار على المشى الكثير والحركة  
القوية المجهدة للانسان خاصة دون غيره . والمقصود من قول الامام (ع) ( خاصة )  
اخراجاً ليجن فقط من الاتصاف بهذه الصنعة ، لأن الجن خلقوا وهم يستطيعون اجراء  
الاعمال الشاقة والسهر البعيد والسهر على الصناعات الدقيقة المتعبة دون اى تعب او  
اجهاد نفس خلافاً لنوع الانسان في قبالمهم .

والحكمة في خبايقه متشاقلا عن الحركة تعسر عليه الاعمال الشاقة والصناعات  
اللطيفة ، الدقيقة هي ان ذلك مما يوجب ان تكون المؤنة عليه عظيمة والكلفة كثيرة :  
وهذا مما يجمله محتاجاً لمساعدة غيره ومعاوضة آخر سواء في احضار لوازمه من ملبسه  
ومأواه ونهيشه مضجعه ، وغذاء وامثالها من ضروريات الحياة وواجبات العيش . وهو  
بالطبع مما يضطر كل صنف من اصناف الانسان بان يقوم به من الاعمال المطلوبة  
حسب امكانه ورغبته في ذلك ، وان يكون ذلك العمل آزاء عمل آخر من غيره ،  
ازاء مال من فرد آخر ، او ازاء مساعدة اخرى من هذا القبيل ، وكل ذلك بمشبه



على الجرى في عمله والاستمرار على اشتغاله . ويبدعي ان هذا التبادل في الاعمال  
 والمصالح مما يوجب التعامل الفردي بين الافراد والمساعدات الاجتماعية في المجتمعات  
 ومن هذا نحدث المعامل وتسير التجارة وتكثر المهن والصناعات . فتعمر البلاد وتبني  
 المساكن والحلات وتزداد الحركة الحيوية فاذا حصل ذلك كثرت الحاجات ( والحاجة  
 ام الاختراع ) فتظهر المخترعات والكشوفات طلباً لتسهيل الاعمال على الانسان .  
 وهكذا تتم الحضارة وتنظم المدينة وتفضل العقول بالتجارب ومرور الحوادث  
 المختلفة فيصبح الانسان بذلك مالكاً للعالم بمفقه سيد ساير المخلوقات بتدبيره .  
 ومن أجل ذلك اقتضت الحكمة في خلق الانسان ان يكون عاملاً بطبعه لا بألف  
 البطالة ولو حصلت له لجزع وتبرم منها . وان دامت بطرو بني ، وهذا لم يكن  
 من صالحه .

فانظر الى ما أراد الصانع الحكيم من المصالح والمنافع بهذا المخلوق الجليل لهذا  
 المخلوق العظيم . اي بهذا النشأ في حركات الانسان وسيره وبمفاته للصناعات الدقيقة  
 العظيمة ليصل الى الكمال الانساني المطلوب والمقصود من الخلقه ، ولتسير الحياة سيراً  
 تمبر به الارض والنفوس ولا كذلك اجسام الجن الاشداء الاقوياء الذين لا تنقل  
 عليهم الحركات وان شقت ولا يشقون من كل صناعة وان دقت او لطفت .

وهنا يحسن بنا ان نذكر شيئاً عن الجن وايات وجوده . فان قسماً كبيراً من  
 الناس لا يعترفون بهم بل يعدون الكلام عنهم ضرباً من الخرافات المضحكة والخيالات  
 التي لا تمت الى اصل ولا ركن الى قاعدة معقولة . وما ذلك الا لأنهم لا يؤمنون الا  
 بالحواس ولا يوقنون الا باللمس . كأن عقولهم في اعينهم ، بل لا يستندون في  
 اعتقادهم هذا الى عقيدة اودين ولا يعتبرون الكتب السماوية اذ لم يصدقوها ولو حاسبنا  
 هؤلاء المنكرين حساباً عقلياً او حسيماً . لا عرفوا بان الناس من جميع الملل والنحل

محمون على وجود عالم غير منظور ، ولابد من الاعتراف بان له سكانا غير منظورين كما أنا إذا قطعنا بان اكل شيء ، نقيضاً أو ضداً فلا بد بان نقول ان اهلنا المنظور هذا ضداً ايضاً وهو عالم غير منظور ، وعلى هذا نقول كما اننا نعيش نحن في عالمنا فكذلك كان لذلك العالم من يعيش مثلنا فيه غير انا لا تراه كما لا تراه عالمهم ولم خصا بهم ومزايا كما ان لنا خصائص ومزايا .

إذا فما المانع من ان يكون الله تعالى خلق غير هذا الانسان يعيش في الارض كما يعيش الانسان ، وبعد الله تعالى ويسبحه كالانسان ، وقد قال تعالى : ( وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون ) .

هذا مضافا الى ما أقرت به بعد أن أتبعته علماء الغرب وفكرت فيه فلاسفتهم وبعد أن بحثت في الروح وتحضيرها وبعد كشفهم عن العالم الروحاني غير المنظور وبعد مسكالتهم للجن ومعرفة اسرارهم بكل ما اوتوا من فطنة وذكاء وعبقريه .

فان قلت : ان القطع بان لكل شيء ضداً إنما هو في مرحلة التصور لاني مرحلة الوجود الخارجي ولذلك اذا وجد أحد الضدين لا يلزم منه وجود الآخر وعلى ذلك فانقطع المذكور أما يثبت لنا امكان وجود عالم غير منظور لا وجوده بالفعل على ان هذا ليس من التضاد الاصطلاحي فان العالم المنظور ايس ضداً للعالم غير المنظور لأنها موضوعان مختلفان ، ولذلك فلما منع من وجودها معاً والضدان لا يوجدان معاً .

قلنا : ان الوجود ممكن والدليل على ذلك ان المنظور وغير المنظور صفتان متضادتان للعالم فاذا أمكنت أحدهما أمكنت الاخرى لأن المتضادين متكفلتان من حيث الامكان ، والمنظور ممكن لأنه واقع . فاقباله ممكن ايضاً . فاذا كان ممكننا وجب التصديق به لاسيما بعد أن اخبر الله تعالى عنه في القرآن بقوله تعالى : ( قل اوحى إلي انه استمع نفر من الجن فقالوا انا ممعنا قرآنا نجيا يهدي الى الرشاد فآمننا به وان

فشارك ربنا احدا - الى آخر (سورة) واخبر عنه الانبياء المعصومون وأجمعت الملل والنحل على وقوعه .

وعلى هذا قبل لمقلدي الغرب والذين لا يعترفون الا بالحس الظاهر مناص من الاعتراف بوجود الجن وانهم خلق غير مرئي وانهم ارواح تعقل وتزى وتسمع وتتكلم وتعمل الاسرار .

ولقد عرفوا الجن بتماريف كثيرة جلها متقاربة المعنى متباينة الرمي : قال بعضهم : انها جواهر قاعة بنفسها بمضاهيرة وبمضاه شريرة . وهم قادرون على الاعمال الشاقة التي يهجز عنها البشر . يسمعون ويبصرون ويعقلون .

وقال آخر : انها اجسام لطيفة مختلفة في الماهيات ، متساوية في الوصف المرضي تقدر على التشكل والافعال الشاقة بدليل قول عفریت من الجن قاني سليمان اع لما طلب عرش بلقيس ) قال عفریت من الجن : انا آتیک به قبل ان تقوم من مقامك واتى عليه لقوى امين ) وفي دائرة معارف القرن العشرين : الجن نوع من الارواح العاقلة المريدة على نحو ما عليه الانسان ولكنهم مجردون عن المادة وليس لنا علم بهذا النوع الا ما هدانا اليه القرآن الكريم من انهم عالم قائم بذاته ، وانهم قبائل وطوائف وان منهم المسلمين ومنهم الكافرين . وانهم خلقوا من نار السموم .

أقول : ان المراد من قولهم مجردون من المادة هو انهم الكثيف الذي خلق منه الانسان وقد ثبت لدى علماء القرن العشرين وجود الارواح المجردة عن المادة . وقال الحكيم مصطفي فهمي في رسالته ( امرار الجن ) ما مختصره :

ان الجن خلقوا من نار أي انهم خلقوا من غير ما خلق منه الانسان وهو الطين . واذا اعترفنا اننا نحن خلقنا من طين والآن لم نجد له أثراً في اجسامنا حيث استحال دماً ولحماً وعظماً . فلماذا لا نعترف بان من الممكن القول بان الجن قد

خلقوا من النار وهم لا يمحون بها ولا يأتونها في أبدانهم، وبأنهم بعد فنائهم سيرجعون  
إلى أصلهم وهو النار ، كما يرجع الانسان بعد الفناء إلى أصله وهو التراب .

وأما لم نرهم ولم نحس بهم لان أجسامهم اشبه بالذرة لرقنهم ، فلا يمكن ان يراهم  
إلا من رفع عنه الحجاب كما حدث في زمن النبي سليمان (ع) ولكنهم هم يروننا  
ويسمعون كلامنا لان أجسامنا كثيفة . وقد حكي القرآن الكريم عنهم بقوله : ( قالوا  
يا قومنا انا سمعنا كتابا أنزل بعموسى مصدقا لما بين يديه يهدى إلى الحق وإلى صراط  
مستقيم ) .

وخلاصة القول من كلام الامام (ع) : ان الله تعالى خلق الجن اشداء اقوياء على  
كل عمل لا يرون فيه مؤنة ولا مشقة ، ولكن الانس خاصة على العكس منهم خلقت  
فيهم صفة التثاقل والمجز عن الحركة والمشى الشديدين كما جعلهم يصفون فيجفون  
الصناعات الطيفة الدقيقة . وذلك لما اودع فيهم من الحاجة إلى مساعدة غيرهم لتحتم  
هذه الحاجة على العمل لجريان الامور المحبوبة بين الجميع بسبب عمل كل فرد وكل صنف  
منه ما يستطيع لتسيير الامور الضرورية كاللبس والمضجع والغذاء والتكفين  
وأما لما فسبحان المبدع الحكيم .

## الوجع والألم والحكمة في خلقهما

قال عليه السلام: لو كان الابن لا يصيبه ألم ولا وجع، بهم كان يرتدع عن الفواحش ويتواضع لله ويتعطف على الناس؟ أما ترى الانسان إذا عرض له وجع، خضع واستكان ورغب الى ربه في العافية وبسط يده

خلق الانسان ذا حس يدرك الملام والمناهي، ليتعزز بسببه من الآفات الطارئة عليه، ويتذركها قبل ان تؤثر في مزاجه فتوجب هلاكه او مرضه. ولاجل هذه الغاية شاءت الحكمة الالهية ان تخلق له اعصابا تدركه تخرج من الدماغ منبع الاحساس وتمتد في الاعضاء، وكلما كانت حاجة الموضع الى الحس اكثر كانت الاعصاب فيه اكثر حتى انك ترى بعض الاعضاء المهمة تنسج الاعصاب فيها نسجاً أمانتي مخلو من الاعصاب كالشعر والظفر فهي المدينة الحس. وكل ذلك لحكمة اظهرها المصانع في خلقه. اذ من الحكمة ان تحتفظ تلك الاعضاء المهمة بسلامتها بواسطة احساسها الحاصل من كثرة اعصابها وان مخلو هذه الاخرى من العصب والحس اقدم ضرورة لهاي ذلك، وبهذه المقدمة تعرف ان الانسان خلق حساساً يدرك اللذة والألم فينجذب الى تلك وينفر من هذا. ومعلوم انه لو كان لا يصيبه ألم ولا وجع لاختلت اعماله وانخرط سلك نظام حياته. فاللذة والألم نعمتان عظيمتان بها ينظم مجرى الحياة الطبيعية المطلوبة، وهذا أس بدعي وجداني لا يحتاج للتأمل فيه الى برهان او دليل لاسيما اذا نظر الحياة الاجتماعية عامة والى نفسه خاصة :

بالصدقة . ولو كان لا يألم من الضرب ، به كان السلطان يعاقب الدعار ، ويفل العصاة المردة ؟ وبم كان الصبيان يتعلمون العلوم والصناعات ، وبم كان العبيد يذلون لأربابهم ويذعنون لطاغتهم ، انليس هذا توبيخاً لابن ابي العوجاه ودونه الذين جحدوا والتديروا ، والمأنوية الذين انكروا الوجع والالم .

فانظر ونأمل في الانسان اذا كان لم يتألم أو يتوجع . به كان يرتدع عن الفواحش ، يرتاضع لله ، ويتعطف على المستحقين من الناس ، فانه اذا احس بالالم وشعر بالاذى أخذ يتوقاه ويخشى من وقوعه عليه ، فيبتعد بالضرورة عن كل فاحشة توجبه وكل منكر يستلزمه خوفاً من وقوع ما يتوجب وقوعه ويرتدع من فعله وقاية من ألمه ووجعه . وذلك مثل عقاب السلطان او الحاكم او اي شخص يخوف . ومثل الخوف من عقاب الآخرة اذا لم يخضع لله ولم يطلع مولاه ، ومثل جلب لذة او دفع أذى بسبب المطامع على الفقير والمسكين . المستحق من الناس .

ومن المسلم البديهي انه لولا خوف الالم او رجاء اللذة لم يعمل الانسان خيراً ولم يمتنع شراً ولولا ما ارتدع عن فاحشة ولما خضع لمعبود ولا همف على فقير ولا تصدق على مسكين . وان كل تلك الاور هي من صالح العباد ومنفعة الناس . سواء آعملوا بها أم اهلوا . عملوا بها أم جهلوا . رضوا بها أم سخطوا . فان الخالق الحكيم عطوف بفيض بألطافه على عباده تفضلاً وكرماً حسب حكته لا حسب ارادة العبد وسخطه . أما اذا خلا الانسان من كل ألم ولم يجد في نفسه وبدنه وجعاً ، فانه يصبح مصداقاً لقوله تعالى : ( ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى ) لطغيان البطر والاشتر والفرور عليه ولامد احساسه بألم يوقظه من غفلته او وجع يهزه الى الطاعة والهدوء والذمة وهناك مصالح اجتماعية وأخلاقية وأدبية اخرى تترتب على وجود الالم والاحساس به ذكرها الامام (ع) بقوله : ولو كان لا يألم الانسان من الضرب مثلاً

ولم يكن بحسب الوجدان مكافحة الدعارة ومنع العصاة عن التمرد محتاج الى خوف يصدما من ضربت السلطان وعقابه او معاقبة الحاكم . الزعيم اد اي شخص مخوف . ولولا ذلك لما حصل الارتداد عن الدعارة او امتناع العصاة عن التمرد . ولو كان كل عقاب من هؤلاء لا يؤلم وكل ضرب لا يوجع ، كيف كان السلطان يخضع الدعار وبذل العصاة اذا كانوا لا يخفونه ولا يخشونه لكونهم لا يألمون ولا يتوسمون من ضرب او عقاب ، وهذا لا بد وان يوجد الفوضى العامة المزبلة المراحة واستقرار الفرد والمجتمع والتي لا يمكن بها اجراء اي نظام وابتعاد اي حضارة الى غيرها من الامور الحيوية الضرورية .

ثم ان الصبيان والاطفال يرغبون بالطبع الى اللعب والانفلات من كل قيد يمنعهم من رغائبهم وميولهم لجهلهم بمواقف الامور ربما يضرهم او ينفعهم فلو تركوا وشأنهم لتركزت فيهم طيبة الكسل والبطالة والجهل حتى يشبوا امثال الياهم ، فلو لم يكن ضرب مؤلم . لم يكن لهم احساس . لالم . لما امكن تعليمهم الآداب والاخلاق والعلوم . ولانسى المؤدب اجبارهم على ذلك او على اكتساب الصناعات اللتان هما من ضروريات الحياة ولو ازم العيش . ومثلهم العميد الذين يدركون الذلة والاستعباد ويستسلمون الرقية والخضوع . فانهم لولا الخوف من الالم والضرب والعقاب ، كيف كانوا يدلون لاربابهم ويدعون لطاعتهم .

هذه بعض المصالح في خلق الالم والوجع في الانسان ، وهناك منافع اخرى كثيرة ، فد اکتفی الامام (ع) بذكر بعضها كنه وذج ومثال لذلك .

وعن ابديرك التأمل النصف خطأه وبشوب الجاحد المترفة في الرشد اذا ما نجيب العناد مثل ابن ابي العوجاء واضرابه الذين انكروا الصانع الحكيم ، ونسبوا هذه الحلقة الحكيمة الى الصدفة والاهمال او الى الدهر او الطييمة ، ومثل للأنوبة الذين انكروا

الالم والوجع اذ لم يدركوها بالحس الظاهري فانهم وأمثالهم قد ران على قلوبهم وأصمى  
العتاد بصائرهم فكانوا كالانعام بل هم اضل سبيلا .

واليك بحثاً قصيراً عن أقوال بعض الفلاسفة والحكماء عن اللذة والالم تماماً  
للعائدة . فقد اختلفوا في تعريفها وتحقيق معناها حيث ذهب كل فريق الى تعريف  
استدل على صحته بادلته المسلمة عنده ، واكتنر رأينا المرجع الشامل والتعريف الجامع  
لاكثر هاتيك التعاريف هو ما لخصه صدر المتألمين العلامة ( ملا صدرا ) في موسوعته  
( الاسفار ) حيث قال : اللذة هي ادراك الملام ، والالم هو ادراك المنافي . وهذا في  
الحقيقة تعريف يقرب من أكثر التعاريف المشهورة ، فلقد قيل عن افلاطون انه يقول  
كل اثر خارج عن المجري الطبيعي يظهر جملة وبدفعة واحدة مؤلم . كما ان الرجوع  
جملة في دفعة واحدة الى الحال الطبيعي ملذ .

وقال العلامة ناصر خسرو : ان اللذة ليصت بشي سوى الراحة من الالم ،  
ولا توجد لذة الا بعد أثر الالم وقال ايضا : ان اللذة حس مريح : والاذى حس  
مؤلم والحس ناثير محسوس فيمن يحس ، والتاثير فعل المؤثر في التاثير ، والتاثير هو تغير  
حال المتاثير وتلك الحال اما طبيعية او خارجة عن الطبيعة . فاذا نقل المؤثر ذلك المتاثير  
من حاله الطبيعي حصل الالم والاذى والوجع ، واذا أعاد المؤثر المتاثير الى حاله الطبيعي  
حصلت اللذة .

ولكن اجمل الاقوال هو ما في رسائل اخوان الصفا : ان اللذة والالم نوعان  
جسماني وروحاني أما اللذائذ الجسمانية فهي الراحة التي نحس بها النفوس الحيوانية عند  
زوال الالم .

أما الآلام الجسمانية فهي التي نحس بها النفوس عند خروج المزاج عن الامتدال  
من اسباب طبيعي الى أحد الطرفين من الزيادة والنقصان بسبب من الاسباب وهي  
كثيرة لا يحصى عددها الا الله تعالى .



هذه هي بعض أقوال الحكماء في اللذة والالتم ، وهناك بحث مفصل في تحقيقها لاسمها  
هذا المختصر يذكره المحققون في كتبهم الخاصة .

## انقراض الحيوان لو لم يولد ذكراً أو أنثى

قال عليه السلام : ولو لم يولد من الحيوان الا ذكراً فقط أو أنثى فقط  
لم يكن النسل منقطعاً وباد مع اجناس الحيوان انفصال بعض الاولاد يأتي  
ذكوراً وبعضها يأتي اناثاً ، ليدوم النسل ولا ينقطع .

---

التناسل عبارة عن إيجاد احياء بواسطة اتصال حبين لتكثير الافراد ، ابقاء  
على حياة النوع واستمراره وتكاثره . وهو في الحيوان من انسان وغيره من أهم مظاهر  
الحياة في عالم الاحياء ، وهذا متوقف على استمرار التوليد ، والتوليد لا يتم الا بتحاد  
جنسي الذكر والانثى من كل حيوان . اذاً فلا بد من وجود ذكر وانثى للحصول على  
الغاية المقصودة ، ولولاها لما استقامت الحياة ، لا دام النوع ولا تسلسلت حلقات  
الوجود الحيواني ، اذ كل حلقة لوحدها لا تكون سلسلة . ان تتصل باختها وتزدوج  
كل واحدة بملها .

وقد قالت اساتذة علم وظائف الاعضاء وعلماء النفس ان الفرد من كل حيوان  
ذكراً كان او انثى لا يمد فرداً مستقلاً قائماً بذاته منتجاً مثله ، بل هو نصف فرد لا يكمل  
الا بالنصف الآخر من جنسه ، فلا بد من انجوده مع النصف الآخر ليتم نقصه فيحصل  
من اجتماعها حي آخر ، وبذلك توجد حلقة اخرى في سلسلة النوع ، وهكذا .  
وعلى هذا يكون كل من الرجل والمرأة نصف انسان لا يكمل الا بتحادهما معاً

والى هذا المعنى أشار الأمام (ع) بقوله : ولولم يرلد من الحيوان الخ قاصداً بذلك ان الذكر وحده، الاتى وحدها لا ينتج كل منهما على الانفراد حياً آخر . وعليه فلو كانت المواليد كلها ذكوراً . او كانت كلها اناثاً، لكانت كلها انصاف افراد والانصاف لا يحصل منها توالد ، واذا لم يحصل التوالد انقطع النسل الذي لا بد من استمراره بواسطة تكبير كل نصف للنصف الآخر ، والا فيبيد النوع بل الجنس كله .

ولأجل ذلك فقد اقتضت الحكمة الالهية ان يأتى بمف الاولاد ذكورا وبضعها اناثا في الحيوان ، ولولا ذلك لا تقطع النسل . فكان لهذا النظام البديع من الحكمة والصلحة ما لم يخطر على بال اي عاقل . والان فانظر وتأمل ، اهل ترى ان هذا الابداع العجيب يصدر عن الصدفة وبلا قصد ورض مفصود ؟ ام يوجد من دون صانع خالق حكيم عالم . تعالى الله وتقدس عما يتخبط به الجاهلون الجاحدون .

\*\*\*

## نبات شعر العانة للرجل والمرأة وظهور اللحية

### للرجل فقط

قال عليه السلام : لم صار الرجل والمرأة اذا ادركا بنبت لهما شعر العانة ثم نبت اللحية للرجل وتغضاف عن المرأة لولا للتدبير في ذلك ، فانه لما جعل الله تبارك وتعالى الرجل قبها ورفيقا على المرأة ، وجعل المرأة عرسا وخولا للرجل ، اعطى الرجل اللحية لماله من العز والجلالة والهيبة ، ومهما

---

سبق لنا في أديبات فصول هذه الرسالة عند تحليل عدم نبت الشعر في وجوه الحصيان ان قلنا ان في الجسم خدداً كثيرة نفرز نوعاً من السائل الحيوي المسمى (هرمون) وهذا السائل هو الذي يسير مع الدم ابوزع على جميع أنحاء الجسم فيقوم باعمال خاصة لها تأثير فعال على انسجته وأعضائه وأجهزته في تنظيم فعاليتها والحيوية مثل نموه وتقوية اعضائه وحفظ التوازن الطبيعي بينها ، بحيث اذا اختل افراز هذا السائل في الجسم تولدت فيه اضطرابات واختلالات غير اعتيادية ، ولاجل هذا سميت هذه الخلاصة الحيوية اعني الهرمون (المادة الموقظة او المنبهة) .

واعلم ان هذه المادة نوعين ، نوع يفرز الى الداخل فقط ليجتبط مع الدم او اللف وينتشر في اطراف الجسم ، وخرده تسمى (الغدد الصماء) وهي غدد لا قناة لها مثل الغددتين الكائنتين في اسفل العنق ، ومثل (الكظرين) اللتين هما فوق الكلبيتين ومثل الغدة

المرأة لتبقى لها نضارة الوجه والبهجة التي تشاكل المفاكهة والمضاجعة ، أفلا ترى الخلقة كيف تأتي بالصواب في الاشياء ، وتتخلل مواضع الخطأ ، فتعطي وتمتع على قدر الارب والمصلحة بتدبير الحكيم عز وجل .

(النخامية) المتصلة بقاعدة المخ . والنوع الثاني هو الذي يفرز الى الداخل والخارج مثل غدة (البنكرياس) التي تفرز الأنسولين في المعدة والامعاء ومثل الغدة التناسلية التي نحن الآن بصدد معرفتها والبحث عنها في شرح كلام الامام (ع) وهذه الغدد هي الغدد ذات القناة للافراز فلقد قال (ع) : لم صار الرجل والمرأة اذا ادركا تنبت لهما العانة الخ فقول : ان الغدد التناسلية التي تفرز المادة النوية الحويوية هي الخصيتان في الرجل والمبيضان في المرأة . فانهما تفرزان هذا الخلايا التناسلية نوعاً من الهرمون له تأثير عظيم في صفات الجنسية الثانوية التي تميز بين الجنسين (الرجل والمرأة) مثل ظهور الشعر الكثير في الرجل والقليل في المرأة او مثل نغمة الصوت عند الرجل وضخامة عظامه وخشونته ومثل عدم نيات شعر الوجه في المرأة ورقة صوتها ونعومة جلدها وعظامها وبروز ثديها وافراز حليبها . كما ان لهذين الافرازين دخلاً في سلوك الجنسين وعواطفها وميولها وصفاتها الخاصة بكل صنف منها .

أما الخصيتان : فانهما يفرزان - عدا الحيوانات النوية - مادة اخرى تسمى (خلاصة الخصية) أو ( الهرمون الخصيوي ) تكون بها قوة الرجل ونشاطه وحيويته وبها تبرز علامت الرجولة المبهزة له من الانثى

أما المبيضان : فهما الغدتان المفرزتان لمادة هرمونية اخرى عدا البويضات النوية بها تحصل المرأة رقة الصوت ونعومتها ، وبها تبرز الثديان وبدر الحليب : وبها يتمتع الشعر في وجهها وسائر اطرافها .

ومن هنا تمرض ان بروز الحية للرجل يكون بواسطة ( الهرمون الخصيوي )

فبسط ولم يكن هذا الهرمون موجوداً عند المرأ لذلك لا ينبت شعر وجهها وقد مر عليك ان الحسيين اذا سلنا كيف ينبت شعر وجه الخصى بعد البلوغ، كيف يتبع اذا كان قبل البلوغ .

ولكن لما كان نبات الشعر في العانة يحصل من كلا الافرازين من كلا الجنسين أعني يحصل من هرمون الرجل وهرمون المرأ عند البلوغ صار الذكر والانثى يشتركان في ذلك .

هذا هو السبب العلمي لعدم نبات الاحية للمرأ واختصاصها بالرجل فقط .  
أما الحكمة الالهية في الخلقة فقد ذكرها الامام (ع) بقوله انه لما جعل الله تعالى الرجل قيباً ورقياً على المرأ الخ وذلك لتسير النظم النوعية حسب الحكمة المقصودة من الخلقة . فلقد اعطى الرجل الاحية لتكويه العز والجلالة والهيبة ، وتميزه عن جنس النساء ورقتها ونعومتها . ثم منعت المرأ منها لتتقي لها النضارة والجمال في الوجه واليهجة واللطافة في الجسم والشكل والغاية من ذلك النظام الحكيم هي ان هذه الصفات الانثوية التي تحصل من هذا النظام الخلقى مما يناسب المعاكهة والتلذذ عند الرجال ومما تشكل وتوافق المضاجعة والاتصال بين الجنسين ذلك الاتصال الذي يهبج الشهوة الحيوانية ويسبب الاجتماع المرغوب للحصول نسل واستمرار النوع المطلوب .

والآن وبعد ان عرفت ما ذكرناه لك من كلام الامام (ع) افلا ترى هذه الحكمة في الصنعة والبداعة المقصودة في الخلقة، كيف انت بالصواب في كل هذه الاشياء المخلوقة وكيف تخلت مواضع الخطأ مع القصد والعلم بما تفعل ؟ فتعطيني ما يجب ان يكون وتمنع ما يجب ان لا يكون على قدر الحاجة والارباب وبعثتني الصلحة والحكمة، ثم هل كل هذا إلا بتدبير العليم الحكيم عز وجل وبتقدير الصانع القدير المنانى مما يصفة به الجاهلون والمنزه عن كل ما يشهدق به الجاحدون والمهلدون .

## الختم

قال المفضل : ثم حان وقت الزوال ، فقام مولاي الى الصلاة ، وقال لي : بكر الي خدا انشاء الله تعالى . فانصرفت من عنده مسروراً بما عرفته مبهجاً بما أوتيته حامداً لله تعالى على ما أنعم به عليّ شاكراً لأنعمه جل وعلا على ما منحنى بما عرفنيه مولاي وتفضل به عليّ ؛ فبت ليأتي مسروراً بما منحنيه مجبوراً بما علمنيه .

الى هنا تكمل المحاضرة الاولى من محاضرات الامام عليه السلام على المفضل ابن عمر في مجلسه الاول لاثبات التوحيد عن طريق التفكير في نفس الانسان والتأمل فيما اودع فيه من الحكمة والابداع والنظام والاعتقان . ولعمري انها كلها شواهد جليلة صادقة ودلائل واضحة ناطقة ، تهدي التأمل النصف الى وحدانية الخالق العظيم وقدرته وترشد طالب الحقيقة المتبصر الى توحيد الصانع الحكيم وعلمه . لانها دلائل فطرية وشواهد عقائدية وحسية ، لا يمكن انكارها ولا الجحود فيها ، اللهم الا ان يكون العناد حائلاً دون الاعتراف او الفرور عائقاً عن التصديق ، وهذا مالا يرتضيه العقل السليم وبأباه كل وجدان حي صحيح .

قال المفضل : ولما حان وقت زوال الشمس ونودي اصلاة الظهر انتهت تلك المحاضرة الجليلة ، وكل ما أراد الامام (ع) بيانه مما وعدني به ، فقام مبادراً للصلاة وقال لي : يا مفضل لقد جاء وقت أداء الواجب الذي من أجله كنت انكلمك بمك فامض الان وصل ثم بكر الي خدا لاني عليك ايضاً بعض الحكم والامرار التي أردعها لله

تعالى في سائر مخلوقاته الاخرى انشاء الله تعالى . فانصرفت من عنده ممثلاً مسروراً  
 بما عرفنيه من حكم الخلقة في الانسان وابداع الصنعة في هذا المخلوق العجيب ،  
 ميتهجاً بما ارتبته من المعرفة التي تفضل بها على سيدي ومولاي ابو عبد الله عليه  
 السلام . حامداً لله تعالى على ما أنعم به علي من التوفيق لذلك ، شاكراً لانهمة جل  
 وعلا على ما منحني من فضله ولطمه وتكرماً وخصني بما أملاه علي مولاي من تلك  
 الحقائق الناصحة والحكم البالغة والمطالب الجميلة السامية التي لا يوتاهها الا ذو حظ عظيم  
 ولا يوفق لها الا ذو نصيب وافر من التوفيق ثم خرجت من منزل الامام (ع) سعيداً  
 وذعبت الى منزلي مفتبهاً رشيدياً . فبت في تلك الليلة الزاهية في أم سرور وأنا  
 حبور بما علمنيه . مولاي الصادق عليه السلام . الى ان اسفر الفجر وطلع الصباح حيث  
 تهبأت للتشرف بخدمة الامام (ع) مرة اخرى

الى هنا تم ما أردت بيانه من شرح المجلس الاول من توحيد الفضل حسب  
 المقدور وجهد الطاقه مستعيناً بتوفيق الله ومستمدداً من قدسية الامام ابى عبد الله  
 جعفر محمد الصادق عليه وعلى آبائه التحية والسلام شاكراً لله على ذلك وما توفيقني  
 إلا بالله العلي العظيم عليه توكلت واليه انيب والصلاة على محمد وآله الطاهرين .

## المصادر

- (١) العلم بدمه وللإيمان
- (٢) الإنسان للاستاذ علي فكري ١ - ٢
- (٣) مجلة الدكتور المصرية
- (٤) الهوامل والشوامل لابن مسكويه وأبي حيان
- (٥) الصحة والحياة للطبيب ١ - ص - سلون
- (٦) الدليل الامين للدكتور شكري وناحي
- (٧) الصحة للدكتور سامي شوكت
- (٨) طب الامام الصادق للشارح
- (٩) قواعد التجويد للمرحوم الحجة السيد جواد العاملي
- (١٠) الدين والاسلام للمفتور له الحجة الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء.
- (١١) مجلة الحكمة للدكتور عبد الغني شابندر
- (١٢) طب النفس للدكتور محمد كمال قاسم
- (١٣) موجز في التربية وعلم النفس للاستاذ حسين سامي
- (١٤) للفرايز للعلامة محمد حسنين الغمراوي
- (١٥) مجلة الاعتدال للاستاذ محمد علي البلاغي
- (١٦) اسرار الجن الاستاذ مصطفى فهمي الحكيم
- (١٧) الصادق للعلامة الشيخ محمد حسين المظفري
- (١٨) مجلة الوحدة الاسلامية للشيخ عبد الرسول آل كاشف الغطاء.
- (١٩) مجلة الغري لشيخ العراقيين



- (٢٠) اللؤلؤ والنحل للشهرستاني
- (٢١) على اطلال المذهب المادي الاستاذ فريد وجدي
- (٢٢) حركات الشيعة المنتظرين للدكتور محمد جابر عبد العال
- (٢٣) توحيد الفضل تعليق الكامل كاظم مظفر .



مقدمة الكتاب	٥
أتوحيد المفضل أم توحيد الجاحظ؟	٩
من هو المفضل؟	١٩
كلام ابن أبي العوجاء مع صاحبه	٢٣
كلام المفضل مع الملحد	٢٨
دخول المفضل على الامام (ع)	٣٢
المجلس الاول	٣٥
جهل الشكك باسباب الخلقة	٤١
الصنف الثاني من الشكك	٤٤
نعم الله والشكر عليها	٤٧
تهيئة العالم وتاليف اجزائه	٥٣
خلق الانسان وتكوين الجنين في الرحم	٥٨
كيفية ولادة الجنين	٦٥
غذاء الطفل بعد الولادة	٦٦
تغذية الطفل	٦٧
طلوع اسنان الطفل	٦٩
طلوع الشعر في وجه الرجل دون المرأة	٧١
العبرة بما تقدم	٧٤
حكمة غدم نبات الشعر في وجه بعض الناس	٧٦
الاهمال لا يأتي بالصواب والنظام	٨١
الحكمة في ان يولد الطفل غيبياً	٨٣
خروج الطفل من القباوة الى العقل	٨٦

وجوه اخر في حكمة غياوة الطفل	٩٠
وجوه اخر غيرها في الحكمة	٩٥
منفعة بكاء الطفل	١٠١
حكمة سيلان الريق من فم الاطفال	١٠٦
آلات الجماع في الذكر والاثني	١٠٩
الحكمة في خلق اعضاء البدن	١١٣
زعم الطبيعيين في الخلقة وجوابهم	١١٥
جهاز الدورة الهضمية والدورة الدموية	١١٩
التدبير في حكمة تركيب البدن	١٢٥
أول نشؤ الابدان تصوير الجنين في الرحم	١٢٨
الحكمة في خلق الانسان منتصباً	١٣٤
العينان والحواس في الانسان	١٣٧
البصر والسمع واعمالهما واسرارهما	١٤٤
الضياء والهواء وسيط بين السمع والبصر	١٥٠
حال من عدم البصر والسمع	١٥٢
العقل وحال من عدمه	١٥٥
الحكمة في فقد بعض الناس لشيء من الجوارح	١٥٨
حكمة خلق الاعضاء افراداً وازواجاً	١٦١
في الصوت والكلام	١٦٤
في المآرب الاخرى من اعضاء الصوت	١٧٠
الدماغ وعظمته	١٧٤
الجفن والاشفار	١٧٩

الفؤاد والمراد به القلب	١٨١
الحلق والمرى والقصبه	١٨٣
الرئة ومنافذ البول والغائط	١٨٥
المعدة والكبد	١٨٨
النخاع والدم والأوردة والشرايين والاطفار	١٩٠
الاذن وحكمة حمل اللحم على الفخذين والألية	١٩٤
الذكر والانثى وتناسلهما	١٩٥
آلات العمل وحاجة الانسان اليها	١٩٨
ذكر بقايا نعمه على الانسان والزامه بالحجة	٢٠٠
الفؤاد وثقبه المتصل بالرئة	٢٠٣
الذكر والانثى كمصراعين مهياين للالتقاء	٢٠٥
فرج الرجل والحكمة فيه	٢٠٨
منفذ الغائط ووصفه	٢١٠
الطواحن ووصفها ومنافعها	٢١٤
الشعر والاطفار وفوائدهما	٢١٥
الحكمة في عدم نبات الشعر في مواضع البدن	٢١٩
الحكمة في نبات الشعر على الركب والابطالين	٢٢٢
الريق وما فيه من المنفعة	٢٢٥
مخاير كون البطن كهيئة القباه	٢٢٧
افعال الانسان في المطعم والنوم والجماع	٢٣١
في بيان القوى الاربع في البدن	٢٣٧
مثال يقرب الذهن فعمل القوى الاربع	٢٣٩

النفس وقواها	٢٤٢
النسيان نعمة عظيمة على الانسان	٢٤٩
نعمة الحياء في الانسان دون الحيوان	٢٥٣
المنطق أو الكلام والكتابة	٢٥٧
ما اعطى الانسان من العلم وما منع عنه	٢٦٦
الحكمة في كتمان أجل الانسان عنه	٢٧٢
حكمة اخرى في جهل المرء اجله وترقب الموت	٢٧٧
الاحلام والحكمة فيها	٢٨١
الاشياء المخلوقة لمأرب الانسان	٢٨٨
وجوب العمل للانسان وكونه سنة طبيعية	٣٠٠
الحبز والماء رأس معاش الانسان والحكمة في ذلك	٣٠٥
الحكمة في عدم تشابه الناس بعضهم لبعض	٣١١
لماذا تنمو ابدان الحيوان الى حد ثم تقف وهي تفتدى ابدأ	٣١٥
حكمة ثقل أجسام الانس خاصة عن الحركة وجفاء الصناعات	٣١٩
الدقيقة	
الوجع والالم والحكمة في خلقهما	٣٢٤
افقراض الحيوان لولم يولد ذكراً وانثى	٣٢٨
نبات شعر العانة للرجل والمرأة وظهور اللحية للرجل فقط	٣٣٠
الختام	٣٣٣
٣٣٥ و ٣٣٦ هي مصادر الكتاب سقط العنوان منها	
دليل الكتاب	٣٣٧